

هبة نكاح من مولا
شفق الحق العارف والمفسر
بدر كجيه سيد العالم
عبد الله بن محمد
مولى

كتاب

أوضح البرهان

تفسير أم القرآن

تأليف

العبد الضعيف الفقير إلى الطاف مولاه القدير

أبي عبد الكريم محمد سلطان ابن أبي عبد الله محمد أوردون

المعصومي الخجندی المكي المدرس في المسجد الحرام

ومدرسة دار الحديث المكية غفر الله تعالى

ذنوبه وستر عيوبه برحمته آمين



طبع على نفقة

(ناصر السنة ومحبي آثار السلف الصالح حضرة صاحب الجلالة) خ ع ١

عبد العزيز العبد الرحمن الفيض السعيد

ملك الملك العزيز السعيد

(الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧ ١٩٣٨ م) ج ١
طبعة أم العتري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى انزل الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين
وهو الله الاحد والمعبود الحق الذى نزل على عبده سيدنا محمد الكتاب
الحق الواضح المبين وهو الله الذى انزل على محمد القرآن ليخرج الناس
من الظلمات الى النور باذن ربهم والى الصراط المستقيم المبين ولا ريب
ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين وتبارك الذى نزل
الفرقان على عبده ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين وهذا القرآن هو الكتاب
المبين هدى وبشرى للمؤمنين وهذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة
للمحسنين وهذا الكتاب المبارك الذى انزله الله تعالى ليذروا آياته
وليتذكروا اولوا الالباب وارباب اليقين وهذا تنزيل من الرحمن الرحيم
الذى فصلت آياته نبيا لكل شيء حق التبين ولا شك ان هذا الكتاب
هو الهدى لجميع العالمين افلا تتدبرون القرآن وتعملون به أم على قلوبكم
الاقفال والاعغال يا أيها العاقلون وقد يسر الله تعالى هذا القرآن للذكر
والتذكر والتدبر فهل من مدكر من المؤمنين الصادقين وهذا القرآن
الكريم الذى لا يمسه الا المطهرون ولا يهتدى به الا المتقون من شرك
المشركين وكفر الكافرين وعناد المعاندين وهذا القرآن هو الميزان
الذى يقوم به الناس عدلا الى يوم الدين وهذا القرآن يحق أن يقول الانس
والجن أنا سمعنا قرآنا عجيباً يهدى الى الرشاد فآمننا به ولا نشرك بربنا
أحداً من العالمين .

ولا شك ان أم هذا الكتاب انما هي سورة الفاتحة التي هي السبع
المثنى من القرآن المبين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي انزل الله
تعالى هذا الكتاب اليه بواسطة الروح الامين بعد ان ارسله الله تعالى
رحمة للعالمين وبشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين فانطق عن هواء بل
عن وحى رب العالمين فرغبنا في قراءة الكتاب وندير معانيه وتفكر
قصصه وعبره وخص فاتحة الكتاب بخصائص ينالها من طلبها من
أصحاب اليقين وفيها التهذيب عن ادراك الشرك والتنقية عن أوساخ
الجاهلية والتحذير عما ارتكبه المغضوب عليهم والضالون وفيها بيان
وظائف العبودية وحق العبد والمعبود والمعاملة بين الخالق والمخلوق
وبيان طريق السعادة في الدنيا والدين وهي أم القرآن وأساس الايمان
وأصل أصول الاسلام فلهذا قرر الرسول الكريم بامر رب العالمين قرائتها
في كل ركعة من الصلوات التي هي معراج المؤمنين ، وحكم بانه لا تصح
الصلوة بدونها على اليقين

وأفاد ﷺ أيضاً انها شفاء من كل داء ، يعنى من داء الشرك
والكفر والضلال ووساوس الشياطين ، ثم الصلاة والسلام على سائر
الانبياء والمرسلين وعلى الصحابة والتابعين الذين اقتفوا آثار الرسول
وعملوا بسنته وأحيوا ملته في كل وقت وحين وعلى تابعيهم باحسان الى
يوم الدين .

أما بعد فيقول العبد الضعيف المهاجر وفي حرم الله المجاور ابو

عبد الكريم محمد سلطان بن أبي عبد الله محمد اورون المعصومي الخجندی
أصاح الله تعالى حاله ووقفه لما يحبه ويرضاه ورحم والديه ، ان القرآن
الشریف هو هداية الله العظمی لعباده قد صلح باتباعه الاسلاف الاولون
فرفعوا لواء الاسلام وشيدوا أركانه فنالوا رضی الرحمن ولكن ضيعه
الاخلاف المتأخرون فصاروا ضحكة في العالم وأسارى تحت سيطرة أهل
العران واستحق أكثرهم غضب الرحمن

ونحن نحمد الله ونشكره ان بدأ الآن اثر من آثار فضله تعالى
انشاء بعض المسلمين يشعرون في هذه الايام بانهم ما فقدوا مجد أسلافهم
الصالحين وتلك السعادة والدولة التي كانت لأبائهم الاولين الا لانهم لم
يهتدوا بهديهم ولم يسلكوا في مسلكهم ولم يأخذوه بقوة كآخذهم والحال
ان الحق ما قاله الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى « لا يصلح آخر هذه
الامة الا بما صلح به اولها » والامة المحمدية في حاجة شديدة الى فهم
القرآن من حيث كونه هادياً الى السعادة ومرشداً الى الكمال في الدارين
وبالخصوص فاتحة الكتاب لان هذه السورة هي التي لا يجعلها مسلم
في العالم لانها من فرائض الصلوة وأركانها وقد أوجل الله تعالى فيها ما
فصل في الكتاب تفصيلاً ولا ريب ان فهم القرآن انما يحصل بالتعقل
والتدبر وهو حجة قائمة الى يوم القيامة ويجب على كل مسلم أن يكون
له نصيب من فهمه . . ولكن أكثرهم غافلون يديرونه كالقدح ويتغنون
به غناء صندوق غرمامون والراديون فلماذا ترى الجاهلية اليوم بين

الناس أعرق وأعم من الجاهلية الاولى .

فلما كان الامر كذلك تشبثت بفضل الله واعتمدت على عون الله
قائلا لاحول ولا قوة الا بالله فشرعت في قيد ما النقطة من الاحاديث
والآثار وتفسير السلف الصالحين الاخيار فيما يتعلق بفاتحة الكتاب
أسأل الله تعالى أن يوفقني لاتمامه بعد تسهيل سبيله ومرامه وأن ينفع
به العباد في عامة البلاد ونويت ان أسمى ما قصدت جمعه :

(أوضح البرهان في تفسير أم القرآن)

فيارب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم من
الانبياء والمرسلين والعارفين والصالحين آمين يا مجيب السائلين ويا رب
العالمين ويا خير الناصرين ويا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وتابعيه باحسان الى يوم الدين



مقدمة

في لزوم فهم معاني القرآن

أعلم أن الله تعالى أمرنا بالتفهم والتعقل لكلامه لأنه انما أنزله نوراً وهدى ومبيناً للناس شرائعه وأحكامه ولا يحصل ذلك الا إذا كانوا يفهمون ويتفهمون ويفهمون ، ومقصودنا هنا بيان أن القرآن يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا الحاضرة وحياتهم الآخرة الأبدية ، وهذا هو المقصد الاعلى منه ، ولا شك أن سلطان القرآن على نفوس الذين يفهمونه وتأثيره في قلوب الذين يتلونه حق تلاوته لا يساهمه فيه كلام ، وقد قال أئمة الدين . ان القرآن سبقي حجة على كل فرد من افراد البشر الى يوم الدين . لحديث « والقرآن حجة لك أو عليك » رواه مسلم في صحيحه وذكره النووي في أربعينه ولا يعقل هذا إلا بفهمه . والاصابة من حكمته وحكمه ، وقد خاطب الله تعالى جميع الناس بقوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ فبعد هذا هل يعقل أنه يرضى منا بان لا نفهم قوله هذا ، فملى هذا يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته لافرق بين عالم وجاهل ، لأنه أنزله لهدايتنا وهو يعلم منا كل انواع الضعف الذي نحن عليه ولأنه يقول تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ فعلينا أن نتدبر القرآن فنفهمه لأنه يفسر بعضه بعضاً ، وانه يرشدنا بعد الفهم الى الاعتقاد والعمل بموجبه مع بيان حكمة التشريع في المقائد والاخلاق والاحكام لأنه هدى ورحمة وتبيان لكل شيء .

ولا يخفك أن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه ، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لأرشادنا وهدايتنا ، وعن سنة نبينا محمد الذي بين لنا ما نزل إلينا هو وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴿ سورة النحل ﴾ ، فيسألنا هل بلغتكم الرسالة ، وهل تدبرتم ما بأنعم ، هل عقلتم ما به أمروتم ، وما عنه نهيتم ، وهل عملتم بأرشاد القرآن . واهتديتم بهدي النبي ﷺ واتبعتم سنته ، عجباً لنا ننتظر هذا السؤال ونحن في هذا الاعراض عن القرآن وهديه فيا للغفلة والغرور ، ونعرف أن القرآن كلام الله تعالى ومع ذلك لانعقل معناه ، ولا نعرف من تعظيم القرآن والعمل به إلا أن آية كذا تنفاه لكذا ، وإذا كتبت ومحيت بماء وشربه صاحب مرض كذا يشفي وإن من حمل القرآن لا يقربه جن ولا شيطان ، ويبارك له في كذا وكذا ، وغير ذلك مما هو معروف للعامة وإلا الحركة والهزة المخصوصة والكلمات المعلومة التي تصدر ممن يسمعون القرآن إذا كان القاريء رخيماً الصوت حسن الأداء عارفاً بالطريق على أصول النغم ، ولهذا يمكن لنا أن نقول أن الجاهلية اليوم أشد من الجاهلية الأولى .

وقد رأيت في كتاب جواهر الأدب أنه روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال « اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بعمانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شيء قدير » . وكذا رواه .

قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه : (تلييس ابليس) ومن تلييس ابليس على القراء أنه شغلهم بتحسين القراءة والاشتغال بالشاذ طول عمرهم حتى شغلهم ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ؛ ولو تفكر هؤلاء لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم الفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الاقبال على ما يصلح النفس ويظهر اخلاقها ، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . الخ .

قال العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره الشهير « وقال الرسول يا رب أن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » . فمن هجرانه ترك الايمان به ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وترك امتثال أمره وترك اجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعراً أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فذسأل الله المنان الكريم القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آناه الليل واطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه انه كريم وهاب .

وفيه أيضاً . واعلم أن الله تعالى ندبنا الى فهمه فقال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ * وكتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴿ والصحابة رضی الله عنهم كانوا يقرؤن ويفهمون فيعملون لأن العمل بلا فهم متعذر .

وقال الامام محي السنة البغوي في تفسيره : ان الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده ، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف ، أعني الامام الذي اتفقت عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثم روى بسنده عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به » وكذا رواه عبد العظيم المنذرى في الترغيب والترهيب . ثم قال رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الاسناد ، قلت يعني اذا كان والداه مسلمين ، ولا بد من هذا القيد لان الكافر لا يتأهل ذلك البتة ، والله أعلم .

وفيه أيضا بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال « ان القرآن انزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن » الحديث واختلفوا في تأويله . فقيل الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله ، وقيل الظهر ما حدث عن أقوام انهم عصوا فموقبوا فهو في الظاهر خير وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل بهم ما حل بهم ، وقيل معنى الظهر التلاوة والبطن التفهم . والحق ان لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما أنزلت قال الله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ وباطن وهو التدبر والتفكير قال الله تعالى

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ وقد يفتح الله على المتدبر
والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره ، وفوق كل ذي
علم عليم .

وفي الخازن والقرآن نور أنزله الله ليهدى به من الضلالة ؛ وينقذ
به من الجهالة ، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض
عنه بعد ما سمعه ، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر ، وذكر المواعظ
ليتذكر ، وضرب فيه الامثال ليتدبر ، وقص فيه من اخبار الماضين
ليعتبر ، ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ، ثم لم يرض منا بسر دحروقه
دون حفظ حدوده ، ولا باقامة كلماته دون العمل بمعانيه ؛ ولا بتلاوته
دون تدبر آياته في قرآنته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه
وذكر ابن كثير في تفسيره أيضا ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ قال مجاهد رحمه الله لم يسموا ولم
يبصروا ولم يفقهوا شيئا ، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى كم من
رجل يقرأها ويخر عليها اصم اعمى قال الشعبي رحمه الله تعالى ولا
ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره وبقين
واضح بين وقال البغوي في تفسير الآية بل يسمعون ما يذكرون به
فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه .

وقوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾
يعنى وقتها الاول وأما عن أدايتها باركانها وآدابها وشروطها على الوجه

المأمورية ، وأما عن الخشوع والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله .
ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .

وفي مجموعة التوحيد النجدية ؛ لا إله إلا الله ، هي كلمة الاخلاص
المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقى قائلها من الشرك بالله ولكن
لا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة الاول العلم بمعناها نفياً وإثباتاً ، والثاني
اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشرك ، الثالث الاخلاص المنافي
لشرك الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المصومى وفقه الله تعالى لما فيه
رضاه ، وقد تبين مما ذكرناه أن فهم المعانى والتفهم لها واجب ، لانه
لا يصح العمل إلا بعد العلم ، والعلم لا يحصل إلا بالفهم والتفهم ، والقرآن
وان كانت تلاوته عبادة مطلوبة يتعمد بها ، ولكن المقصد الاصلى منه
الفهم والعمل ، فمن يتلوه ولا يفهم معناه ولا يعمل به فهو كمثل الحجر
يحمل أسفاراً ، أو كمثل العرض بلا ذات ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا
رائحة طيبة ؛ أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص وها أن
ذاكر مثاليين يشرحان المطلب .

ملك كبير له ممالك واسعة ، ونواب واصراء عديدة ؛ فكتب اليهم
كتاباً وأمر فيه بان يفعلوا كذا وكذا ، ويبنوا المدارس والبنائيات
الفلانية ، وينظموا المساكن والجنود على نظام كذا ، ويبنوا داراً يتقام
كذا ، ويربوا الايتام فيها تربية كذا ، ويعملوا مع الدعارين والفسدين

معاملة كذا ، فيعمروا البلاد ويؤمنوا الرعية والعباد ، وكذا وكذا .
فلما وصل الكتاب اليهم أخذوه بالتعظيم وقاموا إجلالا له
فوضوه على رؤسهم وقبلوه وقرؤوه ، ثم علقوه فوق رؤسهم ، أوفى
أعناقهم وصدورهم ؛ وكلما أصبحوا فعلوا هكذا وهكذا كل يوم ،
ولكنهم لم يعملوا بما فيه الا البعض اليسير . فبعد مدة فتش الملك عن
ذلك وبعث مفتشين ، فاذا لم يفعلوا مما أمروا في فرمان الا النزر
اليسير ، فسألهم أما وصل اليكم فرمان الملكى ، فقالوا نعم وصل ، فقالوا
لم ما امتثلتم الامر ولم تفعلوا ما أمرتم به ، فأجابوا بانهم قرأوه وعظموه
ورفعوه فوق رؤسهم واستبركوا به حتى قبلوه ووضعوه على عيونهم
كما كان يفعل من قبلهم ممن شاكلهم ، فعاد المفتش وقال لم يكن مقصود
الملك من ذلك قرائته فقط وتعظيمه صورة ، بل مقصوده العمل
بما فيه وأنتم تركتم العمل ؛ فاجابوهم بانهم لم يفهموا معناه ، أو ظنوا
انه حكاية مما مضى ؛ فبذلك خالفوا أمر مولاهم ، وصاروا سببا لهلاك
الرعية وخراب المملكة ، فهل لا يستحق هؤلاء الامر غضب الملك ،
والا يستحقون العزل والطرده ، وهذا لا يشك فيه عاقل ؛ ولا يتوقف
في حكمه البصير ، انهم يستحقون الغضب والعزل والطرده . فكذلك
نحن المسلمون منذ أزمنة بعيدة تركنا التدبر في القرآن والعمل بمقتضاه ؛
لانه قد استولى على الحكم السفهاء ، وتصدى للفتوى الجهلاء ، وتصدر
للتدريس الحفقاء ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهوائهم ،

وقد أمرنا القرآن بالاتفاق والاتحاد ونحن متخالفون ومتخاذلون ،
وأمرنا بالاستبصار والاعتبار ونحن نأمنون ولاهون آناء الليل وأطراف
النهار ، وأمرنا بالاستصناع واعداد العدة والآلات ونحن تاركون
ذلك مضيعاً أوقاتنا بالخرافات ، وأمرنا بالصدق والامانة وأما نحن
فننغمسون في ردغة الكذب والخيانة ، وأمر بالعدل والانصاف ونحن
منهمكون في الظلم والاعتساف ؛ وأمرنا بالعفة والصيانة ونحن متلبسون
بالزنا والفاحشة واللواط ، وهكذا غيرنا فخير الله تعالى علينا فاعتبروا
يا أولى الابصار .

الثال الثاني صندوق ما كينة غرامافون وراديوون فانهم حبسوا
الاصوات فيه فيغنى ويقرا ويؤذن ويسبح ويهلل ويقلوا القرآن باحون.
القراء المصريين ، وكذا طير البيضاء والطوطى اذا يعلمونه القرآن فيتلوه
فهل يحصل لهذا الصندوق ثواب لتلاوته القرآن أو تسبيحه وتهليله ؟
ولا شك أنه لا يحصل له شيء من الثواب ، ولما ذا مع أنه تلا القرآن
وسبح وهلل لانه لا شعور له ولا علم ولا فهم ولا يتأثر منه ، فان كان
هكذا فما الفرق بينه وبين تلاوة كثير منا ؟ فانا لا نفهم معناه ولا
نتدبر ما فيه ولا نتعظ بمواعظه ، فاذا نحن والجماد سواء ، بل نحن أسوء
حالا منه فانا عاقلون مكلفون وبفهمه والعمل بما فيه مأمورون ، ولهذا
قال النبي ﷺ « رب تال للقرآن والقرآن يلعنه » وكذا ورد في القرآن
حجة لك أو عليك « أى اذا قرأت وفهمت وعملت فلك والا فعليك ،

أى اذا قرأت ولكن ما فهمت أو فهمت ولكن ما عملت^(١) والله سبحانه
المهادى الى سبيل الرشاد ، اللهم ازقنا تلاوته ، وسهل لنا فهم معانيه ،
ووفقنا للعمل بمقتضاه ، فاجله اللهم حجة لنا واحفظنا أن يكون حجة
علينا آمين يا رب العالمين .

فصل

هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقاد والقلب
اعلم ان أول الضروريات الواجبة على المكلف انما هو تصحيح
العقيدة على وفق عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ؛ فان
النجاة الآخروية مربوطة به ، وهم هم الفرقة الناجية ، لانهم على طريق
النبي ﷺ وأصحابه رضی الله تعالى عنهم ، والمعتبر من العلوم المستفادة من
الكتاب والسنة انما هو ما أخذ منه هؤلاء الاكابر ، فان كل مبتدع
وضال يدعى أنه أخذ عقيدته الفاسدة منها بزعمه الفاسد ، ثم بعد تصحيح
العقيدة لا بد من تعلم علم الحلال والحرام والفرض والمندوب والمكروه
وغيرها مما تكفل به علم الفقه ؛ والعمل بمقتضى هذا أيضاً ضرورى ،
فان وقع عياداً بالله تعالى خلل على مسألة من المسائل الاعتقادية الضرورية
فقد تحقق الحرمان من النجاة الآخروية ، بخلاف العمليات فانها اذا وقعت

(١) ومما يناسب هذا المقام ما فى الحيلة لابی نعيم عن كعب الاحبار رضى الله
قال ليقرآن القرآن رجال وانهم أحسن صوتاً من عزافات الابل لا ينظر الله
اليهم يوم القيامة وليصبغن أفرام بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة انتهى
ص ٢٧٧ منه عني عنه .

المسايلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ولو بلا توبة ، وإن أخذ بها
واسكن النجاة متحققة في آخر الامر ، فعمدة الأمر تصحيح العقيدة
وقد نقل عن الخوارجة عبيد الله الاحرار السمرقندي رحمه الله تعالى
أنه قال : لو أعطينا الاحوال والمواجيد كلها ولم تكن حقيقتنا محلاة
ومترينة بمقائد أهل السنة والجماعة لانفتقد تلك الاحوال شيئا غير الخذلان
ولئن اجتمع فينا القصور والنقصان الظاهرية وحقيقتنا مستقيمة على
عقائد أهل السنة والجماعة لا نرى بأسا في ذلك فثبت أن الاعتقاد مقدم
على العمل ، كما أن العلم مقدم عليه لقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾
كما حققه الشيخ احمد السمرهندي في المكتوب (١٦٠ - ١٦٤) من مکتوباته .

قال الجامع المصنوع والاصل في هذه المسئلة ما رواه الشيخان في
الصحيحين وأبو داود في سننه واللفظ له بسنده عن علي رضي الله عنه
أنه قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن
القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئا ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئا ؛
ولا صيامكم الى صيامهم شيئا ، يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو
عليهم ، لا يتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من
الرمية » وفي سنن ابن ماجه بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله ﷺ « أن قوما يتعبدون يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم وصومه مع صومهم » الحديث وفيه دليل على أن كثرة الصلاة
والصيام والقربات لا تنفع مع العقيدة الفاسدة ، كذا حرره المحدث الفقيه

شاه عبد الغنى الدهلوى رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ احمد السرهندى فى المکتوب (٢٩ — و — ٥٣)
من مکتوباته اعلم أن مدار الامر على القلب ، فان كان القلب متعلقا
ومفتونا بغير الله تعالى فذلك القلب خراب وأبتر ، ولا يحصل شىء
من مجرد الاعمال الصورية والعبادات الرسومية ، بل لا بد من كل من
سلامة القلب والاعمال الصالحة المتعلقة بالبدن التى أمر الشرع بفعلها
ودعوى سلامة القلب بدون اثبات الاعمال الصالحة باطلة ، كما أن
وجود الروح بلا بدن غير متصور فى هذه الدنيا كذلك وجود البدن
بدون روح باطل وكثير من الملحدين يدعون هذه الدعوى فى هذا
الزمان نجانا الله تعالى عن معتقداتهم السيئة .

وفى المکتوب (٧٣ — و — ٨٥) منه أيضا وصورة الصلاة
والاسلام لا تنفع من النجاة شيئا ، بل لابد لحصول النجاة من تحصيل
اليقين والاعتقاد الصحيح ، وقد تقرر عند الحكماء أن المريض مادام
مريضا لا ينفعه غذاء أصلا ولو كان من أعز الاكل وأحسنه ، فلا بد
أولا من إزالة مرضه ثم الاجتهاد فى تحصيل القوة بالاغذية المناسبة
فكذلك الانسان مادام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لا تنفعه
عبادة وطاعة أصلا . الخ . فاللازم علينا أولا تصحيح العقائد على
مقتضى الكتاب والسنة على نهج أهل السنة والجماعة ، ثم علم الاحكام
الشرعية من الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ثم العمل بمقتضاه ،

فما لم تصح العقيدة لا ينفع العلم ولا العمل شيئاً ، وهذا هو الأساس .
قال الجامع المعصومي وفقه الله لما فيه رضاه ، ان كثيراً من الناس
مغرورون بالظاهر ، ومفتوتون بالالفاظ والصور ، فلا يتدبرون المعاني
ولا يتفكرون في المقاصد والمطالب ، الا النادر ممن وفقه الله تعالى من
أولى الالباب .

ولا يخفأك يا أخى هل المقصد من الجوز واللوز والفسق غير
لبيه ، فلا يغتر بالقشور الا الصبيان أو من يشابههم وقد ذكر العلامة
المزبن عبيد السلام في اواخر كتابه (قواعد الاحكام في مصالح الانام)
مانعه ان معظم الناس خاسرون ، وأقلهم رابحون ، فمن أراد أن ينظر
في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة متفهماً ومتدبراً
فان وافقهما فهو الرابح ان صدق ظنه في موافقتهما ، وان كذب ظنه
فيا حسرة عليه . وقد أخبر الله تعالى بخسر الخاسرين وربح الرابحين ،
وأقسم بالعصر إن الانسان لفي خسر الا من اجتمع فيه أربعة أوصاف
الايان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، واجتماع
هذه الخصال في الانسان عزيز نادر في هذا الزمان الا من وفقه الله
تعالى ، فكم من جاهل يظن انه عالم ، وكم من غافل يظن انه متيقظ ،
ومن عاص يظن انه مطيع ، ومن بعيد يظن انه قريب ، ومن مخالف
يظن انه موافق ، ومن منتهك يعتقد انه متمسك ، ومن مدبر يعتقد انه مقبل ،
وآمن يعتقد انه خائف ، ومن مرء يعتقد انه مخلص ، ومن ضال يعتقد انه

مهتدى، ومن عم يعتقده انه مبصر، ومن راغب يعتقده انه زاهد، ومن
عمل يعتمد عليه المرأى وهو وبال عليه، ومن طاعة يستهلكها المستمع وهي
مردودة عليه، والشرع ميزان يوزن به الرجال، وبه يتيقن الربح من
الخسران؛ فمن رجح في ميزان الشرع كان من اولياء الله، وتختلف
مراتب الرجحان، ومن نقص في ميزان الشرع فاؤلئك اهل الخسران،
وتتفاوت خفتهم في الميزان، وأخسها مراتب المشركين والكفار،
ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهى الى منزلة مرتكب اصغر الصغائر،
فاذا رأيت انسانا يطير في الهواء او يمشى على الماء او يخبر بالمغيبات؛
ويخاف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل؛ او يترك الواجبات
بغير سبب مجوز، فاعلم انه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة واهل الضلالة،
وليس ذلك ببعيد من الاسباب التى وضعها الله للضلال، فان الدجال
يحيى ويميت فتنة لاهل الضلال، وكذلك من يأكل الحيات ويدخل
في النار؛ فانه مرتكب للحرام بأكل الحيات، وفان للناس بدخول
النيران ليقعدوا به فى ضلالتهم، ويتابعوه على جهالتهم. الخ. قلت وكل
هذه ناشئة من عدم الفهم حقيقة الشرع والاوامر الالهية، او عناد
وتكبر وضلالة، نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة؛ والحاصل ان من
لم يفهم المعنى فهما صحيحا يقع فى هاوية الضلال وردغة الخيال، فلا
ينفعه الصور والجمال، نسأل الله تعالى ان يرزقنا فهما لمعانى كتابه،
ويوفقنا للعمل به مخلصا لله تعالى آمين

(فصل)

الفاتحة أم الكتاب وام القرآن

إنما سميت بالفاتحة لأنها أول القرآن في هذا الترتيب ، وهي نزلت بمكة خلافا لمجاهد رحمه الله تعالى فالاجماع على أن الصلاة كانت بالفاتحة لأول فرضيتها ، ولا شك أن ذلك كان بمكة ، وقال بعضهم إنها نزلت مرتين مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، وأخرى بالمدينة حين حوت القبلة والله تعالى اعلم

وإنما سميت بام القرآن لأنها تشتمل على جميع ما في القرآن ، لأن القرآن ما نزل إلا لأجل أمور أولها التوحيد ، والثاني الوعد والتبشير لمن عمل به ، والوعيد والانذار على من اعرض عنه . وقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والعزة والسلطان ، وأوعد المخالفين بالخرى والشقاء في الدنيا ، كما وعد المؤمنين في الآخرة بالجنة والنعيم ، وأوعد الكفار بالمذاب ونار الجحيم ، والثالث العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبت في النفوس ، والرابع قصص من وقف عند حدود الله تعالى وأخبار الذين تمدوا حدوده كما سنفصله إن شاء الله تعالى ومن آيات ذلك وامثلته أن السنة الإلهية في هذا الكون ، سواء كان كون إيجاد أو كون تشريع ، أن يظهر سبحانه الشيء مجملا ، ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا ، وما مثل الهدايات الإلهية إلا مثل البذرة والشجرة العظيمة ، فهي بدايتها مادة حياة تمتوى على جميع أصولها ، ثم تنمو

بالتدريج حتى تدسق فروعها بعد ان تعظم دوحتها ثم تجود عليك
بشرها والفاحة مشتملة على مجمل ما في القرآن وكل ما فيه تفصيل
للأصول التي وضعت فيها وهذا لا شك فيه ولا ريب فعلى هذا تكون
الفاحة جذيرة بان تسمى ام القرآن وام الكتاب كما نقول ان النواة ام
النخلة فان النواة مشتملة على شجرة النخلة كلها حقيقة لا كما قال بعضهم
ان المعنى في ذلك ان الام تكون اولاً وبأن بعدها الاولاد .

نزلت هذه السورة لتعليم العباد كيف يتبركون باسم الله عز وجل
في سائر احوالهم وكيف يحمّدونه ويستعينون به فيبتدئ القاريء قائلا
اقراء متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلال النعم كالسموات والارض
والصحة والعقل والرحيم المنعم بدقائقها كسواد العين وتلاصق شعرات
اهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها مع ان النور يلعب من
خلالها وهكذا اهتم الله الانبياء واوحى اليهم ان يعلموا العباد كيف
يتبركون باسم الله في اول اعمالهم كالقراءة والاكل ذا كرين ربهم ورحمته
الواسعة التي عمت سائر العوالم فيمتلئ قلب العبد ايقاناً بالرحمة واستبشاراً
بالنعمه وفرحاً برحمة الرحمن الرحيم فاذا ابتدأ القاريء بالتسمية وامتلأ
قلبه بتلك الرحمة لا جرم ينطلق لسانه بالحمد بعد ان افعم قلبه بالاجلال
فيقول الحمد لله ها انا ذا عرفت رحمة الله سارية في سائر العوالم ، ولقد
علمت ان كل من انعم عليه بنعمة يشكر مسديها ، فالولد يشكر والديه
على التربية ، والضعيف الذليل يشكر القادر الشجاع الذي انقذه من الذلة

والمتعلم يشكر العالم الذي أسبغ عليه نعمة العلم ، كما ذكره الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى في تفسيره .

وقال ايضا هذه السورة تسمى فاتحة الكتاب وام القرآن وام الكتاب والوافية والكافية ، ولقد يعجب القاري من تسميتها بام القرآن وبام الكتاب وبالوافية وبالكافية ، وكيف تقرأ في كل صلاة ، فيعلم ذو اللب ان الذي يتلى على اللسان دائماً ، ويتلوه الجاهل والعالم سرّاً وجهراً يصبح في انفس التالين من المألوفات التي لا يسعى الى شيء وراءها وتصبح كالسمع والنصر والعقل والجسم الانساني عند الجهلاء . فالتناسا رأوا اجسامهم والانهار والسماء والارض لم يظنوا فيها عجائب ولا غرائب لانها مكشوفة امامهم معروضة كل حين كالعالم في بلده والنبي في قريته . فمكثوا فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها واكثرهم جاهلون لا يعقلون ، ولذلك دأبنا الفرنجة فقتلت ابناءنا واستحييت نساءنا ونحن في غفلة معرضون وفي الالاعاب والترهات منهمكون .

واعلم ان العلماء هم الذين يعرفون اسرار الاشياء وحكمها فكذلك المفكرون هنا في القرآن هم الذين يعقلون الفاتحة وعلومها ، فاعلم ان الفاتحة تشتمل على الاشارات لجميع ما ورد في القرآن فاتحة الكتاب أي خطأ وبها تفتح القراءة في الصلاة ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور وقد ثبت في الصحيح كما رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين »

أم الكتاب وأم القرآن ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد
رضي الله عنه مرفوعاً (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) وروي الشعبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سماها اساس القرآن قال وأساسها بسم
الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى (الواقية)
وسماها يحيى بن كثير رحمه الله تعالى (الكافية) لانها تكفي عما عداها ولا
يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الاحاديث المرسلة (أم القرآن
عوض من غيرها وليس غيرها عوضاً عنها) ويقال لها سورة الصلوة لما
رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه
قال (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام)
ف قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ان نكون خاف الامام فقال اقرأ بها
في نفسك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول (قال الله عز وجل قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال (الحمد لله رب
العالمين) قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله
تعالى اثنى علي عبدي فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله تعالى مجدني
عبدي وقال مرة فوض الى عبدي فاذا قال (اياك نعبد واياك نستعين)
قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل واذا قال (اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل) وهكذا رواه
النسائي عن اسحاق ابن راهويه ورواه الترمذي وقال حديث حسن وقيل
ابو زرعه صحيح كما فصله الحافظ العماد ابن كثير في تفسيره الشهير .

فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها وهي مكية وقيل مدنية
ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والاشبه الاول قال الامام
البخارى في أول كتاب التفسير من صحيحه وسميت ام القرآن وأم
الكتاب لانه يبدأ بكتابها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلوة
وقيل انما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن
جرير رحمه الله تعالى في تفسيره والعرب تسمى كل جامع امرا او مقدم
لامر اذا كانت له توابع تتبعه هولها امام جامع اما فتقول للجلدة التي
تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون
تحتها أما وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها .
وهذه السورة المباركة اشتملت على حمد الله وتمجيده والثناء عليه
بذكر أسمائه الحسني المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر للعاد وهو يوم
الدين وعلى ارشاده عبده الى سوائه والتضرع اليه والتبرؤ من حولهم
وقوتهم والى اخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه
ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل ، والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط
المستقيم وهو الدين القويم ، وتنبيئهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز
الصراط الحسية يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم ، في جوار النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، واشتملت على الترغيب في الأعمال
الصالحة ، لئلا يكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا
يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون ، قال
المحقق الفخر الرازي في مفاتيح الغيب أن سورة الفاتحة لها اسماء كثيرة

وكثرة الاسماء تدل على شرف الاسمى منها فاتحة الكتاب سميت بذلك الاسم لانه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة ، ولان الحمد فاتحة كل كلام ، ومنها أم القرآن لاسباب الاول أن أم الشئ ، أصبه ، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة : الآلهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الآلهيات ومالك يوم الدين يدل على المعاد ، وإياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفى الخبر والقدر وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، واهدنا الصراط المستقيم الخ . يدل أيضاً على اثبات قضاء الله والقدره وعلى النبوات فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها لقبى بأم القرآن .

والثاني أن حاصل جميع الكتب الآلهية يرجع الى أمور ثلاثة : أما الثناء على الله باللسان ، وأما الاشتغال بالخدمة والطاعة ، وأما طلب المكاشفات والمشاهدات فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله ثناء على الله ، وقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية بالجد والاجتهاد ، واعتراف بالمعجز والذلة والمسكنة والرجوع الى الله ، وأما قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فهو طلب للمكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات ، والثالث انما سميت بأم القرآن لان المقصود من جميع العلوم أما معرفة عزة الربوبية أو معرفة ذلة العبودية ، فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ يدل على أنه هو الآله المستولى على كل أحوال الدنيا

والآخرة ، ثم قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على ذل العبودية
فانه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ، ولا من
المكشفات الباطنة إلا باعانة الله تعالى وهدايته .

(الرابع) أن العلوم البشرية أما علم ذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وهو علم الاصول ، وأما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع ،
وأما علم تصفية الباطن وظهور الانوار الالهية ، والمقصود من القرآن
بيان هذه الانواع الثلاثة ، وهذه السورة الشريفة مشتملة عليها على أكمل
الوجوه . فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾
إشارة إلى علم الاصول ؛ لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته ، فقوله
﴿رب العالمين﴾ يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة
وجوده إلا بكونه رباً للعالمين ، وقوله الحمد لله إشارة إلى كونه مستحقاً
للحمد ، ولا يكون مستحقاً للحمد إلا اذا كان قادراً على كل الممكنات
علماً بكل المعلومات .

ثم وصفه بنهاية الرحمة وهو كونه رحماناً رحباً ، ثم وصفه بكمال
القدرة وهو قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ حيث لا يهمل أمر المظلومين
بل يستوفى حقوقهم من الظالمين وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات
والصفات وهو علم الاصول ثم شرع بعده في تقرير علم الفروع وهو
الاشتغال بالخدمة والعبودية وهو قوله إياك نعبد ثم مزجه أيضاً بعلم
الاصول مرة أخرى وهو ان وظائف العبودية لا تكمل إلا بالاعانة
الربوبية ثم شرع بعد ذلك في بيان درجات المكشفات وهي على كثرتها

محصورة في أمور ثلاثة اولها حصول هداية النور في القلب وهو المراد من قوله اهدنا الصراط المستقيم والثاني ان يتجلى له درجات الابرار المطهرين من الذين انعم الله عليهم بالجلال والقدسية والجواذب الالهية حتى تصير تلك الارواح القدسية كالاريا المجلوة فينعكس الشعاع من كل واحدة منها الى أخرى وهو قوله صراط الذين أنعمت عليهم ونائها أن تبقى مصونة معصومة عن أوزار الشهوات والشبهات وهو قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فلاشتمال هذه الزرة على هذه الاسرار العالية سميت بام القرآن كما ان الدماغ يسمى أم الرأس لاشتماله على جميع الحواس والمنافع ومن اسمائها سورة الحمد والسبع المثاني ، والواقية والكافية والاساس والشفاء والصلوة والسؤال ، والشكر والدعاء وغيرها

قال الفخر الرازي أيضا وروى عن الحسين رضي الله عنه انه قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب من السماء فودع علوم المائة في الاربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والقرآن ثم أودع علوم هذه الاربعة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة فمن علم تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكأنما قرأ تلك الكتب كلها فاسأل الله تعالى أن يوفقني وجميع المؤمنين لقراءتها وتدبر معانيها والاعتقاد والعمل بها آمين .

فصل

في ما ورد في فضل الفاتحة

وقد ذكر العلامة العباد ابن كثير في تفسيره الشهير روى الامام احمد في مسنده عن ابي سعيد بن المولى رضي الله عنه قال كنت أصلي فدعاني

رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت فاتيته فقال ما منعك أن تأتيني قال قلت يا رسول الله اني كنت أصلي قال لم يقل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحْيِيكم ﴾ الآية ثم قال لا علمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فاخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا علمك أعظم سورة في القرآن قال نعم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته « وهكذا رواه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وذكره عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب وروى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه بسندهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يذنا رسول الله ﷺ وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضاً فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قدفتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتي النبي ﷺ فقال ابشر بنورين قدأوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفاً منها الا أوتيته واللفظ للنسائي

قال العبد الضعيف المعصومي عفي الله تعالى عنه وقد روى احمد في مسنده والبيهقي في الشعب وذكره السيوطي في الدر المنثور عن عبد الله ابن جابر رضي الله عنه انه قال ان رسول الله ﷺ قال الا أخبرك باخير سورة نزلت في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب وقال فيها شفاء من كل داء وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال أن رسول الله ﷺ قال فاتحة

الكتاب شفاء من السم وروى الدارمي والبيهقي عن عبد الملك بن عمير رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وروى البزار في مسنده وابن كثير في تفسيره عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد أمنت من كل شيء الا الموت وعن رجاء الغنوي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ أستشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه. قلنا وما ذلك يا رسول الله قال الحمد لله وقل هو الله احد فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء الله وروى ابو الشيخ ابن حبان والسيوطي في الدر المنثور والدرر المنتثرة عن عطاء رحمه الله تعالى مرسل انه قال الفاتحة لما قرئت له واذا أردت حاجة فاقرا بفاتحة الكتاب حتي تختمها تقضي انشاء الله تعالى

قال الفخر الرازي في تفسيره من قرأ سورة الفاتحة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمناً من الدركات السبع في جهنم قال العبد الضعيف المعصومي لانه صار مؤمناً كاملاً ومن هذا شأنه فلا شك انه من الفالحين الفائزين فيارب اجعلنا منهم بفضلك يا أرحم الراحمين .

فصل

في انواع الكفر والشرك الذي كان في عصر النبي ﷺ
« وازل القرآن لبيانه »

منهم من كان لا يعرف خالق العالم وينكر وجوده تعالى ويعتقد ان الاشياء حادثة بنفسها توجد بها الطبيعة والمادة والذهر وهم الدهريون والطبيعويون والماديون والمنجمون كفرعون واضرا به والبلاشفة في هذه

الايام وقد بين الله عز وجل اثبات وجوده ودل عليه بوجود مخلوقاته
وعجائب مصنوعاته كما فصله في آيات كثيرة كما قال تعالى في سورة ابراهيم
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى . قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا .
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وفى
سورة البقرة ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَاقِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
مَاءٍ فَأَحْيَاءَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وحكى
الله تعالى عن المنكرين كما فى سورة المؤمنين أنهم يقولون ﴿ ايعلمكم انكم اذا
متمم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ؛ هيهات هيهات لما تعدون ان
هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمعوثين ﴾ وفى سورة الشعراء
﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ؛ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ وفى
سورة المؤمن ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰمَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ
أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلُعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ ، وَإِنِّى لَظَنُّهُ كَاذِبًا ؛ وَكَذَلِكَ زَيْنَ
لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّعْنِ السَّبِيلَ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ وفى
سورة الجاثية ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ آلِهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ؛ وَخَتَمَ
عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم

بذلك من علم ؛ أن هم لا يظنون ﴿ وهؤلاء الكفار الدهريون ومنكروا
وجود الله الخالق الباري رب العالمين كانوا في نواحي مصر والفرس
والهند والصين . وفي هذه الايام كثروا في بلاد الروس وسائر بلاد
أوروبا وأمريكا والصين . واشتهروا باسم القومونيست والشيوعية
والبلاشفة . ابادهم الله تعالى وأهلكهم وطهر الدنيا عنهم .

ومنهم من كانوا يعرفون الله تعالى ويصدقون بوجوده . ويقرون
بأنه خلق الخلق وربهم وربهم وان الجنة والنار موجودتان الى غير ذلك
من الالهيات ، ولكنهم يقولون أنه لا يمكن الوصول اليه إلا بالوسائط
والشفعاء . فيقصدونه بملوك الدنيا ، فيتخذون الوسطاء ويخضعون لهم
ويخشونهم ويرجون منهم فيتضرعون اليهم ، وينذرون اليهم ويمبدونهم
مدعياً أنهم شفعاؤهم عند الله فهم يقربونهم إلى الله زلي ، وهم جمهور
العرب واليهود والنصارى والمجوس فإذا الله أنهم مشركون وكفار ، وما
نفعهم اقرارهم بوجوده تعالى وقولهم انه رب السموات والأرض ، بل
طلب منهم أن لا يعبدوا إلا إياه ولا يخضعوا إلا له ولا يخشوا إلا منه ؛
ولا يتذروا إلا اليه ؛ وان لا يدعوه بدعاء وان لا يتخذوه شفعاء لأنه
تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ؛ وهو معهم أينما كانوا فلا يحتاج إلى
الشفعاء وهو يجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويدفع البلياب وليس له
معين ولا وزير وهو غني عن العالمين .

فارسل الله تعالى محمداً ﷺ اليهم فدعاهم إلى توحيد الله توحيد العبادة
وان يتبرؤا من معبوداتهم وشفعاتهم بالجملة وأنهم وان اعترفوا بتوحيد

الربوبية ولكنهم اشركوا في العبادة والالوهية فبذلك صاروا مشركين فأوعدهم الله تعالى وانذر، وعما كانوا عليه حذر وزجر، كما افاد في آيات كثيرة سأتلوه عليك ان شاء الله تعالى، واني قد شاهدت الصينيين البوديين ومجوسهم وبراهمة الهند والتبت أنهم يقرون بوجود الله تعالى وأنه خالق العالم ويشيرون الى السماء ويقولون ان الله موجود في السماء وهو الخالق العليم الخبير، ولكنهم يخضعون لهيأتهم وينذرون اليهم ويعبدونهم بدعوى أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى؛ فبذلك كفروا واشركوا فاستحقوا الوعيد الشديد .

والحاصل أن جميع الكفار والمشركين ما عدا الدهريين يقرون بوجود الله تعالى وأنه الخالق، ولكن ما نفهم هذا الاقرار؛ ولم يدخلهم في الاسلام، بل شرط التبرئ عن كل الشفعاء والوسائط والمعبودات كلها، وفصل ذلك فيما أنزله على رسوله محمد ﷺ، وها أنا أتأولك بعض تلك الآيات بحوله تعالى وقوته، ففي آخر العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فإني يؤفكون، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله؛ قل الحمد لله؛ بل أكثرهم لا يعقلون، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين؛ فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا؛ وان الله مع المحسنين ﴾ وفي لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله؛ بل أكثرهم لا يعلمون، ذلك بان الله هو الحق،

وان ما يدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلي الكبير ؛ واذا غشهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاكم إلى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختال كفور ، يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرر ﴿ وفي سورة الزمر ﴾ ولئن سألتهم من خالق السموات والأرض ليقولن الله ، قل أفراأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبى الله ، عليه يتوكل المتوكلون ﴿ وفي آخر سورة الزخرف ﴾ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴿ .

فانظروا إلى هذه الآيات وامثالها ، وتفكروا فيها وتدبروا إن كل الكفار والمشركين ينفرون بوجود الله تعالى وأنه خالق السموات والأرض وأنه مسخر الشمس والقمر ، وأنه هو الذى ينزل من السماء المطر فيحيى به الأرض وأنه هو الذى ينجيهم من أمواج البحار وطفوفان البلاء ، ومع كل هذا ما نفعم ذلك الاعتراف والافرار ، وما نجاكم من عذاب النار ، وغضب الله الواحد القهار ، بل شرط مع ذلك أن يتبرؤا من كل ما يعقدونه إلهاً ومعبوداً ونافعاً وضاراً من دون الله تعالى وأن لا يعبدوا إلا إياه . وأن يؤمنوا بكل ما جاء به النبي محمد رسول الله ﷺ ويلتزموا شريعته . فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك . وأفاد ان كل ما فيهم من دعاء من

دون الله وعبادته أو فهم في خيال الشرك وظلمات الضلال . فاعتبروا
يا أولى الابصار .

تنبيه ان كان اعتراف الكفار والمشركين بوجود الله وقولهم
الله لم ينفعهم . فهل ما يسميه أهل الطرق من اسم الذات (الله)
وتكرارهم ذلك ينفعهم . ويكون هو مأمورا به وذكر مشروعا . قد
اختلف الناس في ذلك . فبعض الصوفية عدوه ذكر مشروعا . فمروا
مر يديهم بتكرار ذلك (الله الله) وأما العلماء المحققون فقد عدوه بدعة .
كما بين العلامة ابن تيمية في رسالة الكرامة والمعجزات حيث قال .
أن بعض الصوفية يختارون الخلوات فيخرج الى أجناس غير مشروعة
فمن هؤلاء من يأمر المرید ان لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا .
في حديث نبوي ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر . ويقسمون
الذكر الى ذكر العامة وهو لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة الله الله ، وذكر
خاصة الخاصة هو هو . فتحصل لهم من هذه العبادات البدعية حالات
شيطانية ، وتنزل لهم الشياطين وخطاب شيطاني ، وبعضهم يطير
به شيطانه .

ولا شك ان الذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة في
الشرع وخطأ في القول واللغة . فان الاسم المفرد المجرد ليس هو كلاما
لا إيماناً ولا كفراً . قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال
« أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن ، سبحان الله وأحمد
الله ولا إله إلا الله والله أكبر » وفي حديث آخر « أفضل الذكر لا إله

الا الله وأفضل ما قلت انا والنبليون من قبلى . لا إله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . واما ذكر الاسم
المفرد فبذعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان . ولهذا
صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين انه ليس قصدنا ذكر الله
تعالى . ولكن جمع القلب على شئ معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها .
فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات . فاذا اجتمع قلبه القى
عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان ويخيل اليه انه قد صار فى الملاء
الأعلى . ومقصودهم بذلك الجمع ان تجتمع النفس حتى ينزل فيها
الشيطان . وقد يأمرؤن ان يقعد فى مكان مظلم وينطى رأسه
ويقول الله الله وابو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة فى الاحياء
وغيره . وهذا من بقايا الفلسفة عليه الخ . وكذا حققه العلامة ابن
القيم فى كتابه .

قال العبد الضعيف المهاجر وفى حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومى
النجندى عفى الله عنه ان لفظ (الله) وأمثاله قد يقر به جميع المشركين
والمجوس واليهود والنصارى ماعدى الدهرية المادية الطبيعية كما حررت
آنفاً ما حكاه الله تعالى عنهم من انهم يقولون بان الله موجود وانه خالق
السموات والارض ومنزل الامطار ورازق الاحياء ومع ذلك لا يعتبر
قولهم ذلك ولا يسمى قولهم الله ذكراً مشرعاً ولا حصل لهم به ثواب
ولا انهم صاروا مؤمناً به فاذا كان كذلك فلا يكون قائل الله الله ذكراً
ولاموحداً شرعياً اسلامياً . بل الذكر الاسلامى الشرعى المحمدى المنقذ

من الكفر والضلال والمحصل للثواب ورضا ذى الجلال انما هو لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ان من قال محمد محمد ولو الف مرة لا يكون مسلما ولا مصيبا الا اذا قال محمد رسول الله فكذلك لا يكون قائل الله الله ذاكر الله ولا موحدا ولا مخلصا ولا مسلما حتى يقول لا اله الا الله وهذا هو الذكر الذى يخرج صاحبه من الظلمة الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الجهالة الى العرفان فاني قد شاهدت كثيرا من اليهود والنصارى فى اوربا وروسيا وتركستان وعابنت جمعا وفيرا من المجوس والبوذيين والبراهمة فى بلاد الصين والهند انهم يذكرون لفظ الله بلغتهم ويقررون ويقولون انه تعالى موجود وانه خالق العالم ويشيرون الى السماء ولكن يشبتون له شركاء وينسبون اليهم التصرف فى الكون ويزعمون كائنهم نواب الله فلهذا لم ينفعهم قولهم الله الله ولا ادخلهم فى الاسلام فانتبهوا يا ايها الغافلون.

فصل فى بيان التعوذ من الشيطان الرجيم فى ابتداء القراءة.
وفى كل الازمان والحالات

امرنا الله تعالى كلما نريد ان نتلوا القرآن ان نستعيز بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم . وشر وسوسته حيث قال فى سورة النحل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) العوذ والتموذ والاستعاذة والاعاذة . والاستعاذة هى الالتجاء الى الله تعالى والاتصاف بجنابه تعالى من شر كل ذى

شر . فالعياذة تكون لدفع الشر واللياذة تكون لطلب جلب الخير
ومعنى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى استجير بحجاب الله تعالى من
الشيطان الرجيم ان يضرني في ديني او دنياي . او يصدني عن فعل
ما أمرت به او ليحطني على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه
عن الانسان الا الله عز وجل ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس
ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وامر
بالاستعاذة من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل
لانه شرير بالطبع فلا يكفه عنك الا الذى خلقه فالعائذ والمستعيز
هو الملتجئ ، والمعتصم الهارب الى ربه مما يخافه عموما وخصوصا . وقد
أمر الله تعالى عباده فى كتابه بالاستعاذه به فى مواضع من كتابه كما بينه
العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره الشهير والاستاذ الشيخ محمد عبده
ايضا فى تفسيره بينه احسن بيان .

وقال العلامة الفخر الرازى من تفسيره الكبير الموسوم بمفاتيح
الغيب وفى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسة أركان . الاستعاذة والمستعيز
والمستعاذ به والمستعاذ منه والشئ الذى لاجل تحصيل الاستعاذة فاعوذ
مشتق من العوذ . ومنه «الالتجاء والاستجارة والالتصاق كما يقال اطيب
اللحم عوده اى ما التصق منه بالعظم فعنى اعوذ بالله التجبى الى رحمته تعالى
وعصمته والصق نفسى بفضل الله ورحمته . والغرض من الاستعاذة الاحتراز
من شر الوسوسة ومعلوم ان الوسوسة كأنها حروف خفية فى قلب الانسان

ولا يطلع عليها احد فكان العبد يقول يا الله انت القادر على دفع هذه الوسوسة عني فادفعها عني بفضلك

ثم اعلم ان الاستعاذة لا تتم الا بعلم وحال وعمل . اما العلم فهو كون العبد عالماً بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدنيوية والدينية وعلى دفع المضار الدينية والدنيوية وان الله تعالى قادر على ايجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية قدرة لا يقدر احد سواه على دفعها عنه فاذا حصل هذا العلم في القلب يولد عن هذا العلم حصول حالة في القلب وهي انكسار وتواضع وبعبارة اخرى تلك الحالة بالتضرع الى الله تعالى والخضوع له فالركن الاعظم في الاستعاذة هو علمه بالله وعلمه بنفسه وأن يعلم انه لا يقدر احد سوى الله تعالى على ان يعينه على مقاصده اذ لو جاز ان يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبة قوية في الاستعاذة بالله وذلك لا يتم الا بالتوحيد المطلق واعني بالتوحيد المطابق ان يعلم ان مدبر العالم واحد وان العبد غير مستقل بفعال نفسه شام يعرف العبد عزة الربوبية وذلة لعبودية لا يصح منه ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن الناس من يزعم ان الذكر بالاسان فقط يكفيه فهذا ضعيف جداً لا ثمرة له

والركن الثاني المستعاذ به . وهذا قد ورد في القرآن والاحبار على وجهين . اعوذ بالله . واعوذ بكلمات الله . والمراد بكلمات الله هو قوله ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ والمراد من قوله كن نفاذ قدرته في الممكنات وسريان مشيئته في الكائنات بحيث يمنع ان يعرض

له عائق ومانع . والركن الثالث المستعيز واعلم أن أعوذ بالله امر منه تعالى لعباده ان يقولوا ذلك وهذا غير مختص بشخص معين فهو امر على سبيل العموم لانه تعالى حكى ذلك عن الانبياء والاولياء وذلك يدل على ان كل مخلوق يجب ان يكون مستعيزاً بالله فالانبياء عليهم الصلوات والتسليمات كلهم كانوا أبدأً في الاستعاذة من شر شياطين الانس والجن . كما سنفصله انشاء الله تعالى .

والركن الرابع المستعاذ منه . وهو الشيطان . والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ووسوسته . بناء على ماورد في الآثار انه يغوص في باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة وقد قال رسول الله ﷺ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث .

الركن الخامس المطالب التي لأجها يستعاذ فاعلم أنا بينما أن حاجات المبدغ غير متناهية فلا خير من الخيرات إلا وهو محتاج الى تحصيله ولا شر من الشرور إلا وهو محتاج الى دفعه وابطاله فقله أعوذ بالله يتناول دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانية وكلها أمور غير متناهية ونحن ننبه على معاقدها فنقول الشرور اما ان تكون من باب الاعتقادات الحاصلة في القلوب واما ان تكون من باب الاعمال الموجودة في الابدان اما القسم الاول فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة فيدخل فيه مذاهب فرق الضلال في العالم وهي اثنان وسبعون فرقة من هذه الامة وسبعمائة واكثر خارج عن هذه الامة فقله أعوذ بالله

يتناول الاستعاذة من كل واحد منها وأما ما يتعلق بالأعمال البدنية فهي على قسمين منها ما يفيد المضار الدينية والدنيوية فاما المضار الدينية فكل ما نهى الله عنه في جميع اقسام التكليف واعوذ بالله يتناول كلها وأما ما يتعلق بالمضار الدنيوية فهو جميع الالام والاستقام والحرق والفرق والفقر والزمانة والعمى وانواعها فقول اعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كل واحد منها وأما ما يستعاذ منه الجهل بأنواعه ويدخل فيه مذاهب اهل الكفر واهل البدعة على كثرتها والفسوق بأنواعها فيجب على العاقل انه اذا اراد ان يقول اعوذ بالله فإنه يستحضر في ذهنه هذا الاجناس كلها ويلتجى الى القادر على دفعها فيقول عند ذلك اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع اقسام الافات والخافات فالعبد حين يقول اعوذ بالله يفر الى الله ويلتجى اليه . فقرأ على نفسه بالعجز والافتقار فيشاهد سر قوله تعالى (ففروا الى الله) فالتعوذ بالله معترف بعجز نفسه وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة الى القرب من حضرة الله الا بالعجز والانكسار حكاية تناسب المقام وهي ما حكاها العلامة الخافظ ابر الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه نقد العلم والعلماء او تلييس ابليس . حكى عن بعض السلف انه قال له اميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول ارايت اذا مررت بغيرهم فنبحك كلها او منعك من العبور ما تصنع قال اكابده وازده جهدي قال هذا يطول عليك واسكن استمعن بصاحب النعم يكفه عنك انتهى قلت فينبغي على العاقل أن يتعوذ من الشيطان بالذي خلقه وسلطه على من شاء كما لا يخفى على العاقل الفطن فيا رب احفظنا من شر الشيطان الرجيم

تنبيه

﴿ في تحقيق لفظ الجلالة « الله » ومعناه ﴾

واما الله فعلم على الرب تبارك وتعالى وهو اسم لم يسم به غيره
تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف له في كلام العرب اشتقاق وان اختلفوا
وتكلموا فيه بما لا يفيد هنا فقل انه مشتق من الهت الى فلان اى سكنت
اليه والعقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تفرح الا بمعرفته لانه الكامل
على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾
وقيل اله الفصيل اذا ولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون وموحدون
بالتضرع اليه في كل الاحوال وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من
امر تزل به فآله اى أجاره فالحجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله
سبحانه لقوله تعالى ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ : اختار الفخر الرازى انه اسم
غير مشتق البتة وقال وهو قول الخليل وسبويه واكثر الاصوليين والفقهاء .
وذكر ابن كثير في تفسيره وقيل مشتق من اله الرجل اذا تعبد
وتأله اذا تنسك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما (ويذكرك وآلهتك) اى
عبادتك ويقال ان الله هو الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال
تعالى ﴿ هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء
الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ فجرى
الله الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى ﴿ والله الاسماء الحسنى فادعوه

بها ﴿ وقال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ﴾ وفي الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ
قال ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل
الجنة » وجاء تعدادها في رواية اترمذى وابن ماجه : وبين الروایتين
اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى في تفسيره عن بعضهم ان لله
خمس آلاف اسم الف في الكتاب والسنة الصحيحة والف في التوراة
والف في الانجيل والف في الزبور والف في اللوح المحفوظ والله أعلم .

وفي مجموعة التوحيد النجدية نقلا عن كتاب البدائع لابن القيم
الجوزية والآله هو الذى تأله القلوب بحبة وإجلالا وإناابة واكراما
وتعظيما وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلا عليه وسؤالاً منه ودعاء له
لا يصلح ذلك كله الا لله وحده فمن أشرك مخلوقاً في شئ من هذه الامور
التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا اله الا
الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وقال ابو عبد الله
القرطبي في تفسيره (لا اله الا الله) اى لا معبود الا الله وقال ابن تيمية
الاله هو المعبود المطاع فان الآله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد
وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون
هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع والآله هو المحبوب
المعبود الذى تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتذيب
اليه في شدائدھا وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتاجأ اليه
وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا لله وحده ولهذا كانت

لا اله الا الله اصدق الكلام و كان أهملها اهل الله وحزبه والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فاذا صححت صح بها كل مسألة وحال وذوق واذا لم يصححها العبد فافساد لازم له في علومه وأعماله وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم فيما سعادة من هدى الى معرفة حقيقة دين الاسلام واتبعه .

فصل

في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته

وأما الشيطان فاسم لكل عارمات من الجن والانس؛ والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر و بعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى . لكن الاول أصح وقال سيدي به العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح وهذا يسمى كل من تورد من جنى وأنسى وحيوان شيطانا قال الله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ وفي مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من شياطين الانس والجن فقلت أول الانس شياطين قال نعم » وورد أن الكلب الاسود شيطان وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبختر افتزل عنه وقال ما حمله وفي الاعلى شيطان » اسناده صحيح كما ذكره العلامة الهادي بن كثير في تفسيره وقال الامام البغوي

في تفسيره الشيطان المتمرد العاني من الانس والجن ومن كل شيء واصله
البعد سمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وكذلك
ذكره الاصفهاني في غرائب القرآن ومحمد عبده في تفسيره وكذا في
المدارك والخازن وغيرهما .

وأما الرجيم فهو بمعنى المرجوم . وفعليل بمعنى فاعل . اي يرمم
بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشبه عند استراق
السمع وقيل مرجوم بالمداب وقيل مرجوم بمعنى مردود ومطروح عن
الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة والى وقال ابن كثير في تفسيره
والرجيم فعليل بمعنى مفعول اي انه مرجوم مطروح عن الخير كله وقيل
رجيم بمعنى راجم لانه يرمم الناس بالوسواس والرباثة والاول اشهر
وأصح

في حكم الاستعاذة

وأما حكم الاستعاذة فاتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلوة
ويستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكى عن
عطاء رحمه الله وجوبها سواء كانت في الصلاة أو خارجها لظاهر قوله
تعالى ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ والامر الموجب وان النبي ﷺ واظب على التعوذ
فيكون واجبا ووقتها قبل القراءة عند الجمهور سواء كانت في الصلوة
أو خارجها وان قال البعض ان القارىء يتعوذ بعد القراءة لظاهر سياق
الآية . أو يتعوذ أولا وآخرأ جمعا بين الدليلين ولكن المشهور الذي
عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الوسوس عنها

ومعنى الآية عندكم ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستمعوا له من الشيطان الرجيم ﴾ اي اذا أردت القراءة كقوله تعالى ﴿ اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم ﴾ الآية اي اذا أردتم القيام والدليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ وقد روى الامام احمد في مسنده واصحاب السنن الاربعة بسندهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك) ثم يقول لا اله الا الله ثلاثاً ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه قال الترمذي هو اشهر شيء في هذا الباب ، وكذا عن جبير بن مطعم وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي أمامة الباهلي وغيرهم رضي الله عنهم ، فجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحمة يأثم تاركها . وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة ، وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفي في إسقاط الواجب ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية (فاستمعوا) وهو أمر وظاهره الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها ولأن الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، وقال بعضهم كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته ، وإذا قال المستعبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفي ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقال آخرون

بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم ،
 قاله الثوري والاوزاعي رحمهما الله تعالى وحكى عن بعضهم انه يقول
 استعيز بالله من الشيطان الرجيم ، لمطابقة أمر الآية ، والاحاديث
 الصحيحة أولى بالاتباع من هذا كما تقدم والله أعلم
 واعلم أن الله تعالى كما أمر بالاستعاذة من الشيطان في أول قراءة
 القرآن كذلك أمر بالاستعاذة منه في جميع الحالات ، لان الشيطان
 هو العدو المبين الذي أضل ابانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ،
 وأخرجهما من الجنة مدعياً انه ناصح لهما ، فهو عدو لبنييه الى يوم القيامة ،
 فينبغي على كل واحد منا ذكرّاً او انثى أن يستعيز بالله من شره ووسوسته
 ونفثه ونفخه ، وقد استعاذ منه من هو خير منا ومن كل البرية ، الا
 وهو سيد المرسلين سيدنا محمد وكذا سائر الانبياء والمرسلين عليهم
 الصلوات والتسابيات ، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم وأمر به حيث
 قال في سورة الاعراف ﴿ وإما يترغّبك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله
 انه سميع عليم ﴾ ﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
 تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ واخوانهم يمدونهم في النفي ثم لا يقصرون ﴿
 وفي سورة الحجر قال الشيطان حين ما من وطرد ﴿ قال رب بما اغويتني
 لازين لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين ﴾ الاعدادك منهم المخلصين ﴿
 قل هذا صراط على مستقيم ﴾ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
 الا من اتبعك من الغاوين ﴿ وفي سورة المؤمنون ﴿ وقل رب أعوذ
 بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وفي سورة

المؤمن ﴿ وان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم. ان في صدورهم
 الاكبر ماعم يبالغيه . فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ وفي سورة
 حم السجدة ﴿ واما ينزعنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
 السميع العليم . وقل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر
 غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا
 حسد . وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . آله الناس . من شر
 الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾
 وان أم مريم عليها السلام قالت ﴿ واني أعيذها ﴾ أي مريم ﴿ بك
 وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فوجدت الخلعة والقبول وهو قوله تعالى
 ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ﴾ وقد قل نوح عليه السلام
 كما حكى الله تعالى عنه ﴿ انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾
 وقال يوسف عليه السلام حين راودته المرأة ﴿ معاذ الله انه ربى أحسن
 مثواى ﴾ وقال حين قيل له خذ أحدنا مكانه ﴿ معاذ الله ان نأخذ إلا من
 وجدنا متاعنا عنده ﴾ وان موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقرة
 قال قومه ﴿ اتخذنا هزواً ، قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ﴾
 ولما خوفه قومه بالقتل ﴿ قل إني عذتُ بربى وربكم ان ترجون ﴾ واني عذت
 بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وان الله تعالى أمر
 محمداً ﷺ بالاستعاذة مرة بعد أخرى فقال ﴿ وقل رب أعوذ بك من
 همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، وقل أعوذ برب الفلق
 وقل أعوذ برب الناس .

فصل

في بيان عداوة الشيطان لبني آدم

اعلم أنه لا شك في عداوة الشيطان لآدم وبنيه ، فيوسوسهم من كل باب . كما أخبر الله تعالى عن ذلك في غير موضع من كتابه ، وليس للشيطان مطلب غير هلاك ابن آدم لشدة عداوته لآدم وبنيه كما قال تعالى ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال ﴿ فبمزتك لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وقال تعالى ﴿ فازلحها الشيطان عنها فاخرجها مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بمضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ وقال في سورة الاعراف قال الله : ﴿ ما منعك يا ابليس ﴾ الا تسجد اذ أمرتك . قال انا خير منه ؛ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فقال ابليس بعد ان طرد ﴿ قال انظرنى إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين ، قال فما اغويتني لأفعلن لهم صراطك المستقيم ، ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا نجداً أكثرهم شاكرين ؛ وناداهما ربهما أي آدم وحواء ، ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتها ؛ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون ﴿ فانظروا الى هذه الآيات وتفكروا فيما يفعله الشيطان من الفتنة والاغواء والوسوسة ، وآرائته نفسه ناصحاً . والتزامه أنه يفوى الناس كلهم بكل طريق ووسيلة ، فيجب حتماً على كل عاقل ان يتعوذ بالله منه ، وان يلتجئ الى الله ليحفظه من شره .

ثم اعلم يا أخى العزيز كما أن الشيطان يكون من الجن والابليس كذلك يكون أيضاً من الآدمي والانس ، فكما ينبغى التعموذ من شيطان الجن كذلك يلزم التعموذ من شياطين الانس ، وربما يكون اغواء شياطين الانس أشد وأضر للمجانسة والمصاحبة الظاهرية كما أفاد الله تعالى ذلك في غير موضع من كتابه حيث قال في سورة البقرة ﴿ واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ﴾ اى اذا اجتمع للنافقون مع أكابرهم ورؤسائهم ودجاجلتهم قالوا انا معكم فى السر . قلت ككثير ممن هو فى زى العلماء والمشايع الذين يخدمون للنصارى المستعمرين سرّاً ويتجسسون لهم على المسلمين فبذلك شتموا شمل المسلمين كما هو الشاهد فتعوذ بالله منهم ومن شرورهم . وفى سورة الانعام ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً . وان تطمأ كثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴿ وفى مسند الامام احمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » . فقلت أو

للانس شياطين قال نعم . وفي مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنوت بسنتى . وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس . الحديث . فثبت بهذه الآيات والاحاديث ان للانس يكون شيطاناً . وسوستهم وإفسادهم أشد واكبر من شياطين الجن . ولهم أحزاب ومعاونون يضلون الناس عن الصراط المستقيم الى صراط الجحيم . قال تعالى فى سورة المجادلة (استحوذ) استولى (عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله . اوائك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) حزب الشيطان هم الأئمة المضلون . والرؤساء الداجلة المنكبرون من كل ملة وفرقة . كعبد الله بن سباء ومقنع السمرقندى وآخرهم فى هذه الأعصار ميرزا احمد القادىانى الهندى وقاسم أمين بك المصرى . وموسى جارا لله الروسى واضرابهم فانهم افسدوا عقيدة المسلمين بدعواهم الاصلاح . وهم كذابون ودجالون وقد أجروا أنفسهم للمستعمرين وابشروا بالبلاشفة واللا دينيين .

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء وحذر أمتهم منهم . كما ثبت فى أحاديث صحيحة . منها ما رواه مسلم فى اول صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم . وروى البخارى فى الفن ومسلم فى الامارة من صحيحهما عن حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير

وانا كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . قال قلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير . قال نعم وفيه دخن (أى كدبرة) قلت وما دخنه . قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر . قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت يا رسول الله صنفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا . قلت فما تأمرني أن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام . قال فاعزل تلك الفرق كلها ولو تمض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . وعن يوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، رواه أبو داود والترمذي واللفظ له في الفتن ، وفي رواية « إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين » .

وما أضل المسلمين إلا أئمة المضلون . وما أهلك الناس إلا الدجالون الكذابون ، وأما العوام الساكنين فهم لهؤلاء تابعون ، فإذا جاء يوم القيامة وظهرت حقيقة الأمر يقول أهل الضلال كما أخبر الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ فلتدارك ذلك قبل وقوعه أمرنا الله بالاستعاذة من شر الشياطين فيجب علينا أن نتفكر ذلك كله فنستعين بالله من كلهم . وسأفصل أنواع الشياطين وأصنافهم وعلاماتهم بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى الرحمن المستعان المنان .

فصل

في خواص التعمود ونتائجه

فاعلم أن الاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى
ومن لطائف الاستعاذة أنه اقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف
من العبد بقدرة الباري عز وجل، وأنه هو الغني القادر على دفع جميع
المضرات والآفات. واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين
ففي الاستعاذة الالتجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان
الفاجر النوى، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى، وإن من
لطائف الاستعاذة أنها طهارة للقم مما كانت يتعاطاه من اللغو والرفث
وتطيب له لتلاوة كلام الله تعالى، وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة
وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر
على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه. وهو لا يقبل مصانعة. ولا يدارى
بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان. كما دلت على ذلك آيات من
القرآن قال تعالى ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾
ومن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيداً. ومن قتله العدو الباطني
كان طريداً. ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو
الباطني كان مفتوناً أو موزوراً. ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث
لا يراه استعاذ منه بالنبي يراه ولا يراه الشيطان. كما ذكره للهاد ابن
كثير في تفسيره الشهير.

وينبغي للمستعيز أن يستعيز بالله من جميع المنهيات والمحظورات سواء كانت اعتقادية أو عملية ، والاقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان . وذلك هو الاستعاذة بالله . وسر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك . ومن أجل الامور التي يلقي الشيطان وسوسته فيها قراءة القرآن . لان من قرأ القرآن ونوى بها عبادة الرحمن وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبيناته . ازدادت رغبته في الطاعات ورهبته عن المحرمات فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات . فلا جرم كان سمي الشيطان في الصد عنه أبلغ . وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد . فلهذه الحكمة اقتضت قراءة القرآن الاستعاذة . والعبد حين يفر إلى ربه قائلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يستقر في خدمة مولاه . بيسم الله الرحمن الرحيم . والعبد يطهر باطنه وظاهره من تلويثات النفس والشيطان بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا حصل الطهور يستعد لخدمة مولاه وذكره بيسم الله الرحمن الرحيم

نعم اعلم ان ارباب الاشارات قالوا ان لك عدوان احدهما ظاهر والاخر باطن وانت مامور بمحاربتها . قال الله تعالى في العدو الظاهر ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وقال في العدو الباطن ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ ولا شك ان محاربة العدو الباطن اهم من محاربة العدو الظاهر . لان العدو الظاهر ان وجد فرصة ففي متاع الدنيا وحياتها . والعدو الباطن ان وجد فرصة ففي الدين واليقين . وأيضاً كما ذكرت لك ان العدو الظاهر

ان غلبنا كئنا مأجورين والعدو الباطن ان غلبنا كئنا مفتونين. ومؤزورين
وأيضاً من قتله العدو الظاهر كان شهيداً ومن قتله العدو الباطن كان طريداً
فكان الاحتراز عن شر العدو الباطن أولى. وذلك لا يكون الا بان يقول
الرجل بقلبه ولسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

« فصل » ان الشيطان إنما يغلب على من يطيعه ويواليه. لانه تعالى
يقول كما في سورة آل عمران ﴿ إنما أهلك الشيطان يخوف أولياءه .
فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وفي سورة الحجر ﴿ ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ وفي النحل ﴿ إنه
ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ وفي الزخرف ﴿ ومن يمش ﴿ يمرض
﴿ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وأنهم ليصدونهم عن السبيل
ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ أفادت هذه الآيات ان الشيطان إنما يستولى
ويغلب على من أطاعه واتبعه. ولم يتفكر في آيات الله وأوامره بل اتبع نفسه
وهواه ولشهواته . فبذلك صار أسيراً في شبكة شيطانه . فضل عن
الصراط المستقيم ووقع فيما يؤديه الى مهاوى الجحيم .

« فصل » ان الشيطان لما كان عدواً مبيناً لجميع بني آدم كان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كلهم يتعوذون بالله من شره كما بيناه سابقاً. وهما أنا
الآن أذكر ما ثبت عن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام
رضي الله عنهم . وروى ابن كثير في تفسيره عن أبي داود وابن ماجه ومسنده
أحمد بسندهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ

إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . وقد فسر الهمز بالموتة وهى الخلق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . وكذا رواه الترمذى والنسائى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال . اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه . وقد روى ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ امره بالاستعاذة كما ذكره الامام ابو جعفر ابن جرير فى تفسيره بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما نزل على محمد ﷺ قال يا محمد استعذ . قال استعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق ﴾ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اسنّب رجلاً عند النبي ﷺ واغرقا فيه . فقال ﷺ انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنهما ذلك وهى قوله ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ . رواه

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات فى ذلك اليوم مات شهيداً . ومن قالها حين يمسي كان بئلك المنزلة رواه .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من استعاذ فى اليوم عشر مرات وكل الله تعالى به ملكاً ينود عنه الشيطان » رواه وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال

« من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل » رواه مسلم في صحيحه وأبو داود وأحمد . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « إذا فرغ أحدكم في النوم فليقل « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وإن يحضرون فإنها لا تضره » رواه أبو داود والترمذي . وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يعلمها من بلغ من أولاده ، ومن لم يبلغ كتبها في صك ثم علقها في عنقه . رواه الترمذي . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعوذ الحسن والحسين ويقول « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ويقول كان أبي إبراهيم عليه السلام يعوذ بهما اسماعيل وإسحاق عليهما السلام . رواه

وعن سويد أنه قال سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول على المنبر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقال سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم « فلا أحب أن أترك ذلك ما بقيت » رواه

فثبت بهذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان العاقل أن يستعين بالله دائماً من شر الشيطان الرجيم وشر كل ذي شر ، وشر كل من انصف بصفة من الصفات الشيطانية وإن قد كنت ذكرت في مادة (٩٦٢) من كتابي حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين . أحاديث في خواصه فمن جملتها ما رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء

رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ماتت البارحة من عقرب
لقدغتنى : فقال أما لو قلت حين أمسيت . أعوذ بكلمات الله التامات من شر
ما خلق لم يضرك شيء انشاء الله تعالى . فثبت أن التعموذ بالله وبكلماته التامات
هو الدواء الشافي . والحرز الحصين الوافي الكافي . فنعوذ بالله من شر
الشيطان ومن شرور أنفسنا .

« فصل » اعلم حفظني الله تعالى واياك عن شر الشيطان والنفس وشر

كل ذي شر

ان التعموذ والاستعاذة انما يكون بالله وبصفاته وبكلماته التامات لا غيرها
وأما بذيره تعالى وبغير صفاته وكلماته فشرك وضلالة وكفر وجهالة . وقد
قرر العلماء المحققون كما في مجموعة التوحيد وغيرها . إن من الشرك
الاستعاذة بغير الله : لان التعموذ والاستعاذة الاتجاء والاعتصام بعبادة
وقد أمر الله تعالى عباده في كتابه بالاستعاذة به كما بيناه فيما سبق . فهو عبادة
فلا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادات . وفي تفسير ابن
جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجال من الانس يبيت أحدهم
بالوادي في الجاهلية فيقول أعوذ بعزير هذا الوادي . فزادهم ذلك إثمًا
كما أخبر الله تعالى (كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم
رهقًا) وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله وقال إمامنا على
القاري الحنفى رحمه الله تعالى لا يجوز الاستعاذة بالجن . فقد ذم الله
الكافرين على ذلك وذكر الآية . وقد شرع الله تعالى لاهل الاسلام ان

يستعينوا به تعالى. لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن. وشرع الله تعالى للمسلمين ان يستعينوا بأسمائه وصفاته وكنياته. وحق على المستعين بالله ان يصدق الله في التجائه اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه. فمن فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه. قال العلامة بن تيمية وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على انه لا تجوز الاستعاذة بخلق. ولهذا نهى النبي ﷺ عن التعازيم والتعاويز التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك

قال الجامع الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي عفى الله عنه فكما انه لا يستعان الا بالله. ولا يتوكل ولا يعتمد الا على الله ولا يعبد الا اياه. ولا ينذر الا الله فكذلك لا يستماذ الا بالله. لانه لا يقدر أحداً يآ كان على دفع الشيطان ووسوسته الا الله الذي خلقه فسلطه على عبادهم ابتلاء وامتحاناً لهم. فالتعوذ بغيره تعالى جهل يؤدي صاحبه الى الضلال والخيال فنعوذ بالله ملتجاء اليه ومتوكل عليه عن صميم قلوبنا عن شر الشيطان الرجيم. سواء كان شيطان الجن وابليس أو شياطين الانس من أهل الدجل والاضلال والتلبيس

وها أنا أذكرك بعد بيان شياطين الجن والابليس الرجيم المرجوم شياطين الانس من بني نوعك. من مواطنيك وجلسائك كما قدين الله تعالى أوصافهم في كتابه وحذر عنهم وعن فعالهم. وكذا بين رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن هواه. بل ينطق ويخبر عن رب الارض والسماء لتعرفهم فتعذر عنهم وتفر عنهم فرارك من الاسد والثعبان. وتحفظ نفسك عن

الوقوع فيها وقموا : وعن الاتصاف بما اتصفوا حفظني الله تعالى وإياك
عن كل ما يضرنا ويشيننا في ديننا ودنيانا : آمين

ومن صفات الشيطان الكبر والتكبر والاستكبار والكبر عدم
قبول الحق والعتاد فيه . أما عجباً بنسبه أو جماله أو خياله بماله ومنصبه
وخدمه وحشمه . فإذا عرض عليه الحق فإن كان على خلاف هواه تكبر
عليه وأعرض عنه . كما صدر ذلك عن إبليس حين أمر بالسجدة
والخضوع لآدم أبي البشر عليه السلام . فاستحق بذلك اللعن والطرده
عن الرحمة الإلهية . كما بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة . منها في سورة
البقرة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى
واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قال ما منعك ألا
تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾
فدلت هذه الآية أن كل من استكبر ولم يقبل الحق وعاند فهو إبليس
لأن الشيطان قال لا أسجد له لأنني خير منه وأكبر منا وشرف خلقاً
وأعلى نسباً خلقتني من نار وخلقت آدم من طين وتراب . ولما كان الأمر
كذلك . كان كل من تكبر على الحق هالك . ورد في الحديث الصحيح
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . وقد طالعنا
في التواريخ وشاهدنا منذ عقلنا أن أكثر الكفار وبعض من يدعى
أنه مسلم بل بعض من يزعم أنه سيد أو شريف أو غني أو أمثالهم يتكبرون
على الحق وأهله ، ويأنفون عليهم ولا يقبلون إلا ما وافق هواهم ، فلا
شك أنهم من حزب الشيطان . إلا أن حزب الشيطان هم الخاسرون .

فأفسدوا بكبرهم شئون المسلمين فضلوا وأضلوا وخابوا وخسروا . كما هو غير خفي على أولى الابصار .

ومن صفات الشيطان الافك والبهتان والكذب والاثم الكثير واستماع أقوال الناس بقصد التهمة والافساد . كما قال تعالى في سورة الشعراء ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افك اثم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ فيدخل فيه الكاهن والعراف والمنجم والساحر والتمائم والكذاب ونحوهم . فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان ، ومن حزبه الرؤساء الظالمون والكبراء الجبارون والعلماء الدجالون والسادات الفسقة وامثالهم . كما قال تعالى ﴿ واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم ، وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا ، ربنا آثمهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ .

ومن حزب الشيطان شارب الخمر والمقامر والمشتغل بالميسر وسدنة الانصاب والضرائح والاصنام والكهنة وأصحاب الازلام ، وممظموا قبور الاولياء أو الاحجار أو الاشجار أو امثالها . قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وبصدكم عن ذكر الله ﴾ الآية . ثم ان للشيطان خطوات يوحى بها في قلب الانسان الوسواس . فالواجب على العاقل الحازم أن يحتمط في ذلك . ولا يتبع تلك الخطوات فانها مهلكة كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴿ وفي سورة النور ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد أبداً . ولكن الله يزكي من يشاء . والله سميع عليم ﴾ وهكذا وردت الآيات مؤكدة بعضها بعضا وقد فسر الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في البقرة من تفسيره أحسن تفسير . وها أنا اذكر هنا خلاصته . قال رحمه الله تعالى . أعلم ان الواجب على الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزانا . فاذا مالت نفسه الى الخير فعارضه الخاطر المانع فليعلم انه من وحي الشيطان واذا هم بدفاع عن حق أو امر بمعروف او نهى عن منكر . فخطر له ما يثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم انه من وساوس الشيطان وأظهر وحي الشيطان الاندفاع الى التعرّم والتعایل لاجل المنافع التي تلبس على التجريء عليها بالمصلحة وسياسة الناس . كانه تعالى قال لا تتبعوا وحي الشر وخواطره تلم بكم وتطوف في نفوسكم لان الشيطان انما يأمر بالسوء والفحشاء . أما السوء فهو كل ما يسوءك وقوعه أو عاقبته فمن الشرور ما يقدم عليه المرء مندفعاً بتزيين الشيطان العمل حتى اذا فعل الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ومن الاعمال ما لا يظهر السوء في بدايته ولكنه يتصل بنهايته . كمن يصده عن طلب العلم ان بعض المتعلمين

أضاع وقته وبذل كثيرا من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئا فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بأنفسهم : وبعض الآباء عن تعليم أولادهم فتكون عاقبتهم سوء ، فلا بد من البصيرة والتأمل في تمييز بعض الخواطر الشيطانية . فإن منها مالا يظهر باديء الرأي . وأما الفحشاء فكل ما يقبح في أعين الناس من المعاصي والآثام ولا يختص بنحو الزنا واللواط كما قال بعضهم ومن أسوء سوء مبداء وعاقبة ترك الأسباب الطبيعية التي قضت حكمة الباري بربط المسببات لها . اعتماداً على أشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف في الأكوان بدون اتخاذ الأسباب . ومثله اتخاذ رؤساء في الدين يؤخذ لهم بقولهم ويعتمد على فعلهم . من غير أن يكون بيانا أو تبليفاً لما جاء عن الله وعن رسول الله . فإن في هذين النوعين من سوء أهملنا لنعمة العقل وكفرنا بالمنعم بها . واعراضا عن سنن الله تعالى وجهلا باطرادها . وصاحب هذا صار كمن يطلب من السراب الماء وينعق بما لا يسمع الدعاء والنداء . وهذا شأن متحذي الانداد . ﴿ ومن يضل الله فإله من هاد ﴾ . وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا التقليد في الأمور فقد بين الله تعالى اتباعهم لوحى الشيطان بقوله ﴿ وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان ﴾ . فإنه الأصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع واستبدال الذي هو أدنى بالذي خير ليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء أن الله تعالى وسطاء بينه وبين خلقه ، لا يفعل الله سبحانه شيئا بدون وساطتهم ، فحولوا بذلك قلوب عباد الله عنه وعن سننه

في خلقه ، ووجهوها إلى قبور لا تعد ولا تحصى ، وإلى عبيد ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة ، وهو من أعظم أركان الاسلام ، وأليس من القول على الله بغير علم ما زادوه في أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد في الكتاب والسنة المبينة له ، فكل من يزيد في الدين عقيدة أو حكما من غير استناد إلى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله بغير علم . كالزائرات للقبور وما يأتيه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين ، وكتشيع الجنازة بقراءة البردة ونحوها بالنعمة المعروفة ، وبحمل المباخر الفضية والاعلام أمامها ، وبالاتباع لقراءة الدلائل ونحوها من الاوراد بالصياح الخاص ، وكل هذا جاء من استعسان ما عند الطوائف الأخرى ، وأليس في الاسلام صيحة غير صيحة الاذان ، ولا شك أن كثيرا من البدع في العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين ، وتوهم انها تقوى اصل العقيدة . وتخضع العامة لسلطان الدين أو لسلطانهم المستند إلى الدين .

ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك اصواتا خيل إلى أنها أصوات طائفة من أهل الطريق يقرؤون حزب البر مثلا ، ثم علمت أنهم قسيسون . فهذه البدع سرت إلينا منهم كما سرت اليهم من الوثنيين استعسانا منهم ما استحسنوه من أولئك توهماً أنه يفيد الدين أهبة وخفامة ويزيد الناس به استمسا كما فكان أن ترك الناس مهات الدين اكتفاءً

بهذه البدع ، فإن أكثر الصائمين في الاضرحه وقياب الاولياء وفي الطرق والاسواق بالاوراد والاحزاب لا يقيمون الصلاة . ومن عام يصلي منهم فانه لا يحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب في ليلة الولى فلان . واستوحشوا من شعار الدين والسنن ، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فلو كان للمقلدين الجامدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم عن التقليد ، فانهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استثناساً بما القوم مما ألفوا آبائهم عليه وحسبك بهذا شناعة ، إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره اذ ما من عاقل الا وهو عرضة للخطأ في فكره ، وما من مهتد الا ويحتمل أن يضل في سيره ، فلا ثقة في الدين الا بما أنزل الله . ولا معصوم الا من عصمه الله . فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله إلى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل فابعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون ، لانهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم ، وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم . فهم لا يوصفون باصابة لان المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق ، والمقلدان يعرفون أن فلاناً يقول ان هذا هو الحق . انتهى . قلت وسأفصل باقى خطوات الشيطان في القول في الصراط المستقيم انشاء الله تعالى .

ومن صفات الشيطان الاسراف والتبذير : ومنع حق ذوى الحقوق

كثر كالتفتات الى ذوى القربى والمساكين وابن السبيل . كمال غاب
الاغنياء والسادات والامراء في هذه الاوقات : قال الله تعالى في سورة الاسراء
(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا : إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)

ومن صفات الشيطان مخالفة أمر الله والتشبه بالكفار والفساق
والظلمة والغفلة وترك المبالاة بالسنن النبوية والآداب الشرعية والاخلاق
الانسانية . ولهذا مثل النبي ﷺ من يأكل ويشرب بشماله شيطان ومن
يمر بين يدي المصلي بلا ضرورة شيطانا كأكثر الجهلة في الحرمين :
فإنهم يرون بين يدي المصلي مرور الشيطان في قلوب بني آدم . ويأكلون
ويشربون بالشمال كأنهم من أهل الشمال : وكذا ترى أكثرهم يتسككتابه
بشماله ونعله بيمينه . وزيادة عليه إذا نهته بماند ويتكبر . وقد روى الامام
البخارى ومسلم وأصحاب السنن وأحمد في مسنده ومحمد في موطائه عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال إذا كان أحدكم
يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان . وقد
أخرج مسلم وابوداود ومالك ومحمد في موطأهما وأحمد في مسنده عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما أنه قال أن رسول الله ﷺ قال - إذا أكل أحدكم فليأكل
بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .
وقد ذكر العلامة ابن القيم في الجواب الكافي أشياء مما يخص الشيطان
من أوصافه . فها أنا أذكرها لتتم الفائدة . قال رحمه الله تعالى الصفات
الشیطانية التي هي أصل الشرك . العظمة والكبر والجبروت والقهر والعلو

والظلم واستعباد العباد ونحو ذلك . والتشبه بالشيطان الحقود والحسد
والبغي والغش والغفل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها .
والنهي عن طاعة الله وتجنبها . والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال
وقد أوصى الشيطان بنيه . وقال استعينوا يا بني بمجندين عظيمين
ان تغابوا معهم ما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالى والدار الآخرة
بكل طريق فليس لكم شيء أبلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القاب اذا
غفل عن ذكر الله تعالى تمكن منه . الثاني جند الشهوة فزينوها في قلوبهم
وحسنوها في أعينهم واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات
بالغفلة . وأقروا بين الغافلين .

واعلم أن أبلغ أسلحة الشيطان الشهوة والغضب فدعوه الى الشهوة من
باب البغضب . والى الغضب من طريق الشهوة . وإنما أخرجت ابويهم من
الجنة بالشهوة وإنما أقيمت العداوة بينهم وبين اولادهم بالغضب . فبه قطعت
ارحامهم وسفكت دماءهم : وان الغضب جرة في قلب ابن آدم . والشهوة نار
تورق قلبه . وإنما تطفأ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير . فإياكم ان تمكنوا
ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان ذلك يطفى
عنه نار الغضب والشهوة

وأوصى ابليس بنيه . وقال انما المتكلم بالباطل أخ من أخوانكم . ومن
أكبر جندكم وأعوانكم . وان الساكت عن الحق أخ لكم أخرس كما ان الاول
أخ لكم ناطق . وربما كان الاخ الثاني أنفع أخوانكم لكم . أما سمعتم قول
الناصح . المتكلم بالباطل شيطان ناطق . والساكت عن الحق شيطان

آخرس . فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يتسكع عن باطل .
وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق . وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق
قال العبد الضعيف محمد سلطان المستعيز بربه العالم القادر من شر
الشیطان الرجيم الغادر فقد تبين بياثافيا كفايا أن الشیطان قد تصدى
الاضلال والافساد والوسوسة من كل طريق وباب . وكذا شياطين الانس
من فسوس النصارى ورهبان الدير ومبشریهم وخابخام اليهود وبطارقهم
واحبارهم . ولأما الهندود البوادیين وكهنهم : والأئمة المضلین والعلماء
الدجالین والمشائخ الجهلة البطالین الخرافیین . والرؤساء العظيمة المنهمكين
فی الشهوات . والكبراء والسادات والشرقاء الذین يتكبرون ويتجبرون
فیتدعون ویفسدون . كما أشار الامام الجلیل عبد الله بن مبارك الى كل
ذلك حیث قال

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وقد أوضح العلامة محب الدين الدمشقي في كتابه خلاصة الاثر في
أعيان القرن الحادي عشر احوالهم وقال ان علماء زماننا يدعون ويتقولون
بالسننهم انهم مقتدى الانام وورثة الانبياء الكرام واما أعمالهم ولسان
حالهم تترنم بهذا البيت . وهو صادق عليهم .

وكنتم فتى من جنود إبليس فارثي بي الحال حتى صار إبليس من جندي
ويشهد لهذا ما ذكره العلامة الصالح الشيخ احمد السر هندي في غير
موضع من مکتوباته ان كل شر وفساد وضلال واضلال انما حدث من شؤم
العلماء السوء . وما شئت شمل المسلمين الا العلماء السوء فهو لاء هم الذین

خربوا المسلمين وديروهم . وصاروا سببا لاسنيلاء الكفار الاشرار . حكي
أنه رأى واحد من الاعزة الابليس اللعين فارغا عن الوسوسة والاغواء .
فسأله عن سر قعوده فارغا . فقال إبليس اللعين ان علماء هذا الزمان قد
تكفلوا لى بالاضلال حتى جعلوني فارغا . الخ وكان هذا المؤلف فى رأس
الالف . فما ظنك بزماننا هذا سنة ١٣٥٥

ومما يشهد لهذا الباب ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه تبليس ابليس
قال بعض الساف رأيت الشيطان فقال لى كنت ألقى الناس فاعلمهم
فصرت أقام فاعلم منهم الخ . قلت ولهذا كان النبى ﷺ يحذر أمته
عن امثالهم حيث قل « انما أخاف على امتى الائمة المضلين وسيكون
علماء دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا انهم ولا بؤكم فاليكم وايدم
لا يضلونكم » الحديث .

ولا يوضح المقام اذكر لكم قصة من قصص ابليس لتعرفوا كيف
صنعه ووسوسته وديسسته واضلاله . فاستعينوا بالله من شرهم ووسوستهم
فانه اعدى عدوك . كما حكي الامام الحافظ العماد بن كثير فى تفسيره فى
قوله تعالى فى سورة انجادلة ﴿ كمثل الشيطان اذ قال الانسان اكفر فلما
كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انهما
فى النار خالدتين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ وهالك بالاختصار : قال على
وابن عباس رضى الله عنهم كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا . كان
يتعبد الله فى صومعة له سبعين سنة لم يمض الله فيها طرفة عين ، وان
ابليس اعياء امره فجمع ذات يوم مرادة الشياطين فقال ألا أجد أحداً منكم

يكفيني أمر برصيصا . فقال الابيض وهو صاحب الانبياء أنا أكفيك أمره . فانطلق فزين بزينة الرهبان وأتى صومعة برصيصا واقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انقفل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله أعجبه واحبه واكرمه وقال له ما حاجتك وقال حاجتي اني احببت أن اكون معك فانأدب بك ، واقتبس من علمك وعملك ونجتمتع على العبادة فتدعوني وأدعوك ، وأقبل هو يصلي الى جنبه الى اربعين يوماً فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال ما حاجتك قال حاجتي أن تأذن لي فارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه في صومعته ، فقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا في كل أربعين يوماً ، ولا ينفصل عن صلاته الا في كل أربعين يوماً مرة ، وربما مد الى الثمانين . فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك اعبد منك وظننت أنك اشد اجتهاداً مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت ، فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دهرات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون . فعلم ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال والله قد اهلكك الرجل ثم انطلق الابيض فتعرض لرجل خنقة ثم جاءه في صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم ، فقال اني لا أقوى جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الاعظم الذي اذا دعا

به اجاب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه
الشیطان فكان الایض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشد الى برصيصا
فيدعو فيعافون فانطلق الایض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
اسرائيل نخنقها وعذبها ثم جاء اليهم في صورة متطبيب فقال لهم أريدون
أن أعالجها قالوا نعم قل الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم
الى رجل تشقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا
أنها قد عوفيت فتدونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف
لنا أن يجيئنا الى هذا وهو أعظم شأننا من ذلك فانطلقوا بها اليه وقالوا
هذه اختنا أمانة فحسب بها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من
صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت في قلبه ودخل
عليه أمر عظيم ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان نخنقها فدعا برصيصا
بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان
نخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم قبل على صلاته فجاءها الشيطان
نخنقها وكانت تمكشف عن نفسها فقال الشيطان أما تشوف هذه واقعا
فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار الذنوب والخطايا فلم يزل به حتى تحركت
شهوته وقام ذكره واشتد فواقعا فلم يزل يواقعا حتى حملت وظهر
حملها فقال له الشيطان ويحك يبرصيصا قد افتضحت فاقتلها وادفنها فان
سألك فقل ذهب بها شيطانها فقتلها ودفنها في جانب جبل ليلا فاخذ
الشیطان بطرف ازارها حتى ابقاه خارجا من التراب ثم رجع برصيصا
الى صومعته فاقبل على صلاته فاهل الشيطان الى أوليائها فذهبوا عند

برصيصا وسألوه عنها فاجاب بان شيطانها قد ذهب بها فدل الشيطان الى موضع دفنه فانطلقوا اليه فراوا اختمهم كما اهتموا ختموا مواليتهم وعلماءهم فهدموا صومعته وكتفوه فأقر على نفسه فامر االك بقتله وصاحبه فلما صلب اناه الابيض فقال يا برصيصا اترعني انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ، فقال كيف اصنع الآن ، قال تطيعني في خصلة واحدة حتى انجيك مما انت فيه ، فأخذ باعينهم فاخرجك من مكانك ، قال وما هي قال تسجد لي ، قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي كنت أردت منك . صارت عاقبة امرك الى أن كفرت بربك اتي برىء منك اتي اخاف الله رب العالمين انتهى وكذا ذكره الامام البغوي في تفسيره

قال الجامع المصنوع عفا الله عنه فانظروا يا أيها العقلاء الى هذه الحكاية بعين الاعتبار وتفكروا فيها كيف وساوس الشيطان ودسائسه وكيف أظهر نفسه زاهداً وعابداً وصوفياً وناعماً وكيف امر خرق العادة وما بزعمه الناس كرامات ، واذا تدبرت في أحوال غالب العلماء ومشائخ الطرق ومن يدعى الزهد والعبادة تجد من حزب ذلك اللعين فتنهم الذين أخرجوا الناس عن الصراط المستقيم واضلوا وادخلوا الى طريق الجحيم ، فترامع العباد بالله صاروا شركاء لله ويدعون التصرف في الكون فصارت العوام بل من في صورة الخواص يصدقونهم ويعتقدون فيهم وينذرون اليهم ويمذلون في سبيلهم أنفسهم ونفيسهم الى أن صاروا يعتقدون بعد موتهم انهم احياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الامور

وان الامور يبدى فيطلبون منهم قضاء حوائجهم وحصول مرادهم
وقد يتمش الشيطان بصورة الشيخ ويتكلم ويدعو ويقضى الحاجة .
كما يحكمون ان الاعمى او المقعد اذا ذهبوا به الى بلخ من بلاد افغانستان .
وضاف على ضريح مزعومهم على بن ابي طالب رضى الله عنه احد
واربعين مرة يذهب عميه ويتجلى بصره وزال فاجبه . وهكذا يفعل
الشيطان فيوقعهم في خيال الضلال . وقد ترى الجهال بل الذين يزعمون
العلم والزهد يبنون على قبورهم العبارات العاليات والقبب الفاخرات .
ويرغبون الناس الى الزيرة والطواف حولها كالكمية فيقبلون
القبر والمقبرة بل يسجدون اليها . كما تفعله الهنادكة الوثنيون والبوذيون
والسيكة في بلاد الهند والصين لاصنامهم . فترى الجهال في بلاد
الهند يحجون في كل عام الى قبر الشيخ معين الدين الجشتى في اجير
من كل فج عميق ويقصدون حج كربلا وبغداد لزيارة الامام حسين رضى
الله عنه وقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى . يزعمون انه اخو الاعظم
فيستغيثون به ويطلبون منه قضاء حوائجهم . وفي بخارى الى قبر بهاء الدين
النقشبند . وفي تركستان الى قبر الخواجه احمد اليسوى . ويسمون موسمه
الخلوة . وفي كاشغر الى قبر آفاق خواجه . وفي مصر الى قبر البدوى .
وهكذا في عامة البلاد ابتلى المسلمون بامثال هذه الجهالات والضلالات
وحصل الابلis منهم مراده . وهو الكفر والشرك .

وكذلك تداخل فيما بين المسلمين كثير من شياطين المبشرين
من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين والندهرين واظهروا انفسهم

علماء وزهادا . واظهروا التصوف . وادعوا الاسرار والكشوف .
 واشاعوا ان الحقيقة غير الشريعة فبنوا زوايا وخانقاهات : فاجتمع
 حولهم الجهال وشايهم بعض حملة المائم فتصوفوا وادخلوا في المسلمين
 دسائسهم الى ان اخرجوهم من الايمان الصحيح . وادخلوهم في الكفر
 والشرك الصريح : وهؤلاء لا يعلمون بل يدعون الدين والحقيقة .
 والفوا كتباً ورسائل في مدح ذلك فعم بذلك الفساد حتى وقع الماسمون
 فيما وقعوا لأن من الخسار والبوار والافتراق والانشقاق ومن رؤس
 هؤلاء الشياطين في هذه الازمان الاخيرة الدجال ميرزا احمد القادياني .
 وموسى بيكي جار الله اثر وسى التاتاري . وامثالهما من رؤساء الطرق
 وغيرهم . فالحذر كل الحذر منهم ومن دسائسهم وكتبتهم ورسائلهم .
 فيجب على كل مكلف التعمود بالله منهم والتمسك لدسائسهم . وانما
 يعرف ذلك بيزان الكتاب والسنة الصحيحة وما يثبت العقل السليم
 والحاصل ان دسائس الشياطين كثيرة . وطرق وساوسهم عديدة
 فيجب على العاقل البصير ان يتعمد بالله دائماً من شر هؤلاء الشياطين .
 فانه لا عصم ولا حافظ منهم الا الله الذي خلقهم واذا اردت ان تعرف
 الامور الشيطانية عن الامور الرحمانية فزنها بيزان الكتاب والسنة
 فما وافقها فهو الحق الرحاني . وما خالفها فهو الباطل الشيطاني ولا يفرنك
 طهران صاحبه على الهراء . او مشيه على الماء دون ان تبطل قدماء . فان
 الشيطان يحملهم ويطيرهم كما صرح به عامة علماء السلف ومحققى الخلف
 ثم اعلم ان كل شيء قبيح او فعل قبيح ينسب الى الشيطان . لانه لما استكبر

وكفر بامر به الذي خافه فقد ارتكب اقبح المعصية . فاستحق اللعن والطرده
فاتصف باقبح الصفات فكل قبيح لاشك انه شيطاني وكل جميل وحسن
فلاشك انه رحمانى . وها انا اذكرك قصة لطيفة عجيبة . وهى ما ذكره
الشيخ برهان الدين ابراهيم الكنتي المعروف بالوطواط فى كتابه (غرر
الخصائص الواضحة) أن عثمان بن بحر المعروف بالجاساحظ . كان دميم
الصورة وقبيح الوجه نقي العيين . يحكى عنه أنه قال ما أخجاني أحد
قط الا امرأة أخذت يدي وحملتني الى نجار . وقالت له مثل هذا . ثم
تركنتي وانصرفت ، فبقيت متعجباً من أخذها لى مثالا . فسألت الصانع
فقال ان هذه المرأة سألتني أن أصنع لها مثال شيطان تفرع به ولدها ،
فقلت لها انى لم أر شيطانا قط حتى اعمل على مثاله ، وضابت منها مثالا
فقلت انا آتيك به . فجاءتني بك . انتهى . والاحاديث النبوية تدل على
ذلك أيضا ، أن كل كريبه المنظر وقبيح الصورة يسمى شيطان . كما ورد
أن الكلب الاسود شيطان . والدابة المتبختره شيطان ، وكل مفسد
شيطان ، وكل فتان وبطل ودجال شيطان ، فان كان الامر هكذا فينبغى
أن يلاحظ المستعبد هذه الامور كلها . فيتعوذ بالله من شرها ، ويشترط
للقبول والتأثير وظهور النتائج ملاحظة جميع الامور المذكورة معتقداً
بقدره الله تعالى ومخلصاً له تعالى وجازماً بأنه لا يقدر أحد على دفع الشيطان
والحفظ من شره إلا الله الذى خلقه وسلطه على عباده ابتلاءً وامتحاناً
لا معصوم إلا من عصمه الله ، ولا محفوظ الا من حفظه الله ، ولا مهتدى

إلا من هداه الله ؛ فستعينك بك يا ربنا من شرور الشياطين ، فعذنا
يا ربنا أنك على كل شيء قدير .

فإن قلت لم يقدمون التعوذ على التسمية قلت إنما يقدمون
التعوذ على التسمية ليكون التخلية مقدمة على التحلية كما أنك تصفي
قلبك عن الآلهة الآفافية والانفسية . ونخليه عن كل المعبودات
بقولك لا إله فبعد ذلك تحليه بآيات الآله الواحد الحق والمعبود
المستحق للعبادة بقولك الا الله . فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية ،
كما أنك إذا أردت أن تداوى المريض وتعالجه تسقيه أولا مسهلا
لاخراج الفضلات وتنظف الجروح من القروح . وتقطع الآكلة أولا
ثم تداويه باستعمال الدواء ؛ فينفع الدواء والتداوى ؛ ثم يتغذى بالغذاء
غيتقوى . وأما إذا استعملت الغذاء قبل إزالة المرض فربما يضرك الغذاء
ولو كان الغذاء غذية وانفسها ؛ وربما يكون سببا لزيادة المرض فيهلكك
فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية وكما أنك إذا أردت أن تبني في محل
بناء تصلح المحل أولا وتنظفه . ثم تؤسس وتبني ؛ أو إذا أردت أن تزين
بيتا وتفرشه بالافرشة تكتسه أولا وتنظفه ثم تزين ، وتفرش فتسكن
وتستريح ؛ فثبت بهذا أيضا أن التخلية مقدمة على التحلية ؛ وكما إذا
أردت إن تطبخ طعاما في قدر تفسله أولا وتنظفه ثم تجعل فيه اسباب
الطبخ . أو إذا أردت أن تنقل الطعام الى الصحن والقصعة والطبق
والكأس تغسل أولا وتنظف تلك الاواني ثم تحطفيها الطعام . وكما أنك
إذا أردت أن تزين نفسك وتلبس الالبسة الحسنة الجميلة تنزع أولا

الابسة الخلاء الدنسة والوسخة وتغتسل وتنظف بدنك . ثم تلبس
الثياب الجميلة فتزين بها . فثبت ان التخلية مقدمة على التحلية .

فاما كان الامر كذلك وهو قاعدة كلية مطردة اقتضتها حكمة الباري
تعالى : وجرت عايمها سنن الكون ؛ يلزم على قارىء القرآن خصوصاً ؛
وعلى جميع المسلمين في جميع الحالات عموماً ، أن يطهروا أنفسهم ويصفو
بواطنهم عن الاقوال والافعال الخبيثة الشيطانية قائلاً أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم : فيقطعوا عنق الشياطين بسيف التعوذ إلى الله فيكونون
غزاة يستحقون الاجر والغنيمة وهو الفضل والرحمة الالهية ؛ فيدخلوا
في رحمة الله بفتح بابها بفتح بسم الله الرحمن الرحيم ، فينالون رضا الله
تعالى ويستحقون جنات النعيم فيما ربنا نتعوذ بحناياك ونلتجىء إلى
رحمتك فاحفظنا من شر شياطين الجن والانس والنفس والهوى ولا
تكلنا إلى نفسنا صرفة عين . ووفقنا ياربنا لما نحبه وترضاه ، فانك حسبنا
واليك نبنا واليك المصير ويارب ارحم عبدك الفقير اليك والمهاجر من
دار الشرك إلى حرمك وعوضه عن كل ما صودر عنه بأحسن ما عوضته
عبادك الصالحين ، وآنه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقه عذاب
النار . آمين .

فصل

في أحكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله
اعلم ان أول ما أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ ان أمره
بالقراءة مبتدئاً ومستعينا باسم ربه الذي خلق حيث قال ﴿ اقرأ باسم ربك

الذى خلق ﴿ وهذه الآية تفتضى بظاهرها وجوب الابتداء بسم الله في القراءة وسائر الاعمال الشريفة . وقد ذكر السلف الصالحون في هذه المسألة ما ظهر لهم وبدأوا وانا اذكر خلاصة ما ذكروه بحول الله وقوته وفي سورة المزمل ﴿ واذا ذكر اسم ربك ونبتل اليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذة وكيلا ﴾ وفي سورة الدهر ﴿ واذا كر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ وفي سورة النمل ﴿ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفي سورة هود حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ بسم الله مجربها ومرساها ﴾ فهذه الآيات تفيد الاهتمام بذكر اسم الله في أول كل أمر من صلاة ودعاء وأكل ومشى وقراءة وكتابة ، وتشرحها أحاديث الرسول ﷺ وتفسرها تفسيراً . روى الترمذى والدارقطنى والحاكم وابن خزيمة والخطيب في المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم . وروى الدارقطنى في سننه وذكره السيوطى في الدر المنثور عن علي بن إبي طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : كيف تقرأ اذا امت إلى الصلاة ؟ قلت : الحمد لله رب العالمين ، قال قل بسم الله الرحمن الرحيم » وذكر السيوطى في الدر المنثور والجامع الصغير وقال ذكره عبد القادر الزهاوى في كتاب الاربعين باسناد حسن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم اقطع » وفي رواية أجنم . وافتتح الصحابة رضى الله عنهم كتاب الله بيسم الله

الرحمن الرحيم . والنبي ﷺ كان يفتح كل أعماله وأقواله بيسم الله الرحمن الرحيم . وأنه قد ثبت في صحيح البخاري أنه ﷺ كان يفتح به كتبه ورسائله الى الملوك والقيصرة . فبدأ كتابه الذي أرسله الى هرقل قيصر الروم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم أسلم تسلم) الحديث والاحاديث في هذا الباب كثيرة . وفيما ذكرناه كفاية .

قل إمام المحققين في هذا القرن الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسيره اعلّموا ان القرآن أمانة وقدوتنا . فافتتاحه بيسم الله الرحمن الرحيم ارشاد لنا بان يفتح أعمالنا بها فما معنى هذا ليس معناه ان نفتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى بان نذكره على سبيل التبرك والاستعانة به . بل بان نقول هذه العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) فلها مطلوبة لذاتها . ومثل هذا التعبير مألوف عند جميع الامم ومنهم العرب . وهو ان الواحد منهم اذا أراد أن يفعل أمراً لاجل أمير او عظيم بحيث يكون متجرباً من نسبته اليه ومنساختاً عنه يقول عمله باسم فلان . ويذكر اسم ذلك الامير او السلطان . لأن اسم الشيء دليل وعنوان عليه . فاذا كنت تعمل عملاً لا يكون له وجود ولا عنه اثر . لولا السلطان الذي به أمر . أقول ان عملي هذا باسم السلطان . اي انه معنون باسمه ولولاه لما عملته . فاني ابتدىء عملي (بسم الله الرحمن الرحيم) انني أعمل بأمره وله لالي . ولا أعمل باسمي مستقلاً به على اني فلان فكاني أقول ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي .

وفيه وجه آخر . وهو ان القدرة التي أنشأت بها العمل هي من الله تعالى . فلو لا ان منحني منها لم أعمل شيئاً فلم يصدر عني هذا العمل الا باسم الله ولم يكن باسمي . اذ لو لا ما أتاني من القوة عليه لم أستطع أن آتيه . وقد تم هذا المعنى بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) كما هو ظاهر وحاصل المعنى اني أعمل عملي متبرأ من أن يكون باسمي بل هو باسمه تعالى . لاني أستمد القوة والعناية منه ، وأرجو احسانه عليه فلولا لم أقدر عليه ولم أعمله ، بل وما كنت عاملاً له على تقدير القدرة عليه لولا أمره ورجاء فضله فلفظ الاسم معناه مراد ، ومعنى لفظ الجلالة مراد أيضاً ، وكذلك كل من لفظ الرحمن والرحيم ، وهذا الاستعمال معروف ومألوف في كل اللغات ، وأما في اليك اليوم ما ترون في المحاكم النظامية حيث يبتدئون الاحكام قولاً وكتابة باسم السلطان فلان

ومعنى البسملة في الفاتحة ان جميع ما يقرر في القرآن من الاحكام والآيات وغيرها هو لله ومنه ليس لاحد غير الله فيه شيء . ثم اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أول الفاتحة كما هو عند الجمهور من قراء السكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين ؛ خالف من الخلف ، أو بعض آية ، أو لا تعد من أولها بالسكاية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، (بسم الله الرحمن الرحيم) احدها . وهي .

السبع المثاني والقرآن العظيم . وهي ام الكتاب وفاتحة الكتاب . وقد رواه الدارقطني ايضا . وقال كل رواته ثقات . وكذا رواه البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم .

وذكر العلامة ابن كثير في تفسيره . ان بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بها الصحابة كتاب الله . واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة المل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في اول كل سورة . او انها بعض آية من كل سورة او أنها كذلك في الفاتحة . دون غيرها أو انها إنما كتبت للفصل لانها آية على اقوال العلماء سلفا وخلفا .

فصل

في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا

فالله كما بينا في ما سبق في التعمود انه اسم علم لله تعالى . وانه ليس بمشتق البتة . وهو قول الخليل وسيبويه وقول اكثر الاصوليين والفقهاء وقالت جماعة انه مشتق . والاله مشتق من الهت الى فلان اى سكنت اليه فالعقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تخرج الا بعرفته . وبيانه ان الكمال محبوب لذاته . وما سوى الحق فهو ناقص لذاته . والناقص لا يكمل الا بتكميل الكامل بذاته . والكامل بذاته هو الحق تعالى وحده . او انه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل . يعنى ان كل الخلق والهون في معرفة ذاته تعالى او انه مشتق من لاه اذا ارتفع . والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات لان الواجب لذاته ليس الا هو . والكامل لذاته ليس الا هو . والموجد لكل ما هو ليس الا هو

واعلم ان الاسم الاعظم هو الله . وله خاصية لم توجد في سائر اسماء الله تعالى . لان كلمة الشهادة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر الى الاسلام لم تحصل الا بهذه الكلمة . فلو ان الكافر قال أشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الرحيم او الا الملك او الا الملك او الا القدوس ونحوها لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الاسلام . واما اذا قال اشهد ان لا اله الا الله فانه يخرج من الكفر ويدخل في الاسلام . وهذه خاصية عظيمة شريفة اختص بها لفظ الله . وكما ان النفس في الدنيا نافع وضروري فلو انقطع عن الانسان لحظة لمات في الحال . وكذلك معرفة الله تعالى ولايتان به أمر لا بد منه في الدنيا والآخرة . فلوزالت عن القلب لحظة لمات القلب لا محالة فيبقى الله ابدًا لا يبد . وكذا حقه العلامة الفخر الرازي في تفسيره الكبير الشهير بمفاتيح الغيب .

واما الرحمن والرحيم فشتان من الرحمة . وهي معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الاحسان الى غيره . وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر . لأنه في البشر ألم في النفس شفاؤه الاحسان . والله سبحانه منزّه عن الآلام والانفعالات . فالمعنى المقصود بالنسبة اليه تعالى من الرحمة أثرها وهو الاحسان . والجمهور على ان معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم . ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها . وقال بعضهم ان الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم . والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين . والذي أقول ان صيغة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كفعال . وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة

كمعطشان وغرثان وغضبان . وأما صيغة فعيل فانها تدل في الاستعمال على المعنى الثابتة كالاخلاق والسجايا في الناس كعظيم وحكيم وحليم وجليل وجميل . والقرآن لا يخرج من الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلق عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل . وهي افاضة الرحمة والنعم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشاء هذه الرحمة والاحسان . وعلى انها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى باحد الوصفين عن الآخر . ولا يكون الثاني مؤكداً للاول . فاذا سمع العربي وصف الله جل سلطانه وثناؤه بالرحمن وفهم منه انه المفيض بالنعم فعلا لا يمتنع منه ان الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً . لان الفعل قد ينقطع اذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وان كان كثيراً . فعند ما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه . ويعلم ان لله صفة ثابتة هي صفة الرحمة التي عنها يكون أثرها . وان كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين . ويكون ذكرها بعد الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ، ليقوم برهاناً عليه انتهى محمد عبده في تفسيره

وذكر العلامة العباد بن كثير في تفسيره الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن اشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا ، والدليل على انه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول ﴿ قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم ،

وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص في الاشتقاق ، فلامعنى للمخالفة والاشتقاق ، قال ابو على الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، الرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر ، اي أكثر رحمة ولهذا قال تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكر الاستواء باسم الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فخصهم باسمه الرحيم ، قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين ، لكن جاء في الدعاء المأثور (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره .

وقال العلامة ناصر الدين البیضاوی فی تفسیره ، الرحمن الرحيم اسمان بنيا المبالغة ، ومعناها المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها . وهذا خاص له تعالى لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه . وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فيتوجه بشرائره الى جناب القدس تبارك وتعالى ويتمسك بحبل التوفيق . ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره .

(فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه)

وقد نقل الحافظ العياد ابن كثير في تفسيره . وقال وقد روى
الامام ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ
عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى . وما بينه
وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب
وهكذا رواه ابو بكر ابن مردويه . وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه
وحلف الله تعالى بمزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه . من اراد ان ينجي به الله تعالى من
الرؤية التهمة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . فيجعل الله له من
كل حرف منها جنة من كل واحد . وقال الامام احمد في مسنده بسنده
عن عاصم قل سمعت ابا نعيم يحدث عن رديف النبي ﷺ قال عشر
بالنبي ﷺ فقات تعس الشيطان . فقال النبي ﷺ لا تقل تعس
الشيطان . ذلك اذا قلت تعس الشيطان تعاضم . وقال بقوتي صرته
واذا قمت بسم الله الرحمن الرحيم تصغر حتى يصير مثل الذباب . وكذا
رواه النسائي في عمل اليوم والليلة . وابن مردويه في تفسيره فهذا من
تأثير بركة بسم الله الرحمن الرحيم . ولهذا تستحب في اول كل عمل ما جاء
كما ذكرنا (كل امر لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو اجزم)
كالاكل والجماع لما في مسلم ان رسول الله ﷺ قال لربيعة عمر بن ابي
سلمة رضي الله عنها قل بسم الله وكل يمينك وكل مما يليك . وعن

ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (لو ان احداكم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان ابداً) فالمشروع ذكر اسم الله في اول الشروع في القيام او القعود او الاكل او الشرب او القراءة او الوضوء او الصلاة او دخول الدار او البيت او غيرها تبركا او تيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والبركة والله اعلم ولهذا روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان اول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قل يا محمد (استعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له جبريل بسم الله يا محمد اقراء بذكر الله ربك . وقم . اقم بذكر الله تعالى .

وذكر العلامة الفخر الرازي في تفسيره الكبير . ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قل بسم الله مجريها ومرساها ، فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبق محروما عن النجاة ، وايضا ان سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فالمرجو ان العبد اذا قاله فاز بمملك الدنيا والآخرة .

واعلم ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها الاسماء الثلاثة والحكمة في ذكرها ان المخاطبين ثلاثة اصناف كما قال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فقال انا الله للسابقين . الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين ، وايضا الله هو معطي العطاء والرحمن هو المتجاوز عن

زلات الاولياء ، والرحيم هو المتجاوز عن الجفاء ، ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول : اعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقك . ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمته الامة لاقدمت على الفرار منك ولو علمه الجار لسعى في تخريب الدار . وأنا أعلم كل ذلك واستره بكرمى لتعلم انى إله كريم وروى ان قيصر كتب الى عمر رضى الله عنه ان بنى صداعا لا يسكن فابعث لى دواء ، فبعث اليه عمر رضى الله عنه قلنسوة ، فكان اذا وضعها على رأسه يسكن صداعه ، واذا رفعها من رأسه عاوده الصداع فمجب منه ففتش القلنسوة فاذا فيها كاغذ مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قال الجامع المنصوى ليس لهذه الرواية سند ولهذا أشار اليه المؤلف بصيغة التريض والله اعلم بالصواب .

وروى ايضا كذلك أن بعض الكفار طلب من خالد بن الوليد رضى الله عنه آية ، فقال انك تدعى الاسلام فارنا آية لنسلم ، فقال ايتونى بالسم القاتل ، فأتى بطاس من السم فاخذه بيده وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأكله كله وقام سالما بأذن الله تعالى فقال المجوس هذا دين حق وكذلك روى ان عيسى بن مريم عليهما السلام مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يمدبون ميتاً فلما انصرف من حاجته مر على القبر المذكور فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا ومذمات كان محبوباً في العذاب وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت ولداً وربته حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم .

فاستحييت من عبدى ان اعذبه بنارى فى بطن الارض وولده يذكرونى
اسمى على وجه الارض . قلت والله سبحانه وتعالى اعلم بصحة هذه الرواية
وهو جل جلاله أرحم الراحمين .

والحاصل ان العلماء أجمعوا على أنه يستحب ان لا يشرع فى عمل
من الاعمال (أى المأمور به والمباح) الا ويقول بسم الله فاذا نام قال
بسم الله ؛ واذا قام قال بسم الله واذا قصد العبادة قال بسم الله واذا
دخل الدار قال بسم الله ، أو خرج منها قال بسم الله ، واذا أكل أو شرب
أو أخذ أو أعطى قال بسم الله ، والحاصل أنه يقول فى كل حال بسم الله
وعند الولادة وعند ادخاله القبر يقول بسم الله فبسم الله الرحمن الرحيم دواء
الامراض القلبية ، وشفاء الاسقام الجسمية ، ومفتاح الخيرات والبركات ،
وعلامة السلامة والنجاة فداوموا عليه فى كل الحالات ، حتى تنالوا أعلى
الدرجات .

فان كان الامر هكذا كما فصلنا فينبغى لقارئ القرآن سواء بدأ
من أول السورة أو من وسطها أن يتموذاً ولا ثم يسمّل لتكون قرائته
مباركة وتلانه مؤثرة ، والعجب من كثير من القراء من ابتداء الزمان
يكتفون بالتموذ ويتركون البسملة ، واذا قلت لهم أتركون البسملة ؟
يقولون أن الشاطبي أجاز ترك البسملة ، وقال بكفاية التعموذ ، حيث
قال الشاطبي

ولا بد منها فى ابتدائك سورة سواها وفى الأجزاء خير من تلا

وما عرف هذا المسكين ان قرائته هذه في المحافل والمآتم تركها جائزاً
أيضاً ، وانما يقرأ من يقرأ ، وانما يقرئ من يقرئ لتحصيل الثواب
والأجر ، فان كان هكذا أليس يزيد ثواب القراءة بالبسملة ، وأليس
يكون نوراً على نور . أفلا تتدبرون القرآن والاصول ، أو على قلوبكم الاقفال
وعلى بصيرتكم الأفلول فاعتبروا يا أولى الابصار .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هذه الجملة الشريفة
آية واحدة نامة . أفتتح بها كتاب الله تعالى ، وهي مفتاح كل خير وباب
كل سعادة ، وهذه ناطقة بان كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى ،
ولا يصح ذلك إلا اذا كان الله سبحانه مصدر كل نعمة في الكون تستوجب
الحمد . ومنها نعمة الخلق والايجاد والربية والتنمية ، فلمذا صرح بأنه
رب العالمين ، وانفط الرب ليس معناه المالك فقط أو السيد فقط ، بل
فيه معنى التربية والاعلاء وهو صريح بان كل نعمة يراها الانسان في نفسه
وفي الآفاق منه عز وجل . فليس في الكون متصرف بالايجاد والاشقاء
والاسعاد سواه ، والحمد هو الثناء باللسان وقيدوه بالجمل ، لان كلمة ثناء
تستعمل في المدح والذم جميعاً ، يقال اثني عليه شراً ، كما يقال ، ثني عليه
خيراً ، ويقولون أن (ال) التي في الحمد هي للحنس في أي فرد من افراده ،
ومعنى كون الحمد لله تعالى بأي نوع من أنواعه هو ان أي شيء ، يصح
الحمد عليه فهو مصدره واليه مرجعه ، فالحمد لله على كل حال ، وهذه الجملة
خبرية ولاسكنها استعملت لانشاء الحمد . فلما معنى الخبرية فهو اثبات ان
الثناء الجميل في أي انواعه تحقق فهو ثابت له تعالى وراجع اليه . لأنه

متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون فصفااته اجمل الصفات ، واحسانه
عم جميع الكائنات ، لان جميع ما يصح ان يتوجه اليه الحمد مما سواه فهو
منه جل ثناؤه ، اذ هو مصدر الكون كله ، فيكون له ذلك الحمد أولا
وبالذات ، والخلاصة ان أي حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله تعالى سواء
لاحظه الحامد أو لم يلاحظه ، وأما معنى الانشائية فهو ان الحامد جعلها
عبارة عما وجهه من الثناء إلى الله تعالى في الحال .

﴿رب العالمين﴾ يشمر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى
الرب السيد المربي الذي يسوس مسوده ويربّيه ويُدبره . والعالمين جمع عالم .
جمعه جمع المذكر العاقل تقييما . وأراد به جميع الكائنات الممكنة . أي انه
رب كل ما يدخل في مفهوم العالم . الحمد لله . كأن الفارسي يقول ها انا اذ أعرفت
رحمة الله سارية في سائر العوالم ولقد علمت ، ان كل من أنعم عليه بنعمة
يشكر مسديها . فالولد يشكر أبويه على التربية . والضعيف الذليل
يشكر القادر الشجاع الذي انقذه من الذلة . والمتعلم يشكر العالم الذي
اسبغ عليه نعمة العلم . كما أفاده العلامة الشيخ محمد عبده في تفسيره .

وذكر أيضا ان الامم كالأفراد . فاننا نرى كل أمة تتجدد وتمدح ونحمد
رجالها الذين افادوها . ورقوا صناعاتهم وتجارتها وروثها في التاريخ والجاميع
وهكذا شجماؤها الجحاجيح وابطالها المقاديم . وكذا انبيؤها وحكماؤها
الذين اضاءوا بنعمة العلم والدين . فهذه نعمة واصله من المحسنين والشجعان
والعلماء إلى الامم فاستحقوا بذلك الشكر . ولا جرم ان الشكر يكون
بالقلب ثم الجوارح واهمها اللسان فينطق بالحمد . وهو الثناء الجميل لاجل

النعمة الواصلة بالاختيار من المنعمين. يجيش في نفس القارىء تلك الرحمت العامة فيشكر مسديها بقلبه وجوارحه وهى قسمان . رحمت واصله على أيدي الناس كالوالدين والشجمان والعلماء والانبياء والحسنين ورحمة واصله من غيرهم كالشراق الشمس ونعمة السحاب وجريان الماء وعجائب النبات وجمال الطبيعة وبهاء النجوم ونور العين ورؤية البصر وسماع الاذن وبطش اليد وقوة الرجل وغيرها . وهذه النعم والرحمت بقسمها ليس لها مصدر الا الله . ولا جرم ان الحمد والثناء انما يكون المحسن الحقيقي . فالحمد اذن انما يكون له سبحانه . فاذا مدحنا الوالدين وحمدنا الشجمان وشكرنا العلماء والانبياء فالحمد والشكر والمدح لله تعالى لانه تعالى مولى هذه النعمة والرحمة . واذا تمتعنا بنعمة السحاب والمطر وماء الانهار ومعادن الجبال ونور الشمس فالحمد والشكر لمسديها . وهو الله . فكان القارىء يقول ها انا اذا عرفت ان الرحمة الواصلة لامباد مرجعها الله تعالى وحده فيكون كل حمد صادر من الالسنه راجعا لله عز وجل . لانه هو المختص بالرحمة التى كان سببا في الثناء .

كانت العرب تمدح ملوكها ومحسنيها في الجاهلية . فامرهم الله تعالى ان يولوا وجوههم قبل الله . وان يصدوا عن المذائح الملكية ولذوى الشرف اطلاقا لنفوسهم من الاسر ولعقولهم من الغفلة . وتعويدا لهم على الحرية العقلية وان ينسوا الفضل والاحسان القليل الصادر من المخلوق الضعيف . وان يطلبوا الخير والمعروف عند الله الذى هو الربى لجميع العالمين من الملوك والمثريين وغيرهم . فاذا فعلوا ذلك اصبحوا سادة العالم

بنظرهم في العوالم وبمخترهم في نظامها وعجائبها . فينالون الخير من الربى
العظيم والخالق الحكيم بخدم واجتهادهم لا بالاستجداء من الملوك ولا
بالتوسل من المحسنين . ولقد حقق الله تعالى بعض ما ذكرنا . الا ترى
انهم فتحوا الام شرقاً وغرباً بأنحادهم . ونالوا من الخيرات فوق ما يبتغون
وفي هذه السورة وكذا في كثير من الايات والسور أمر الله المسلمين ان
يخلصوا الله بالحمد وبالعبادة . فرجع الامر الى توجيه العبادة والحمد والذكر
لله وبحريم عبادة المخلوق والخضوع له . وشرعنا هذا دين حسن الحسن
وقبح القبيح كله .

ويناسب لهذا المقام ما حكى ان زهرة قال هو لرستم قائد جيش الفرس
اذذاك (انام) انكم لطلب الدنيا وانما طلبتنا وهمتنا الآخرة . فقال له رستم
مادى الاسلام . قال ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله قال وأى
شئ أيضاً قال (اخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . والناس بنوا
آدم وحواء إخوة لاب وأم الخ والعبادة والحمد مختصان بالله عز وجل
وانه هو الذى يطالب منه الاعانة والمهداية الى الصراط المستقيم اولا ترى ان
الاسلام كان له فى الصدر الاول معنى غير الذى يفهم المسلمون الآن . لان
مبنى الاسلام العدل والمساوات وان لا يستعبد بعضهم بعضا . وانهم خلفاء الله
فى ارضه ليعطوا عباده الحرية فالاسلام اذ ذاك مبنى على الفهم والعلم
والعقل فأما الآن فانه مجرد ظواهر واعمال لاتصل الى اعماق القلوب . فلذلك
انحطت الامم الاسلامية اليوم اما يحىء الآن ان ترجع الى عزها القديم

ومجدها العظيم . ولكن هيات متى يكون ذلك . فانا لانرى المسلمين
الا متقهقرين ومنغمسين فى الضلالات

« رب العالمين » اى مربى العوالم كلها . ومرفيهام من حال النقص الى
حال الكمال وغايات التمام . فهو الذى يتعمد النبات بالتغذية والائماء . وهكذا
الحيوان والانسان . وكذا العوالم العلوية . وهذه هى التربية التى كان مبدؤها
الرحمة . والله تعالى ذكر تربيته للعالمين ورحمته لخلقين . وقدمه على العبادة
وهداية الصراط المستقيم وكأنه تعالى يشوقكم الى د راسه رحماته . ويأمركم
بمعرفة كلماته . فاذا تأمل المسلمون ما ذكرناه كان حمدهم حقيقيا اذا عملوا
بمقتضاه . ولما كان كل حمد لا بد له من سبب يستوجبه ذكر السبب وهو
التربية والرحمة . فقال انه رب العالمين وكيف يقرءون فى صلواتهم كل آن ان
الله تعالى مربى العالمين واكثرهم يحبهون تربيته . فانه ربى التطيفة حتى جعلها
انسانا بصيرا ناطقا . وكيف انبت الذرة والقمح . وكيف ربى الاشجار وانبتها
وانمراها . وهكذا صغيرات الامور وكبيراتها . فيجب علينا ان نتفكر
فى ذلك . لان نأكل كما تأكل الانعام . ونسجد كما يسجد لحيوان ونموت كما
تموت الديدان .

واعلم ان احمدا يكون على مقدار علم الحامد . فالحامد كلما كان اعرف
بصفات الممود كان اصدق حمدا . وكلما كان قليل العلم بها كان اقرب الى
الكذب فى حمده ولذلك نجد الناس اذا ارادوا تائين ميت او تكريم حى جمعوا
من الكتب ما كان له من محمده . واذا ارادوا ذما نقيروا عن الاعمال السيئة
فكهننا هنا ان يعرف المسلمون بحامد الله حتى يقرءوا نظام الطبيعة لانها

أفعاله وآثاره وعجائب صنعه . وهي كتاب التاريخ الذي يحفظ في سجل الدهر
فاذ أراد المسلمون أن يحمّدوا الله من حمده فليقرأ عقلاؤهم نظام الطبيعة
وايعقلوها . فحينئذ يحمّدون الله حق حمده . كما يحمّد الأمم رجالها . فاذا
قالوا الحمد لله كان ذلك على الحقيقة والواقع لا بمجرد اللفظ . فها أنا أقول
ملاحظاً كل ذلك (الحمد لله رب العالمين)

والعالمين جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى . والعالم قسمان عالم علوى
وعالم سفلى . والعلوى هو الملائكة والسماء والكواكب والشمس والقمر
والسيارات وغيرها . والعالم السفلى مافى البحر من مخلوقات حتى وما على
الأرض من معدن ونبات وحيوان وإنسان . والجبال والعيون والأنهار
ومن عجائب البحر الدر وارجان . ومن الآثار العلوية تغير الهواء من
النور والظلمة والحر والبرد وتصريف الرياح والسحاب بين السماء والأرض
والأمطار والريعود والبروق والثلوج والهالات . الا فليعلم المسلمون في
مشارك الأرض ومغاريبها أنهم لا يحمّدون الله حق حمده ولا يشكرونه
حق شكره الا اذا درسوا هذه العلوم كلها . وعرفوا ما تفرخ عنها وانفعوا
بها . ونفعوا الناس بفوائدها واذن بحق لهم أن يقولوا (الحمد لله رب
العالمين) وأما اذا ما بقوا على جهلهم ولم يعرفوا هذه العلوم ولا نظامها
فليعلموا ان حمدهم لفظي وشكرهم ظاهري فقط .

أضرب لكم هنا مثلاً . يحكى ان مؤلفاً عظيماً قدم على رجل من
رجال الجرائد كتاباً . فكان هو وزوجته لا يتركان مجلساً الا مدحا هذا

المؤلف . ولا ناديا الا أنبيا عليه . وهما في كل واد يمدحانه . ويحمدان
صنيع ذلك المؤلف ؛ وانه أحسن الى أمته وان لها شرفاً عالياً ونفراً
تالداً ، فلما أت حل المؤلف بساحتها وهما لم يرياه قبل ذلك فرحابه
وأستبشراوا كرماء غاية الاكرام ولما قاما الى بعض شأنها نظروا فوجد
كتابه لم يفيض خاتمه ، ولا يزال ورقه متصلاً غير منفصل دلالة على انها
لم يقرأ آتمه حرفاً ولم يعرف منه كلمة ، فلما ودعها وانصرف أرسل اليهما
مقصداً ليفهمهما انه أدرك ان الحمد والمدح كانا على جهالة عمياء وان
الثناء رياء ، فانقلب سروره غمافرحه حزناً ، افلا يكون نصيب المسلمين
من ربهم نصيب ذلك الرجل وزوجته من المؤلف ، افلا يقول الله
للمسلمين أنتم تقرأون كتابي وتحمدونني ولكن لا تعرفون من صفاتي
وأفعالي الا قليلاً فلا عطيتكم من نعمي على مقدار ما عرفتم ، وأخذ يقص
أرضنا معاشر المسلمين ويعطيها للامم الاخرى التي درست العوالم ، أن
الله تعالى لم يرسل مقصداً الى المسلمين كما أرسل المؤلف ولكنه أرسل
رجالاً وأما قصوا من أرضنا ، ولا يزالون يقصون وحرموننا منها جزاء
وفاقاً ان الارض يرثها عبادي الصالحون ﴿ فارض الجنة يرثها
الصالحون لها بالعمل ، وارض الدنيا يرثها الصالحون لها بالعمل والعمل
يتقدمه العلم ؛ فكل امة أعرف بهذا العالم فهي أحق به وأولى بالفضل
وأعرف بالحمد

واعلم ان لكل حمد سبباً كما اشرنا اليه . فالجائع يقول الحمد لله الذي
غذاي واطعمني واشبعني والظمان يقول الحمد لله الذي أرواني . والفقير

يقول الذى اغثنى . والجاهل يقول الذى علمنى وفى القرآن على لسان ابراهيم عليه السلام ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ﴾ وعلى لسان يوسف عليه السلام ﴿ وقد احسن بى اذا خرجنى من السجن ﴾ وهذه الجملة حمد على نعمة الخروج من السجن . ولم تشمل اسرة يوسف عليه السلام ، وقال الشاعر الجاهلى لما أسلم :

الحمد لله إذ لم يأتنى اجلى حتى اكتسيت من الاسلام سر بالا
فاما الحمد فى هذه السورة فسببه أن الله ربى جميع العالم ، فلمسلم يقول فى صلاته الحمد لله لأنه هو الذى ربى جميع العالم من العلويات والسفليات ، ولكن لما عز الحامدون الحقيقيون الشاكرون العاقلون قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ويا للأسف أن كثيرا من حافظ القرآن لا يعنيه الا أن يعيش به كالحمار يحمل اسفارا ، وكالجاموس لم يمنه الا البرسيم ، أوليس العامة الذين يفرحون بتهنئات القارىء فى مأتمهم واعراسهم اشبه بالصبي الذى راقه مناظر الازهار والطرب والمسلم العاقل الحكيم هو الذى يخاطب ربه بالفاتحة ويشئ عليه ويتوجه اليه بقلبه ، وهذا هو الذى يصير القرآن نوراً له يوم القيامة ، كما افاده العلامة الجوهري الطنطاوى فى تفسيره .

وقال العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره الشهير . قال الامام أبو جعفر ابن جرير فى تفسيره جامع البيان معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دون الله ؛ ودون كل ما برأ من خلقه بما انعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره

أحد . في تصحيح الآلات اطاعته وتمكين جوارح اجسام المكافين
لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذائهم به من نعم
العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه ،
من الاسباب إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد
على ذلك كله أولاً وآخراً ، والحمد ثناء انى الله تعالى به على نفسه . وفي
ضمنه أمر عباده أن يثمنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله .

وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد . الحمد لله رب
العالمين . افضل من قوله لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على
التوحيد مع الحمد . وقيل آخرون لا اله الا الله افضل لانها التفصيل
بين الايمان والكفر . وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .
كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر (افضل ما قلت
والنبيون من قبلي . لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعن جابر رضي
الله عنه مرفوعاً (افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله)
حسنه الترمذي

والالف واللام في الحمد لاستفراق جميع اجناس الحمد وصنوفه
فه تعالى كما جاء في الحديث (اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك
الخبر كله واليك يرجع الامر كله ، والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق
في اللغة على السيد وعلى المتصرف الاصلاح : وكل ذلك صحيح في حق الله
تعالى : ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالاضافة . فيقال رب الدار ورب
كذا ، واما الرب فلا يقال الا لله عز وجل : وقد قيل انه الاسم الاعظم .

والعالمين جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله عز وجل . وقال الزجاج
العالم كل ما خلق الله تعالى في الدنيا والآخرة . وقال القرطبي وهذا هو
الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله تعالى ﴿ قال فرعون وما رب
العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾
والعالم مشتق من العلامة ، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه
ووحدانيته . كما قال ابن المعتز :

فيا عجيباً كيف يعصى الآله أم كيف يحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى في تفسيره : الرب في الاصل
مصدر بمعنى التريية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً . ثم وصف به
للمبالغة ، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويريه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيداً ومضافاً . والعالم اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع تعالى
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض . وفيه دليل على أن الممكنات
كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبتقى حال بقائها .

وقال العلامة الراغب الاصفهاني في غرائب القرآن : الرب في الاصل
التريية ، وهو انشاء الشيء حالاً خالاً إلى حد التمام ، ولا يقال الرب مطلقاً
إلى الله تعالى التكفل لمصلحة الموجودات ، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ ولا
ياأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴾ أى آلهة وتزعمون أنهم الباري
ومسبب الاسباب والمتولى لمصالح العباد ، وبالإضافة يقال له ولغيره نحو
﴿ رب العالمين ، وربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ويقال رب الدار ورب

الفرس . ومنه قوله تعالى ﴿ اذ كرى عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه ، وارجع إلى ربك ، ومعاذ الله انه ربي أحسن مثواي ﴾ الخ .

قال العارف الشيخ احمد السرهندى فى المکتوب (٧١) من مکتوباته مانصه : اعلم أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلاً وشرعاً . ومن المعلوم ان وجوب الشكر على قدر وصول النعمة . فكلما كان وصول النعمة أكثر كان وجوب الشكر أزيد وأوفر . والشكر لله الكريم المنعم تعالى وتقدس انما يكون بتصحیح العقائد أولاً على مقتضى عقيدة أهل السنة والجماعة . ثم انیان الاعمال والاحکام الشرعية على وفق ما وردت فى السنة ويثبتها الأئمة المجتهدون . وهذان ركنان أصليان والاسلام مربوط بهما . الخ .

وفى مجموعة الرسائل النحوية : اعلم ان أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ومدبره بارادته . فاذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالحب والاحلال والتمظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه . وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة . ولذلك يعرف بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة الهيته التى هى مجموع عبادته على مراده نفيًا وإثباتًا علمًا وعملاً وجملة وتفصيلاً .

وفى رسالة تفصيل الاجال للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . والكفار فى العالم اما معطلة واما مشركة . والشرك فى العالم أكثر من التعطيل . والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالفرعون . وعلى المشركين .

أكثر . ومرض الشرك في الناس أكثر من مرض التعطيل . قال العبد الضعيف المعصومي حفظه الله تعالى في الدارين عن كل مين وشين . وهذا هو المشاهد فانك اذا تتفكر فيما عليه الناس تجد أكثرهم مشركين اما باعتقاد ان الملائكة او الجن او الارواح او اصحاب الفرائح او بعض الاشجار او الاحجار ينفعه ويضره . او ان بعض الارواح والاموات يعلمون الغيب او يتصرفون في الامور او أمثال ذلك . مما يدل على الشرك في الربوبية والشرك في العبادة او الشرك في الاسماء والصفات . ولهذا قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم ، بالله الا وهم مشركون ﴾

وفي المکتوب (١٦٧) العارف السر هندي . ان الهنود يعتقدون ان الاله حل في رام وكرشن وامثالهما من آلهة الهنود . وهم وان كانوا قائلين بوجود رب العالمين ولكنهم اثبتوا له سبحانه الحلول فيهم واتحاده بهم . فدعوا الخلق الى عبادتهم من هذه الجهة . والحال انهم من احقر مخلوقات الله تعالى . ومتولدات من المخلوقين . والاله المستحق للعبادة انما هو جناب الحق رب العالمين الذي لا اله سواه

وقال الامام نجر الدين الرازي في تفسيره . الحمد لله انبات لوجود الله تعالى . ورب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين دليل على كونه تعالى مستحقاً للحمد . وما هنا دققة وهي ان علمنا بوجود الشئ اما ان يكون ضروريا او نظريا . لاجاز ان يقال ان العلم بوجود الاله ضروري لانا نعرف بالضرورة اننا لا نعرف وجود الاله بالضرورة فبقى ان يكون العلم به نظريا . والعلم النظري لا يمكن تحصيله الا بالدليل . ولا دليل

على وجود الاله الا ان هذا العالم المحسوس بما فيه من السماوات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج الى مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يرّيه ومبقي ببقية . فكان قوله رب العالمين . اشارة الى الدليل الدال على وجود الاله القادر الحكيم وان العالمين اشارة الى كل ماسوى الله تعالى . فكل ماسواه فهو مفتقر اليه ومحتاج في وجوده الى ايجاده وفي بقاءه الى ابقائه (قال المعصومي سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلًا فايزعمه المشركون من ان الارواح تعدم او تقتصر فيهم باطل . فردا عليهم وقما لا اعتقاد هم الفاسد قال الله تعالى ان الربى للعالم واهله هو الله وحده) وانما قال رب العالمين ولم يقل خالق العالمين . لان المليون كلمهم معترفون بان الخالق هو الله وحده . وانما اختلفوا في بقاءه انه هل يحتاج الى تربية خالقه فزعم الوثنيون والبوديون والمشركون انه يكفي تربية الارواح الزاكيات فرد الله تعالى عليهم بانه لا يستغنى مخلوق ما عن تربية الله تعالى فهو ربى العالمين باجمعهم ارواحهم واجسادهم وانسهم وجنهم وملائكتهم . فلهذا قال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

الحمد لله معناه ان الحمد والثناء حق لله وملكه . فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة اباديه وانواع الآث على العباد . والحمد لله عبارة عن صفة القلب . وهى اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعا مستحقا للتعظيم والاجلال لذاته . واعلم ان حقيقة الحمد وما هيته عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم النعم بسبب كونه منعا . وذلك الفعل اما ان يكون فعل القلب او فعل اللسان او فعل الجوارح . اما فعل القلب

فهو ان يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الكمال والاجلال . واما فعل اللسان فهو ان يذكر الفاظا دالة على كونه تعالى موصوفا بصفات الكمال واما فعل الجوارح فهو ان يأتي بأفعال دالة على كون ذلك للنعم موصوفا بصفات الكمال والاجلال . فهذا هو المراد من الحمد والله تعالى يربي مخلوقاته عموما والانسان خصوصا بوجوده كثيرة غير متناهية . فانظر الى قطرة النطفة اذا وقعت من صلب الاب الى رحم الام . فكيف صارت علقة اولاً ثم مضغة ثانياً ثم تولدت منها اعضاء مختلفة مثل العظام والخطارييف والرباطات والاورتار والاوردة والشرابين ثم اتصل ببعضه البعض ببعض ثم حصل في كل واحد منها نوع خاص من انواع القوى فخصات القوة الباصرة في العين والسامعة في الاذن والناطقة في اللسان تسبحان من اسمع بهظم وبصر بشحم وانطق باحم وكتب التشرح تفصل ذلك وكل ذلك يدل على تربية الله للعبد

والمثال الثاني ان الحبة الواحدة اذا وقعت في الارض فاذا وصلت نداوة الارض البها انتفخت . ولا تنشق من شئ من الجوانب الا من اعلاها واسفلها مع ان الارتفاع حاصل من جميع الجوانب اما الشق الاعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة . واما الشق الاسفل فيخرج منه الجزء الغائص في الارض وهو عروق الشجرة . واما الجزء الصاعد فيبعد صعوده يحصل له ساق . ثم يتفصل من ذلك الساق اغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الاغصان ازهار وانوار اولاً ثم الثمار ثانياً . ثم يحصل لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة . وهي القشور ثم اللبوب

ثم الادهان والحلاوة والروائح . وأما الجزء الغائص من الشجرة فان تلك العروق تنتهي الى أطرافها وتجذب الى نفسها المياه غاصة في الارض الصلبة الخشنة . والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد اليه من الغذاء والادام والفواكه والاشربة والادوية . وانه تعالى وضع الافلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العباد خلق الليل ليكون سبباً للراحة والسكون . وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة . واذا تأملت في عجائب احوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الانسان قضى صريح عقلاك بان اسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته لأئمة ظاهرة . وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحار اسرار قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان اليه من معرفة المبدء والمعاد والوسط . فالحمد لله رب العالمين . اشارة الى اثبات الصانع المختار والطريق المعتمد في اثبات الصانع في القرآن هو الاستدلال بخلق الانسان على ذلك الاترى ان ابراهيم عليه السلام قال ﴿ ربى الذى يحيى ويميت ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ وقال موسى عليه السلام ﴿ ربنا الذى أعطى كل شئ خاقه ثم هدى ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقال تعالى فى اول سورة البقرة ﴿ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقال تعالى فى أول ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق الانسان من علق ﴾ فهذه الآيات تدل على انه

تعالى استدلل بخلق الانسان على وجود الصانع تعالى . وإذا تأمات في القرآن وجدت هذا النوع من الاستدلال فيه كثيراً جداً .

وها أنا أذكر هنا بعض تلك الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه .
 وافاد انه الخالق المنعم الكريم المستحق لجميع الحمد وانه هو الذى يدبر أمور عباده . كما افتتح الله تعالى سورة الانعام بقوله ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ ﴿ وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ ﴿ قل لمن ما فى السموات والارض . قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ ﴿ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطمم ولا يطمم . قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾ ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المتدين ﴾ وفى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ، اليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقاً ، انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ ﴿ قل من يرزقكم

من السماء والارض آمن بملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، قل افلا تتقون * فذاكم الله ربكم الحق ، فذاذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون * وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ﴿ وفي سورة المؤمنون ﴾ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل افلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل فاني تسعرون ﴿ وفي سورة الفرقان ﴾ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلاق كل شىء . فقدّره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . ولا يملكون لانفسهم ضرراً ولا نفعا ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿ وفي سورة النمل ﴾ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون . امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إلاه مع الله بل هم قوم خصمون * أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها نهراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً إلاه مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ، إلاه مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن

برسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، أله مع الله . تعالى الله عما يشركون .
 آمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ، أله مع الله
 قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . قل لا يعلم من في السموات
 والارض الغيب الا الله . وما يشعرون ايان يبعثون ﴿ وفي سورة القصص
 ﴿ وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة ، وله الحكم واليه
 ترجعون ﴾ وفي آخر سورة العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
 والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون . ولئن سألتهم
 من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد
 لله بل اكثرهم لا يعقلون . فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
 الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم ولتتمتعوا
 فسوف يعلمون . والذين جاهدوا فينا لهديتهم سبيلنا وان الله لمع المحسنين .
 وفي سورة لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
 قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون . ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
 من دونه الباطل ، وان الله هو العلي الكبير . واذا غشيهم موج كالظلل
 دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد
 بآياتنا الا كل ختار كفور ﴾ يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا
 يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازع عن والده شيئاً . ان وعد الله حق
 فلا تفرنكم الحياة الدنيا . ولا يفرنكم بالله الفرور ﴾ وفي سورة الزمر
 ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل افرأيتم
 ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو

أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبى الله ، عليه يتوكل المتوكلون . ام اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والارض ، ثم اليه ترجعون . واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون . الله خالق كل شىء ، وهو على كل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض ، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفخير الله تأسرونى أعبد ايها الجاهلون ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك . لئن اشركت ليعذبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين . وما قدر والله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ وفى آخر سورة الزخرف ﴿ واثن سألتهم من خلقهم ليقول ان الله فاني يؤفكون ﴾ وفى سورة الحشر هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (وسبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى)

وبالجملة لو تفكر فى هذه الايات وامثالها علمت يقينا ان كل شىء منه تعالى بدأ واليه يعود . وليس لاحد سواه شىء فى الحقيقة . وهو الرب

الكريم والرؤف الرحيم . فهو المستحق للعبادة والحمد والتمظيم والتبجيل جل جلاله وعم نواله . فينبغي على العبد ان يؤمن ان يسلك في هذا المسلك الذي هو مسلك سيد الخنفاء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . كما حكي الله تعالى عنه في سورة الشعراء (وأتوا عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لايه وقومه ما تعبدون . قلوا نعبد اصناما فنظلم لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون . فانهم عدوا لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يمتحنى تم يحمين . والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

قال العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية هذا اخبار من من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه ابراهيم عليه السلام امام الخنفاء . فامر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ ان يتلوه على امته ليقتدوا به . فى الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له . والتبرى من الشرك وأهله . فان الله تعالى . آتى ابراهيم عليه السلام رشده من صفرة الى كبره وانكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل وافاد انى لا اعبد الا الذى خالق الخلق وقدر الاقدار وهدى الخلاق اليه . وهو الخالق الرازق بما سخر ويسر من الاسباب السماوية والارضية . الخ .

فقلوه تعالى (الحمد لله رب العالمين) صريح فى ان التربية بجميع العالمين مختصة بالله تعالى فالارب فى الحقيقة سواء . واعلم ان التربية

قسمان . تربية حقيقية وتربية ظاهرية فالحقيقية مختصة بالله تعالى لا يشاركه فيها احد . كترية السموات والارضين واجرائها حسب مصلحة العباد . وكترية النطفة والجنين في بطن الام . وكأثناء الاجسام والحفظ عن الاقسام والافات ونحوها . وكاعطاء التوفيق والهداية وامثالها . واما التربية الظاهرية فكترية الام ولدها بالارضاع والتنظيف والتطعيم ونحوها . وكترية الاب والمعلم بالتعليم تعاليم العلوم الدينية والاخلاق الفاضلة والصنائع والحفظ عن مخالطة القرناء السوء وكترية الزراع والبستاني زرعه وبستانه بالسقى واخراج الحشائش الضارة . والتلقيح وغير ذلك وكترية الدواب والمواشى بالاعلاف والاسقماء وامثال ذلك فهذه التربيات هي التي تختص بنوع البشر . واما التربية التي يدعيها بعض الصوفية من ان الارواح تربي المخلصين لها ويسمونها تربية روحانية فيعكفون على قبور المشايخ وينذرون اليها ويطلبون من اصحابها التربية فهذه هي التي جاء الشرع المحمدى لمحوها واعدامها . لانها من دين المجوس وعادات من الوثنية . فعليك يا ايها المسلم ان تعرف هذه القاعدة وتحافظ عليها . وان تعتقد ان الرب لجميع العالمين في الحقيقة هو الله تعالى وحده . وسواء فيه النبي والملك والاولياء وجميع انواع الانس واعناف الجن فان كلهم مربوبون لا ارباب . وفقراء ومحتاجون الى تربية الرب الرحمن الرحيم . والتربية الظاهرة هي ايضاً من الله في الحقيقة . لانه تعالى هداة والهمه . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فهو حسبنا وعليه توكلنا .

واما قوله تعالى (الرحمن الرحيم) فآية ثانية من الفاتحة الشريفة
وتقدم معناها في البسمة . وبقي الكلام في اعادتها هنا . والنكته فيها
ظاهرة وهي ان تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم كجلب منفعة
او دفع مضرة . وانما هي لعموم رحمته وشمول احسانه . وثم نكته اخرى
وهي ان البعض يفهم من معنى الرب الجبروت والقهر . فاراد الله تعالى
ان يذكره برحمته واحسانه ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال . فذكر
الرحمن وهو المفيض للنعم بسعة ونجدد لا ينتهي لهما . والرحيم الثابت
له وصف الرحمة لا يزايله ابداً فكان الله تعالى ازاد ان يتعجب الى عباده
فعرّفهم ان ربوبيته ربوية رحمة واحسان ليعلموا ان هذه الصفة هي
التي ربما يرجع اليها معنى الصفات وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب
مَرْضَاتِهِ منشحة صدورهم مطمئنة قلوبهم . ولا ينافي في عموم الرحمة
وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا وما اعدّه من العذاب في
الآخرة للذين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فانه وان سمي قهراً
بالنسبة لصورته ومظهره فهو في حقيقته وعاقبته وغايته من الرحمة لان
فيه تربية للناس وزجراً لهم عن الوقوع فيما يخرج عن حدود الشريعة
الالهية . وفي الانحراف عنها شقاؤهم وبلاؤهم وفي الوقوف عندها
سعادتهم ونعيمهم . والوالد الرؤف يربي ولده بالترغيب فيما ينفعه
والاحسان اليه اذا قام به وربما لجأ الى التهيب والعقوبة اذا اقتضى
ذلك الحال . وفيه المثل الاعلى لا اله الا هو واليه يرجعون كما افاده
الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في تفسيره .

قال العلامة الخافض ابن كثير في تفسيره قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب كما قال تعالى (نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عبادي هو المذاب الاليم) وقوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور الرحيم) فالرب فيه تهيب والرحمن الرحيم فيه ترغيب .

وقال العلامة الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (الرحمن الرحيم) واعلم ان الحوادث على قسمين منه ما يظن انه رحمة مع انه لا يكون كذلك . بل يكون في الحقيقة عذاباً ونقمة ومنه ما يظن في الظاهر انه عذاب ونقمة مع انه يكون في الحقيقة فضلاً واحساناً ورحمة فالاول كالوالد اذا اهل ولده حتى يفعل ما يشاء ولا يؤدبه ولا يحمله على التعلم فهذا في الظاهر رحمة وفي الباطن نقمة والثاني فكالوالد ايضاً اذا حبس ولده في المسكن وحمله على التعلم وهذا في الظاهر نقمة وفي الحقيقة نعمة ورحمة . وكذلك الانسان اذا وقع في يده الاكلة فاذا قطعت تلك اليد فهذا في الظاهر عذاب وفي الباطن راحة ورحمة فالابله يفتخر بالظاهر والمافل ينظر في السرائر فاذا عرفت هذا فكل ما في العالم من محنة وبلية فلا يخلو عن حكمة ورحمة ، والمقصود من التكاليف تطهير الارواح عن الملائق الجسمانية ؛ كما قال تعالى ﴿ ان احسنتم احسنتم لا تنقسم ﴾ والمقصود من خلق النار صرف الاشرار إلى اعمال الابرار ، وجذبها من دار الفرار إلى دار القرار ، فاذا رأيت

ما يكره طبيعك وينفر عنه عقلك فاعلم ان تحته اسراراً خفية وحكماً بالغة.
وان حكمته تعالى ورحمته اقتضت ذلك . وعند ذلك يظهر لك أثر من
بحار اسرار قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

فعلى العبد المؤمن أن يلاحظ هذه الصفة ، ويعتقد أن ربه هو
الرحمن الرحيم الذى أرحم له من والديه ، فيعتمد عليه وينيب اليه ويتوكل
عليه ويخاص أعماله له عز وجل ، فاذا اتصف العبد بهذه الصفة فلا شك
أنه يكون من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة ، فتكون فاتحة الكتاب
شفاء له من داء الكفر والشرك والنفاق والضلال فنحمدك يا ربنا ورب
العالمين الرحمن الرحيم .

وأما قوله تعالى ﴿ ملك يوم الدين ﴾ فآية نالته من أم الكتاب،
قرأ عاصم والكسائى ويعقوب (ملك) والباقون (ملك) وعليها أهل
الحجاز ، والفرق بينهما أن الملك ذو الملك . بكسر الميم ، والملك ذو الملك
(بضمها) والقرآن يشهد للأولى بمثل قوله ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس
شيئاً ﴾ وللثانية بقوله ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ قال بعضهم ان قراءة ملك
أبلغ لأن هذا اللفظ يفهم منه معنى السلطان والقوة والتدبير، وقال آخرون
أن القراءة الأولى أبلغ لأن الملك هو الذى يدبر أعمال رعيته العامة .
ولا تصرف له بشئ من شئونهم الخاصة ، والدين يطلق فى اللغة على
المكافأة . وقد ورد . كما تدبّر تدان . وعلى الجزاء وهو قريب من معنى
المكافأة . وعلى الطاعة وعلى الاخضاع وعلى السياسة ؛ يقال دين فلان
فلاناً ، أى تولى سياسته . وهو قريب من معنى الاخضاع وعلى الشريعة

وما يؤخذ العباد به من التكاليف ، والمناسب هنا من هذه المعاني الجزاء والخضوع . وإنما قال يوم الدين . ولم يقل الدين لتعريفنا بأن الدين يوماً ممتازاً عن سائر الأيام ، وهو اليوم الذي ياتي فيه كل عامل عمله ويوفي جزاءه . وإذا قال قائل ، أليست كل الأيام أيام جزاء ، وكل ما يلاقيه الناس في هذه الحياة من البؤس هو جزاء على تفریطهم في أداء الحقوق ، والقيام بالواجبات التي عليهم ، والجواب بلى ان أيامنا التي نحن فيها قد يقع فيها الجزاء على أعمالنا ولكن ربما لا يظهر لأربابه ، إلا على بعضها دون جميعها . والجزاء على التفریط في العمل الواجب انما يظهر في الدنيا ظهوراً تاماً بالنسبة لمجموع الأمة لا لكل فرد من الافراد . فاما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ، ولم تراع سننه في خليقته إلا وأحل بها المعدل الآلهي ما يستحق من الجزاء كالفقر والذلة وفقد العزة والسلطة . وأما الافراد فاننا نرى كثيراً من المرففين الظالمين يقضون أعمارهم منغمسين في الشهوات والذات . نعم أن ضماؤهم توبخهم أحياناً وانهم لا يسلمون من المنقصات ، وقد يصيبهم النقص في أموالهم وعافية ابدانهم وقوة عقولهم . ولكن هذا كله لم يقابل بعض أعمالهم القبيحة ، لاسيما الملوك والامراء الذين تشقى بأعمالهم السيئة امم وشعوب . وكذلك نرى من المحسنين في أنفسهم وللناس من يبتلى بهضم الحقوق . ولا ينال من الجزاء على عمله شيئاً مما يستحقه . وان كان قد ينال من الجزاء رضى نفسه وسلامة أخلاقه وصحة ملكاته . ولكن ذلك ليس كل ما يستحق . وفي ذلك اليوم يوفي كل فرد من افراد العالمين جزاءه كاملاً لا يظلم شيئاً منه . كما قال تعالى

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾
وقد علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم ليجذب قلوبنا اليه . ولكن هل
يشعر كل عباده بهذه المنّة . فينجذبوا اليه الانجذاب المطلوب . كلا فينا
من يسلك كل سبيل لا يبالي بمستقيم ومعوج . ولهذا أعقب الله سبحانه
ذكر الرحمة بذكر الدين فمرفئنا نه يدن العباد ويجازيهم على اعمالهم . فكان
من رحمته بعباده ان ربام بنوعى التريه كليهما . الترغيب والترهيب . كما
تشهد بذلك آيات القرآن الكثيرة ﴿ نبيء عبادى انى انا الغفور الرحيم
وان عذابى هو المذاب الاليم ﴾

ومعلوم ان التريه يعوزها أمران الرحمة والشدّة . فاذا لم تكن الرحمة
او عدم الجزاء والمكافأة بالاحسان والاساءة كانت التريه ناقصة . ولقد
جعل الله الام أقرب الى الرحمة . والاب أقرب الى الشدّة والمجازاة فاذا
فقد أحدهما ساءت التريه فاشار تعالى الى الاول بقوله ﴿ الرحمن الرحيم
والى الثانى بقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أعنى مالك الامر يوم الجزاء والجزاء
تابع للأعمال .

وترى حكومات الارض قاطبه نصبت القضاة وأقامت الجنود
وجعلت لها دور للحبس وأخرى لاكرام الضيف والوافدين من الاقطار
ووضعت القوانين والحدود وذلك سائر على نظام فى مشارق الارض ومغاربها
ولكن القانون البشرى يلحقه الخطأ خلل فيه أو لضلال القضاة والحكام
او جهلهم جعل الله الجزاء الاوفى يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت
وم لا يظلمون

فأله عز وجل مالك جميع الامور محيط بالخلق في الدنيا والآخرة
يشيب الطائعين والعاملين ويقرر العاصين والكاسين . ويدل الباغين أما
في الدنيا وأما في الآخرة وأما فيها معا . وبهذا تمت التربية ونظام العالم .
جميع المحامد راجعة اليه لانه المحسن الحقيقي . وفوق الحمد أنه
يختص بالعبادة التي هي غاية الخضوع ومنه طريق معبد أي مذل . فكأن
القارى يقول يا من اتصف بهذه الصفات التي يمتاز بها عما عداه (يا بك نعبد)
أي نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . هكذا قرره العلامة الشيخ
محمد عبده والجاهل الطنطاوى جازاهما الله تعالى عن الاسلام خيرا :

وقال العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ونخصيص الملك يوم
الدين لا ينفيه عما عداه . لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك
عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف الى يوم الدين لانه لا يدعى احد هناك
شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن عباس رضى الله
عنها لا يملك احد معه في ذلك اليوم حكما كلكم في الدنيا ويوم الدين ويوم
الحساب لا خلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم ان خير الخيرة وان شر اشر
الامن عنى عنه وهذا ظاهر . والملك في الحقيقة هو الله عز وجل . والدين
الحساب والجزاء كما قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق . واثنا
لمدينون) أي مجزيون محاسبون وفي الحديث (السكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت) أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضى الله عنه
(حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا) وزنوا انفسكم قبل ان توازنوا)

وتأهبوا للمعرض الا كبر على من لا تخفى عليه اعمالكم (يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية) وقال العلامة البيضاوى . واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين رباً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها
ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها . مالكاً لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه . بل لا يستحقه على الحقيقة
احد سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له . وللأشعار
من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان
يحمد فضلاً عن ان يعبد فيكون دليلاً على ما بعده فلو وصف الاول لبيان
ماهو الموجب للحمد وهو الابداء والتربية . والثانى والثالث للدلالة على
انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لا يجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال يستحق به الحمد . والرابع لتحقيق
الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة بوجه ما . وتضمن الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين .

وقال العلامة الفخر الرازى (مالك يوم الدين اى مالك يوم البعث
والجزاء . وتقريره انه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع
والعاصى والموافق والمخالف . وذلك لا يظهر إلا فى يوم الجزاء كما قال
تعالى ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وأم
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين
كالفجار ﴾ وان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ وذلك
الوقت هو يوم الدين فينتقم فيه من الظالم للمظلوم . وأما الدنيا فدار عمل .

وقال المحقق العارف الشيخ احمد السرهندي في المکتوب (٧٤) من مکتوباته . ان يوم القيامة تختص فيه المالكية والملكية . سواء كانت بطريق الحقيقة أو المجاز بمالك يوم الدين . ويومئذ ينادى الحق سبحانه ويقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ويقول في جوابه بنفسه ﴿ الله الواحد القهار ﴾ وليس للعباد في ذلك اليوم شئ سوى الهول والدهشة والندم والحسرة . وقد أخبر الله تعالى في القرآن المجيد عن شدة ذلك اليوم . فلا بد أن لا يفتر أحد بأحد ، ولا يعتمد أحد لا أحد إلا الله الواحد القهار .

قال العبد الضعيف المعصوم عفي الله تعالى عنه وأنا أذكر هنا بعض الآيات أيضاً للمقام قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ فكيف إذا جعنا من يوم لا ريب فيه ، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، يوم تجحد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء ، تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤف بالعباد ﴾ وفيها أيضاً : خطاباً لسيد البشر محمد ﷺ ﴿ ليس لك من الأمر شيء . أوتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ، لله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله غفور رحيم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ وفي سورة النساء ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وفي سورة الفرقان ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان

خذولا ﴿ وفي سورة المؤمن ﴾ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؛ الله الواحد القهار ؛ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ؛ إن الله سريع الحساب ، والله يقضى بالحق ؛ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ، إن الله هو السميع البصير ﴿ وفي سورة الدخان ﴾ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا ينفع مولى عن مولى شيئاً ولا م ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴿ وفي سورة الانقطار ﴾ وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدرك ما يوم الدين ؛ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

فانظر يا أخى إلى هذه الآيات وتفكر فيها ، فانه لا ينفعك يوم القيامة إلا إيمانك وأعمالك الصالحة ، ولا يرحمك ولا ينفرك إلا الله وحده ؛ ولا يشفع أحد لأحد إلا بعد إذن الله تعالى لأهل الإيمان ، فلا تغتر بما أغترت به النصارى وعبيدة الاوثان من أن فلاناً وفلاناً يشفع أو ينفع ، أو يدخل الجنة وينجيه من النار ، فان هذه كلها هوس وخيال اخترعها أوهام الدجاجلة وافكار الالبالة فالحذر كل الحذر ، من الاعتماد على غير الله الواحد القهار . اللهم ثبتنا على دينك فانك مالك قلوبنا ، فتهدى من تشاء وتضل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير .

وأما قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فآية رابعة من أم الكتاب . لما ثبت أن جميع المحامد راجعة اليه تعالى لانه المحسن الحقيقي ، وفوق الحمد يختص تعالى بالعبادة التى هى غاية الخضوع . فكان القارئ يقول : يا من اتصف بهذه الصفات التى يمتاز بها عما عداه ﴿ إياك نعبد ﴾

أى نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . فالنصف الاول من هذه السورة أحضر في قلب القارىء الصفات المميزة للربوبية . فلما تمثلت في قلبه وذهنه تلك العظمة صارت كأنها مشاهدة أمامه فالتفت عن الغيبة الى الخطاب وكأنه يشاهده ويراه كما في الحديث ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه براك ﴾ ولن يكون ذلك الا باستحضار صفاته العالية في قلبه . والى هنا وصل القارىء الى آخر درجات التقرب وهو الخضوع والتذلل كما في قوله تعالى ﴿ واسجد واقرب ﴾ فلم يبق بعدها الا السؤال والطلب من المتقرب اليه فقال ﴿ وإياك نستعين ﴾ فى أمورنا الدنيوية والاخروية . كالصحة والغنى والمال والولد . واهم الحاجات أداء العبادات والمهادية الى الصراط المستقيم فكانه يقول نحن نعبدك ولن نقدر على أداء العبادة الا اذا أعنتنا . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أتم ما تستعين فيه فقال العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قال العلامة البيضاوى : انه تعالى لما ذكر الحقيق بالحمد . ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات . وتعين العلم بعلوم معين خوطب بذلك . إى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص . ولترقى من البرهان الى العيان . والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا . والمعقول مشاهدا . والغيبة حضورا . بنى اول الكلام على ماهو مبادئ حال المعارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه الاستدلال بصانعه على عظيم شأنه . وباهر سلطانه ثم فنى بما هو

متمهى أمره . وهو أن يخوض لجة الوصول . ويصير من أهل المشاهدة
فيراها عيانا ويناجيه شفاهها . اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون
السامعين للأثر

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل . والاستعانة بطلب المعونة .
وتقديم المفعول للعصر . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا
نعبد غيرك . وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم منه أن تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة .

قال العلامة المحقق الشيخ محمد عبده في تفسيره . العبادة ما هي . يقولون
بهي الطاعة مع غاية الخضوع وإذا تتبعنا آى القرآن وأساليب اللغة واستعمال
العرب لعبد وما عاثلها ويقاربها في المعنى كخضع وخنع واطاع وذل نجد
انه لا شئ من هذه الالفاظ يضاهى عبد . وبحل محلها ويقع موقعها ولذا
قالوا ان لفظ العباد . مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى ولفظ
العبيد . تكثر إضافته إلى غير الله تعالى لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق
وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى ومن هنا قال بعض العلماء ان العبادة
لا تكون في اللغة الا لله تعالى . تدل الاساليب الصحيحة والاستعمال
العربي الصراح على ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية . ناشئ عن
استشعار القلوب عظمة للمعبود ولا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة له
لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ولكنها
فوق ادراكه فمن ينتهى إلى أقصى الذل للملك من الملوك لا يقال انه عبده ، وان
قبل مواعطى اقدامه مادام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من

ظلمه المعبود ، أو الرجاء بكرمه المحدود اللهم الا بالنسبة للذين يمتقدون ان الملك له قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملأ الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ؛ لانهم أطيب الناس عنصراً وأكرمهم جوهرأ ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والالحاد فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا وعبدوم عبادة حقيقية ، وللمعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الالهي الاعلى الذي هو روح العبادة وسرها ، ولكل عبادة من العبادات الصحيحة اثر في تقويم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي قلنا انه منشا التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة (أى حقيقية) كما ان صورة الانسان وتمثاله ليس انساناً .

خذ اليك عبادة الصلاة مثلاً ، وانظر كيف امر الله تعالى بإقامتها دون مجرد الاتيان بها ؛ واقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة وتنتجها هي ما انبأنا الله تعالى بها بقوله ﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ . وان الانسان خلق هلوفاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين ﴿وقد تواعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ الذين هم يراؤون ويعتمون الماعون ﴿فسماهم مصابرين لانهم اتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي

هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته ، والمشير للقلوب بمعظم
سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون .
ان التوحيد اهم ما جاء لاجله الدين ، ولذلك لم يكتف في الفاتحة
بمجرد الاشارة اليه بل استكماله بقوله ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ فاجتث
بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الامم ، وهي اتخاذ اولياء
من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ، ويدعون لذلك من دون الله
ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ، ويتقرب بهم إلى الله زلفى ؛ وجميع ما
في القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين فهو تفصيل لهذا الاجمال
وقد أمرنا الله تعالى بتوحيده وعبادته رحمة منه سبحانه بنا ، لانه لمصاحتنا
ومنفعتنا ؛ وقوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يتضمن الوعد والوعيد مما
لان معنى الدين الخضوع ، أى ان له تعالى في ذلك اليوم الساطان المطلق
والسيادة التي لا نزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء ، وان العالم كله يكون فيه
خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والفاتحة يحماتها تنفع روح العبادة في التدبر لها ؛ وروح العبادة
هي اشراق القلوب خشية الله وهيئته والرجاء لفضله ، لا الاعمال المعروفة
من فعل وكف وحركات اللسان والاعضاء ، فقد ذكرت العبادة في الفاتحة
قبل ذكر الصلاة واحكامها والصيام وايامه . وكانت هذه الروح في المسلمين
وانما الحركات والسكنات والاعمال مما يتوصل به الى حقيقة العبادة ،
ومنح العبادة الفكر والمبرة .

ولا يخفك ان ملاحظة الغير ينافي الاخلاص فمن جعلها الرياء وهو ضربان . رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به وهو ما عليه اكثر الناس فان صلاة اقدم في طور الرشيد والعقل هي عين ما كان يحاكى به ابيه في طور الطفولية عند ما يراه يصلي يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل وليس لله شيء في هذه الصلاة . وقد ورد في احاديث كثيرة (ان من لم تنه صلواته من الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بسداً) وانها تلف كما يلف الثوب البالي ويضرب بها وجهه) والاستعانة هي طلب المعونة والمعونة هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز عنه المستعين بنفسه . وقد حصر الله العبادة والاستعانة في ذاته تعالى الذي دل عليه تقديم المفعول (اياك) على الفعل مثاله ان الله تعالى امرنا بان لا نعبد غيره لان السلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب ليست الا له دون غيره فلا يشاركه فيها احد فيعظم تعظيم العبادة وامرنا بان لا نستعين بغيره ايضاً وهذا يحتاج الى البيان لانه امرنا ايضاً في آيات اخرى بالتعاون فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) فما معنى حصر الاستعانة به مع ذلك الجواب ان كل عمل يعمل به الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية اليه وانتفاء الموانع التي من شأنها تقتضي الحكمة ان تحول دونه وقد مكن الله الانسان بما اعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب

بعض الاسباب وحجب عنه البعض الآخر فيجب علينا ان نقوم بما في استطاعتنا من ذلك ونبذل في اتقان اعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة وان نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ونفوض الامر فيما وراء كسبنا الى القادر على كل شئ ونلجاء اليه وحده ونطلب الامونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ورب الارباب فقوله تعالى (واياك نستعين) متمم لمعنى قوله (اياك نعبد) لان الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب الى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة فاذا توجه العبد بها الى غير الله تعالى كانت ضربا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت دائمة في زمن التنزيل وقبله وخصت بالذكر لثلاث قوم الجهلاء ان الاستعانة بمن اتخذوهم اولياء من دون الله واستعانوا بهم فيما وراء الاسباب المكتسبة لعامة الناس هي كالاستعانة بسائر الناس في الاسباب العامة فاراد الحق جل شأنه ان يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان ان الاستعانة فيما هو في استطاعة الناس بالناس انما هي ضرب من استعمال الاسباب الممنونة وما منزلها الا كمنزلة آلات فيما هي آلات له.

بخلاف الاستعانة في شؤون تفوت القدرة والقوى المعروفة في متناول الفهم كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء وغاية العدو بما وراء المدة والعدة فان ذلك مما لا يجوز الفزع به لغير الله تعالى صاحب السلطان الاعظم على ما لا يصل اليه سلطان احد من اهل العالم

ومثلا الزراع يبذل جهده في الحرث والعزق وتسميد الارض وريها
ويستعين بالله تعالى على اتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية والارضية
ومثلا التاجر يحذق في اختيار الاصناف ويظهر في صناعة الترويج . ثم
يتكفل على الله فيما بعد ذلك .

ومن هنا تعلمون أن الذين يستعينون باصحاب الأضرحة
والقبور على قضاء حوائجهم وتيسير أمورهم وشفاء امراضهم ونماء حرمهم
وزرعهم . وهلاك أعدائهم وغير ذلك من المصالح ، فهم عن صراط
التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون .

أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إلى أمرين
عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة . أحدهما أن نعمل الاعمال
النافعة ونجتهد في اتقانها ما استطعنا . لان طلب المعونة لا يكون إلا على
عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه أو يخشى أن لا ينجح فيه فطلب
المعونة على اتمامه واكماله ، ومن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب
المعونة من أحد على امساكه ، وأما من وقع تحت عبء ثقل يعجز
عن النهوض به وحده فهو يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استفراغ
القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقة السعادة الدنيوية . وركن
من اركان السعادة الاخرية . وثانيهما ما أفاده الحصر من وجوب تخصص
الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك . وهو روح الدين . وكمال التوحيد
الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ، ويفك
ارادتهم من اسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم .

من فيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ؛ ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره الشهير ﴿ اياك نعبد ﴾ العبادة في اللغة الذلة ، يقال طريق معبد وبغير معبد أى مذل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو اياك وكرر للاهتمام والحصر . أى لا نعبد إلا اياك ، ولا نتوكل إلا عليك . وهذا هو كمال الطاعة والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال السلف الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك . والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله عز وجل . وهذا المعنى في غير موضع من القرآن قال الله تعالى ﴿ فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ، قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ، رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذوه وكيلاً ﴾ وتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة ، لانه لما اثني على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلماذا قال ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وفي هذا دليل على ان أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وارشاد لعباده بان يثنوا عليه بذلك ، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ اياك نعبد ﴾ يعنى اياك نوحى ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك ﴿ واياك نستعين ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها . وقال قتادة

رحمه الله تعالى ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ يأمركم أن تخلصوا له
العبادة ، وان تستعينوه على أموركم .

فان قيل فما معنى النون في قوله (اياك نعبد و اياك نستعين) فان
كانت للجمع فالداعي واحد . وان كانت للتمظيم فلا يناسب هذا المقام
وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلي فرد
منهم . ولا سيما ان كان في جماعة او امامهم . فاخبر عن نفسه وعن
اخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها . وتوسط لهم بخير والعبادة
مقام عظيم يشرف به العبد لا تتسابه الى جناب الله تعالى . وقد سمي الله
تعالى رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب . وسبحان الذي اسرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند
انزاله عليه الكتاب واسرائه به . وأرشده الى القيام بالعبادة في أوقات .
وقال الامام البغوي في تفسيره (اياك نعبد) أى نوحذك ونطيعك .
خاضعين . والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمى العبد عبدا لذاته .
وانقياده . (و اياك نستعين) نطلب منك الاعانة على عبادتك وعلى
جميع أمورنا الخ .

وقال الشيخ احمد السرهندي في المکتوب (٦٣) من مکتوباته .
ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون في اصول الدين . فمن كلماتهم
المتحدة نرى عبادة غير الحق سبحانه . ومنع المخلوقات عن اتخاذ بعضهم
بعضا اربابا من دون الله . والعبادة عبارة عن التذلل والانكسار .

فالمقصود من خلق الانسان هو التذلل لانه تعالى (قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وفي المکتوب (٧٧) منها - وما عبدوا غير الاله فباطل - فياويل من يختار ما كان باطلا - وعبادة الله الذي ليس كمثل شئ انما يتيسر اذا تخلص العبد عن رقية ماسواه جل سلطانه بالتفاني . ولم تبق قبلة التوجه غير الذات الاحدية وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتباع شريعة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وفي الخازن (اياك نعبد) واياك نخضع بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك . والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل . وسمى العبد عبداً لذاته وانقياده . وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد (اياك نعبد) معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم الرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة . ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة لعبادتك وعلى جميع امورنا وعلى الدوام وعلى اتمامها .

وفي غرائب القرآن للاصفهاني عبد العبودية اظهار التذلل . والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل . ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهو الله تعالى . ولذا قال تعالى (الاتعبدوا الاياه) والعبادة ضربان . عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة والناطقية المنبهة على كونه مخلوقا . وانه خلق خالق حكيم : وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق . وهى المأمور بها

في نحو (اعبدوا ربكم . واعبدوا الله) والعبد يقال على اربعة اضرب .
الاول عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصح بيعة وابتياعه نحو (
العبد بالعبد : وعبدا مملوكا لا يقدر على شيء الثاني عبد بالايحاد .
وذلك ليس الا الله .

واياه قصد بقوله ﴿ ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا ﴾
والثالث بالعبادة والخدمة . والناس في هذا ضربان . عبد لله مخلصا وهو
المقصود بقوله ﴿ واذكر عبداً أيوب ، انه كان عبداً شكوراً ﴾ ﴿ نزل الفرقان
على عبده ﴾ ﴿ على عبده الكتاب ﴾ ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
كونو عبادا لى ﴾ . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿ وعد الرحمن عباده
بالنيب . ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . ﴾ ﴿ ان امر
بعبادى ليلاً : فوجدوا عبداً من عبادنا ﴾ وعبد للدنيا واعراضها وهو الممتكف
على خدمتها وصرعاتها واياه قصد النبي ﷺ بقوله « تمس عبد الدرهم وتمس
عبد الدينار » قالت قد رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وعلى هذا النحو
يصح ان يقال ليس كل انسان عبداً لله « فان العبد على هذا المعنى العابد .
ولكن العبد ابلغ من العابد الخ . قال المعصومي تمس ضد سعد : والكب
على الوجه : وقيل البعد والهلاك : كما فى فتح البارى

وفى كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب . وفى الصحيح عن
أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ تمس عبد الدينار وتمس
عبد الدرهم وتمس عبد الحميصه وتمس عبد الحميلة ان أعطى رضى وان لم
يعط مسخط الخ

وفيه أيضا كل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . ومن أطاع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما . يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أنا أقول قال رسول الله ﷺ . وتقولون قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ويذهبون الى رأى سفيان رحمه الله تعالى وان الله تعالى يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة ﴾ الآية أتدرى ما الفتنة الفتنة الشرك . لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك وعن عدى ابن حاتم رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴾ الآية فقلت له انا لسنا نعبدهم . وفي رواية أنهم ماكانوا يعبدونهم قال اليس يحرمون ما أحل الله فتعزمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى . قال فملك عبادتهم اياهم رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني قلت الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد

فيه بيان تغيير الاحوال الى هذه الغاية . حتى صار عند أكثر الناس عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال . وتسمى الولاية . وعبادة الاحبار هي العلم والفقه . ثم تغيرت الاحوال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين . وعبد بالامنى الثانى من هو من الجاهلين

وفي كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب : ان الاستعانة والاستغاثة بالخلق على ما يقدر عليه جائز لا تنكره كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه

السلام ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب وغيرها من الاشياء التي يقدر عليها المخلوق، ونحن انما ننكر استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الاولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها إلا الله وحده .

واعلم ان أشد عمل أهل الجاهلية عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ وانهم كانوا يتميدون بأشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ﴿ ويميدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وهذه أعظم مشكلة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص وانه أخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وانه لا يقبل من الاعمال إلا الخالص إلخ .

وفي الرسالة الثانية لابن عبد الوهاب : ان الذين أرسل رسول الله اليهم كانوا يفعلون شيئاً من العبادة كاللحج والعمرة والصدقة على المساكين وأجلها عندهم الشرك . فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله تعالى عنهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وانهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ فاول ما أمره الله به الانذار عنه قبل الانذار عن الزنا وغيره حين نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فانذر ﴾ وقد عرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الاولياء من بنى آدم ، ويقولون ما يريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها .

وفيهما أيضاً : أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام، وهي كلمة التقوى التي الزمهم (والزمهم كلمة التقوى) وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها ابراهيم عليه السلام ﴿ كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها ، وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ومعاداته ؛ كما قال النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » وفي رواية « خالصاً من قلبه » وفي رواية « صادقاً من قلبه دخل الجنة » وفي حديث آخر « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، وهذه الكلمة نقي واثبات ، نقي الالهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فضلاً عن غيرهم من الاولياء والصالحين ؛ وهذه الالهية هي التي تسميها المصامة في زماننا السر والولاية ، والآله معناه الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ ، ويسمونه العامة السيد واشباه هذا ، وذلك انهم يظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان يلتجئ الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فالذي يزعم اهل الشرك في زماننا انهم وسائط هم الذين يسمونهم الاولون الالهة والواسطة هو الاله فقول المؤمن لا اله الا الله ابطال للوسائط وغالب الذين غلوا في تعظيم الاولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت

من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم
وذبح القرابين لهم وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوا الهة :

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد
وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية. وهو أنه لا يخلق
ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده كما قال الله
﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن بملك السمع والأبصار ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون
الله ﴾ كما حوت أمثال هذه الآيات فيما مر. قال المؤلف وهذه المسئلة
عظيمة مهمة وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون
به ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دمائهم وأموالهم وسببه
أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وأنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده
لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد
كفر ومن نذر لغيره فقد كفر

وإذا تأملت جيدا وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية
وهو تفرد تعالى بالخلق والرزق والتدبير وم ينجون عيسى والملائكة
والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون عنده وعرفت
أن من الكفار خصوصا النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار
ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا في صومعته عن
الناس وهو مع هذا كافر عدو لله بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من

من الاولياء يدعوهُ او يذبح له أو ينذر له

فأله الله يا اخواني عسكوا باصل دينكم واوله واخره واسه ورأسه
شهادة ان لا اله الا الله واعرفوا معناها واكفروا بالطوائف وعادوم
وابغضوا من أحبهم . اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين

ومن الرسالة الرابعة منه . اعلم ان الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام
ان تعبد الله مخلصا له الدين . وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها
كما قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاذا عرفت
ان الله خالقك لعبادته فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد .
كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة . فاذا دخل الشرك فيها
فسدت كالحدث اذا دخل في الصلاة . كما قال الله تعالى ﴿ ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ فاذا عرفت ان الشرك اذا خالط العبادة
أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار . عرفت
ان أم ما عليك معرفة ذلك . لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة
وهي الشرك بالله وهما هنا أربع قواعد ذكرها الله في كتابه . الاولى ان تعلم
ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين ان الله هو الخالق
الرازق المحيي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور . وما أدخلهم
ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض .
أمن يملك السمع والابصار . ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر . فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون ﴾ الثانية

انهم يقولون ما توجهنا اليهم ودعونا هم الا لطلب القربة والشفاعة نريد من الله لا منهم لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القربة قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أننبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . الثالثة أن النبي ﷺ ظهر على اناس متفرقين في عبادتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر . ومنهم من يعبد الصالحين . ومنهم من يعبد الملائكة . ومنهم من يعبد الانبياء . ومنهم من يعبد الاشجار والاحجار . فقاتلهم رسول الله ﷺ وما فرق بينهم . والدليل قوله تعالى ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ ودليل الملائكة قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكبرهم مؤمنون . فالיום لا يملك بكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها

تكذبون ﴿ ودليل الانبياء قوله تعالى ﴿ واذا قال الله يا عيسى بن مريم
 اأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله . قال سبحانه ما
 يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
 نفسي ولا أعلم ما في نفسك . انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا
 ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم .
 فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شيء شهيد ﴿
 الآية . ودليل الاشجار والاحجار حديث ابي واقد الليثي رضي الله
 عنه . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين . ونحن حدثاء عهد
 بكفر وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم .
 يقال لها ذات انواط . فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات
 انواط . فقال لهم رسول الله ﷺ اكبر انها السن قاتم . والذي
 نفسي بيده . كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اجعل لنا
 الهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبرما هم فيه وباطل
 ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابنيكم الهة وهو فضلكم على العالمين ﴿
 قال المعصومي رواء الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . الرابعة
 ان مشركي زماننا اعظم شركا من الاولين . لان الاولين كانوا يخلصون
 لله في الشدة ويشركون في الرخاء . ومشركي زماننا شرهم دائم في
 الرخاء والشدة . والدليل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
 مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴿ قال الجامع المعصومي
 حفظه الله تعالى لا شك في ان شرك مشركي زماننا اشد وافظع من

شرك المشركين الاولين . فاني حينما قدمت بلاد الهند عام (١٣٥٣) رأيت رسالة منظومة بالفارسية ^(١) مطبوعة في بلدة بمبي الفها المشرك محمود المنيكاني الطرازي الفرغاني الذي هو امام في مسجد (رنكاري) الذي في بمبوحه بمبي . فان هذا المشرك نادى عبد القادر الجيلائي وسماه غوثا اعظم . وطلب منه الامداد والاستعاثة . واستغاث به وطلب منه قضاء الحاجات ودفع البليات واهلاك البلاشفة الى آخر ما طغى وغوى . فاعتقد فيه بعض اهل بمبي وجمعوا له مبلغا عظيما . واني قد كنت الفت في بيان ذلك رسالة سميتها (حكم الله الواحد الصمد . في حكم الطالب من الميت المدد) وارسلتها اليهم بعد ان طبعتها في مصر اكثر من التي نسخة . ولكن ما اصفوا ولا سمعوا (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) ولهذا ترى ان هؤلاء المشركين وان ادعوا انهم مسلمون يصلون ويصومون ولكنهم عن حقيقة الايمان والتوحيد عارون . وعن فضل الله ورحمته محرومون . فنتيجته انهم وكذا امثالهم من اهل الصين والتركستان وافريقيا تحت ارجل المستعمرين الاوربيين اذلاء ومأسورون فانا لله وانا اليه راجعون . فان قلت وفيهم الصالحون فما بالهم قد ابتلوا بما ابتلى به الطالحون . قلنا لانهم ساكنوهم وصاحبوهم فلما نزل غضب الله وعذابه عمهم في الدنيا . ولكن في الآخرة ينجون انشاء الله تعالى ويحشرون على نياتهم . كما لا يخفى على العالم الخبير بالآيات واحاديث البشير النذير .

وفي الرسالة الثامنة ان اول ما فرض الله تعالى على بنى آدم الايمان بالله والكفر بالطاغوت . ﴿ ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً ﴾ فصفة الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر اهلها وتعاديهم . ومعنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه . ونخلص كل انواع العبادة لله . وتنفيها عن كل معبود سواه . والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله . ورضى بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت . والعبادة الاطاعة ﴿ ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ فالانسان لا يكون مؤمناً بالله الا بعد الكفر بالطاغوت لقوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾

وفي الرسالة التاسعة . اعلم ان الجامع لعبادة الله وحده انما هو طاعته بامتثال او امره واجتناب نواهيه . وانواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى . الدعاء والاستمانة . والاستغانة . وذبح القرابين والنذر . والخوف . والرجاء . والتوكل . والانابة . والمحبة . والخشية . والرغبة . والرغبة . والناله . والركوع والسجود . والخشوع . والتذلل . والتعظيم الذي هو من خصائص الالهية . والدليل

على ذلك قوله تعالى ﴿وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ .
 له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، وإياك
 نعبد وإياك نستعين . اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . قل ان صلاتي
 ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا
 أول المسلمين . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . انما
 ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين
 فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .
 وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وانيبوا إلى ربكم واسلموا له . ومن
 الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
 أشد حبا لله . فلا تخشوا الناس واخشوا . انهم كانوا يسارعون
 في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين . وإلهم إله واحد
 لا إله الا هو الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
 ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وان من أهل الكتاب لمن يؤمن
 بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً
 قليلاً ﴿ ونحوها من الآيات . فمن صرف شيئاً من هذه الانواع لغير
 الله تعالى فقد اشرك بالله غيره .

واعلم ان الشرك في العبادة ينقض الاسلام لقوله تعالى ﴿ان الله
 لا ينفر ان يشرك به﴾ الآية ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
 وماواه النار وما للظالمين من انصار﴾ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح
 للجن أو للقبر ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعَةَ

ويتوكل عليهم كفر اجماعا ، ولا شك ان دعوة غير الله باطلة أى دعاؤه .
بان يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى ، وهو استعمال عربى فصيح
وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن ثوبان رضى الله عنه ما أخبر به النبى
ﷺ من وقوع الشرك فى هذه الامة « وحتى تعبد قنّام من اُمى الاوثان »
قال المعصوم عفى الله تعالى عنه رواه أبو داود والترمذى ولفظه « لا
تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من اُمى بالمشرّكين ؛ وحتى تعبد قبائل من
اُمى الاوثان » وفيها أيضا نقلا عن الزواجر لابن حجر المكي الشافعى
وتبيين المحارم الحنفية ان ، من اشرك فى عبادة الله غيره انه يكفر بالاجماع
ويقتل ان اصر على ذلك كالدهاء جلب خيرا أو دفع ضررا ، وقد قال رسول
الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت
فاستعن بالله » قال المعصومى رواه ابن ابي حاتم وابن كثير فى تفسيريهما
وكالذبح والنذر لغير الله ، فمن ذبح القربان لغير الله فقد اشرك فى
عبادة الله غيره ، ومن استعان بغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ،
وقال العلامة الشيخ قاسم الحنفى فى شرح الدرر « قلت وكذا فى الدر
المختار وحاشيته ردالمحتار » النذر الذى يقع من أكثر العوام بان يأتي الى
قبر بعض الصلحاء قائلا : يا سيدي فلان ان رد غائبى او عوفى مريضى
أو قضيت حاجتى فلك كذا باطل اجماعا لوجوه ، منها ان النذر للمخلوق
لا يجوز لانه عبادة ، والعبادة لا تكون للمخلوق ، ومنها ان النذور له
ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ان ظن ان الميت يتصرف فى الأمور
دون الله تعالى فاعتقاده ذلك كفر ، الى ان قال وقد ابتلى الناس بذلك ،

ولاسيما في مولد احمد البدوي ، فقد صرح بان هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله تعالى اعلم .

وفيها أيضا . قال الامام شهاب الدين عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن شامة في كتاب (الباءث على انكار البدع والحوادث) ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزوين الشيطان للامة تخليق الحيطان والعمد ومواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حالك انه رأى في منامه بها احداً آمن اشهر باصلاح والولاية فيحافظون عليه مع تضيقهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم مقربون بذلك ، ثم يتجاوزون ذلك الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم . وهي بين عيون وشجر . وحائط وحجر .

وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحاق وسفيان بن عيينه عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين وكان لفريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها ، يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ، كما لهم ذات انواط ، فقال النبي ﷺ هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام « اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة اتركبن سنن من كان قبلكم » اخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح قال الامام ابو بكر الطورطوشي المالكى في كتابه

فانظروا رحمكم الله تعالى اينما وجدتم سدره أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون

بها اساحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات انواع فاقطعوها
فتأمل رحمك الله تعالى إلى هذا الكلام بأن ما فعله العامة في زماننا في
العمد والشجر والحجر والمواضع المخصوصة انه مثل فعل المشركين بذات
انواع ؛ فتبين منه ان الشرك قد حدث في هذه الامة من زمان قديم
وان أهل العلم رضى الله عنهم ينكرون ذلك اشد الانكار ويهدمون ما
قدروا عليه مما يفتن بها الناس ؛ وان هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة
المفضلة ، وان ذلك ليس من الدين باجماع أهل العلم ، ويجب على من
قدر على ذلك ازالته . فويل للامراء والعلماء والقضاة القادرين على ازالته
والنهي عنه .

قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي ؛ لما صعبت التكاليف على الجهال
والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع انفسهم فسهلت عليهم ،
وهم عندي كفار بهذه الاوضاع . مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالخواتج
وكتب الرقاع فيها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى
وفيها ايضا : قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في الرسالة السنية : أن
الفلو في الشاغل منعه عنه ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل
فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثنى أو
ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك أو نحوها فكل هذا شرك وضلال
يستتاب وإلا قتل ، فان الله تعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب
ليعبد وحده . ولا يجعل معه آله آخ . والذين يدعون مع الله آلهة أخرى
مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق

أو تنزل المطر أو تنبت الثياب . وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدن قبورهم أو صورهم ويقولون ﴿ إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ويقولون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فبعث الله رسوله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ونهى عن الحلف بغير الله . وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا أنبياءهم مساجد يحذر ما صنعوا » وقال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » قال المعصومي رواه البخاري ومسلم والخطيب في المشكاة . ولهذا اتفق أئمة الاسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها . وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها ، لأنه إنما يكون لاركان الكعبة فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق . كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، وينفر لصاحبه ، ولا يغفر لمن تركه .

وفيها أيضاً : قال ابن القيم في شرح المنازل : والشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، وينضبون لتنقص معبودهم من المشائخ أعظم مما ينضبون إذا تنقص أحد رب العالمين . وقد شاهدنا هذا نحن جبهة . ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده على لسانه أن قام وأن قعد وأن عثر وأن استوحش وهو لا ينكر ذلك . ويزعم أنه من باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده .

وهكذا كان عباد الأصنام سواء الخ . وهذا هو الذى أنكر الله عليهم ذلك فى كتابه وأبطله . وأخبر ان الشفاعة كلها له . والقرآن مملوء من أمثال هذا . ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتهم ، ويظنونه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً . وهذا هو الذى يحول بين امرء وبين فهم القرآن . كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انما تنقص عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لانه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه واقره وهو لا يعرف أنه الذى عليه أهل الجاهلية - فتتقص بذلك عرى الاسلام . ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم . وهذا أصل شرك العالم ؛ فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا من استغاث به أو سألته أن يشفع الى الله . وهذا من جهل بالشافع والمشفوع عنده . فان الله لا يشفع عنده أحد الا باذنه . والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لاذنه . وانما السبب لاذنه كمال التوحيد . خاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن والميت محتاج الى من يدعو له . فعكس المشركون هذا . وزاروهم زيارة العبادة . وجعلوا قبورهم أوثاناً يعبد .

وفيهما أيضاً : قال ابن القيم فى الاغاثة : قال عليه السلام « لا تتخذوا قبورى عيداً ، وقال اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى اتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة ما يغضب لاجله من فى قلبه وقار الله وغيره على التوحيد ولكن (ما الجرح يمت آلام) ومن المفاسد الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الحدود

على ترابها وعبادة اصحابها ورسولهم النصر والرزق والعافية وقضاء الحوائج
وتفريج الكربات التي كانت عباد الاوثان يسألونها اوثانهم . فمن جمع
بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما عليه
اصحابه . وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر .
فنهى عن اتخاذها مساجد . وهم يبنون عليها المساجد . ونهى عن تسريحها .
وهؤلاء يوقفون الاوقاف على ايقاد القناديل عليها . ونهى أن تتخذ
عيداً . وهؤلاء يتخذونها اعياداً . وأمر بتسويتها . وهؤلاء يرفعونها
ويجعلون عليها القباب . ونهى عن تخصيص القبور والبناء عليها . ونهى عن
الكتابة عليها . ونهى ان لا يزاد عليها غير ترابها . وهؤلاء يتخذون عليها
الالواح ويكتبون عليها القرآن والقصائد ويزيدون على ترابها بالجلس
والأجر والاحجار وقد آل الامر بهؤلاء الضلال المشركين الى أن شرعوا
للقبور حجاً . ولا شك ان هذا مفارقة لدين الاسلام . ودخول في دين عباد
الاصنام . فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لامته
وما شرعه هؤلاء . والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لانها تذكر الآخرة .
وأمر الزائر ان يدعو لاهل القبور . ونهاه ان يقول هجراً . فهذه هي
الزيارة المشروعة بخلاف ما عليه أهل الشرك والبدع فانه مضاد لذلك .

وفيهما أيضاً قال ابن تيمية في الرد على البكري . العبادات مبناها على
الاتباع لا على الابتداع : فليس لاحد ان يشرع في الدين ما لم يأذن به الله
﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ وفي الصحيحين عن
عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قال « من أحدث في امرنا هذا »

ماليس منه فهو رد» وفي لفظ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال الفقهاء . العبادات مبناهما على التوقيف . كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه انه قبل الحجر الاسود . وقال والله اني لاعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك والله سبحانه وتعالى امرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته . وضمن لنا بطاعته ومحبته واكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وادخالنا الجنة . فمعنا اصلاان عظيمان . أحدهما أن لا نعبد الا الله . والثاني ان لا نعبد الا بما شرع . لا نعبد به عبادة مبتدعه . وهذان الاصلاان هما تحقيق لشهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله : قال الله تعالى . ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ﴾ وجاءت السنة أن يسأل الله باسمائه وصفاته . فيقال أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال يا حي يا قيوم وأسألك بأنك أنت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكذلك قوله « اللهم اني أسألك بمعافد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة . مع ان هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء قال الشيخ ابو الحسن القدوري (يعني في كتاب الكراهية من مختصره قال بشر ابن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا ينبغي لأحد ان يدهوا الله الا به . وأكره أن يقول بمعافد العز من عرشك او بحق خلقك . وهو قول ابى يوسف رحمه الله تعالى . وقال

أبو يوسف رحمه الله بمقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا .
وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر
الحرام . قال القدوري المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على
الخالق فلا تجوز يعني وفاقا . وقال البلدجي في شرح المختار . ويكره أن
يدعوا الله إلا به . فلا يقول أسألك بحق فلان أو بلائكتك أو بأنبيائك
أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق . وأما سؤال الميت والغائب
نبياً كان أو غير نبي فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم
يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين
لهم باحسان . ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين . ولما فحط الناس في
زمان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه وتوسل بدعائه .
وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك إذا أجدبنا بنينا فتسقينا ؛ وانا نتوسل
اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . كما في كتاب الاستسقاء من صحيح
البخاري ؛ فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين أو دعا
الملائكة أو الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا
تحويله . وقد نص الأئمة كاحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق .
قال الجامع المعصومي عني الله عنه قال شيخ الاسلام برهان الدين
على المرغيناني في كتاب الكراهية من الهداية الحنفية ويكره أن يقول
الرجل في دعائه . أسألك بمقد العز من عرشك ، والمسئلة عبارتان هذه
ومقد العز ؛ ولا ريب في كراهة الثانية لأنه من القعود . وكذا الاولى
لأنه يوم تعلق عزه بالعرش وهو محدث ، والله تعالى بجميع صفاته قديم .

وعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه لا بأس به ، وبه أخذ الفقيه أبو
 الليث رحمه الله ، لأنه مأثور عن النبي ﷺ روى أنه كان من دعائه « اللهم
 إني أسألك بمقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك
 الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة . ولكن تقول هذا خبر واحد
 فكان الاحتياط في الامتناع . ويكره أن يقول الرجل في دعائه بحق
 فلان أو بحق أنبيائك ورسلك لأنه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى
 ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها أنها كما قيل كسفينة نوح
 عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فالذين خرجوا عن
 المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك . حتى أن
 بعضهم يقول أن السكبة قلة العامة وقبر فلان قبلة الخاصة . ويامر
 المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فلان فيعكف عليه عكوف
 أهل التماثيل عليها . وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يحدون عند عبادة
 القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجده أحد في
 مساجد الله ولو في المسجد الحرام . وآخرون يحجون القبور . (قال الجامع
 المصنوع حفظه الله تعالى كما شاهدنا عيانا غير مرة أن أهل ما وراء
 النهر يحجون إلى قبر بهاء الدين النقشبندی في بخارى . وأهل تركستان
 وفرغانة يحجون إلى قبر خواجه أحمد يسوى في الشتاء ويسمونهم خلوت
 وأهل أفغانستان يحجون إلى بلخ ومزار شريف لقبر مزعومهم على
 المرتضى . وأهل الهند يحجون إلى اجير . وأهل مصر إلى قبر أحمد
 بدوى . إلى غير ذلك . ولكل واحد منه موسم خاص) وطائفة صنفوا

كتبنا في مناسك حج المشاهد كابي عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الامامية . وذكر فيها حكايات مكذوبة . وبعض المشهورين منهم بالزهد والصلاح صنف كتابا سماه . الاستغاثه بالنبي عليه الصلاة والسلام في اليقظة والنم . ومنهم من يرجع الحج الى المقابر على الحج الى الكعبة . ومنهم من يقول اذا زرت قبر الشيخ مرة او مرتين او ثلاثا كان كحجة . ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت انه قال كل خطوة الى قبري كحجة . وانكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه وزجره عن انكار ذلك . فهو لاء وامثالهم لا يخشون الله بل يخشون المشاهد والمقابر وعمارها ويخشون غير الله ويرجون غير الله . حتى ان طائفة من ارباب الكبار الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من الكبار كان اذا رأى قبة الميت فيخشى عن فعل الفواحش . ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السماوات والارض والهلال . وطائفة منهم قد جعلوا الميت بمنزلة الآله . والشيخ الحى التعلق به كالنبي فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات . وأما الحى فالهلال ما حله والحرام ما حرمه . ولا شك أن هذا هو دين المشركين والنصارى . ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن انه انتقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو غير صورته كالشياطين التى تكون فى الاصنام . وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالاصنام والموتى والغائبين وهذا كثير فى زماننا . وعند كل من المشاهد ويبت الاصنام

قد يكونُ عنده شياطين تضل من أشرك بالله . وإن تلك الشياطين لا يقضون بعض اغراضهم إذا حصل منهم الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان . وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة . وهؤلاء الضالون مستخدمون بتوحيد الله . ويعظمون دعاء غير الله من الاموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به . كما أخبر الله تعالى عن المشركين ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ فاستهزؤا بالرسول لما نهام عن الشرك ﴿ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون إنما نأتاركو آلتهنا لشاعر مجنون . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ وما زال المشركون يسهون الانبياء ويصفونهم بالجنون كما قال قوم نوح ﴿ قالوا أجبثنا لنعبد الله وحده ﴾ فاعظم ما سفهوه لاجله وأنكروه هو التوحيد وهكذا نجد من عليه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له . وأن لا يعبد الانسان الا الله . ولا يتوكل الا عليه استهزاء بذلك لما عنده من الشرك . فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بنى له المشهد والاستغاث به أنفع لهم من دعاء الله ولي . وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له في الصلوات الخمس والجمعة وقراءة القرآن . فهل

هذا إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين.
لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الآيات يحصل له من الحضور
والخشوع والبكاء ما لا يحصل مثله عند سماع آيات الله تعالى . والذين
يعملون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء
الله تعالى أنواع متعددة . ويحكون أنواعا من الحكايات . منها أن
بعض المريدين استغاث بالله فلم يفته واستغاث بشيخه فآثته . ومنها
أن بعض الأسوريين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجهم فدعا بعض المشايخ
الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام . ومنها أن بعض الشيوخ قال
لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتمال إلى قبري . وقال الآخر
فتوسل إلى الله بي وقال آخر فلان قبره هو الترياق المجرب . فهؤلاء
وأشباههم يضاهئون للمشركين . وقد يتمثل له الشيطان بصورة شيخه
ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا ينادي إلا شيخه ولا يذكر إلا
إسمه . ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب . ويحلف بامامه وشيخه
فيصدق ولا يكذب . فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله .
وعمدة هؤلاء الضلال أما أحاديث ضعيفة أو موضوعة . أو متقولات
عنهم لا يحتج بقوله أما أن تكون كاذبا عليه وأما أن يكون غلطاً
فيه . إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير مقصوم .
والاستغانة تنقسم إلى الاستغانة بالحق وبالميت . والاستغانة
بالحق تكون فيما يعذر عليه وما لا يعذر عليه . وقد روي أن النبي ﷺ

يوم بدر كان يقول (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث .
وأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين ولا إلى أحد من
خلقك) وأما جهلاء زماننا فيدعون الميت والغائب فيقول أحدم بك
أستغيث بك أستجير أغثنا أجرنا . هل نجد أحد الصحابة أو التابعين
لهم باحسان أتى رسول الله بعد موته أو استغاث به أو استشفع به إلى
ربه وقال يارسو الله اشفع لي إلى ربك أو اقض ديني أو فرج كربتي
أو انصرني أو اغفر لي ذنوبي . بل جردوا التوحيد لله تعالى وحوا
جانبه . ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة
رضي الله عنهم إذا سلم على النبي ﷺ يقف ويقول السلام عليك
يارسول الله . ثم يقف ويقول السلام عليك يا أبا بكر . ثم يقف ويقول
السلام عليك يا أباي وإذا أراد أحدم الدعاء جعل ظهره إلى جدار
القبر واستقبل القبلة حتى لا يدعو عند القبر . وذكر الامام أحمد وغيره
أنه يستقبل القبلة ويجعل القبر عن يساره . وذكر أصحاب مالك رحمه
الله أنه يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة بوليّه
ظهره . وقيل لا بوليّه ظهره . فإذا جعل الحجره عن يساره فقد زال
المحذور بلا خلاف . وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر
النبي ﷺ ولكن يصلي ويسلم . فهذا هو هدى السلف الصالح من
الصحابة والتابعين لهم باحسان . لكن كلما ضعف تمسك الانم بمهود
أنبيائهم غرضوا عن ذلك بما أخذوا من البدع والشرك وغيره . ولهذا
كرهت الأئمة رحمهم الله استلام القبر وتقبيله .

وفيهما ايضاً قوله تعالى ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾
 الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الآية قد فسرها رسول الله
 ﷺ لعدي بن حاتم رضى الله عنه . قال السدى استنصحووا الرجال
 ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا
 ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فصار ذلك
 عبادة لهم . وصاروا به لهم ارباباً من دون الله . وقال تعالى ﴿ ولا
 يأمركم أن تتخذوا الملائكة والتبيين ارباباً يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
 مسلمون ﴾ فن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا إله إلا الله . وتبين
 له التوحيد الذى جحدته أكثر من يدعى العلم فى هذه القرون . وقد
 صمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو فى قبور أهل
 البيت وغيرهم . وبنيت عليها المساجد . وبنيت لهم المشاهد . فأتسع
 الأمر وعظمت الفتنة فى الشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى
 الاموات وتعظيمهم بالعبادة . فهذه الامور التى وقع فيها أكثر
 الناس عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة .
 نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير . وتبين سرفقوله ﷺ . بدأ
 الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد
 الناس . وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
 كحب الله ﴾ الآية الانداد الامثال والنظراء . كما قال العباد بن كثير
 وغيره من المفسرين . فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة
 اليه أو رهبة منه فقد اتخذ نداءً لله لانه اشرك مع الله فيما لا يستحقه

غيره فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد محبوبه . اى مع الله بعبادته له .
 وقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم
 يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعشون) ذكر العباد
 بن كثير فى هذه الآية مارواه بن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى
 الله عنهما مرفوعاً « احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك .
 تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله .
 وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك
 بشئ لم يكتبه الله عليك لم يضروك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك
 بشئ لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفت الصحف ورفعت الاقلام .
 واعمل لله بالشكر فى اليقين »

وعن عمر ان بن حصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى رجلاً فى
 يده حلقة من صفر فقال ما هذه فقال من الواهنة . فقال اترعها فانها
 لا تزيدك الا وهناً . فانك لو مت وهى عليك ما أفاحت أبداً » رواه
 أحمد بسند لا بأس به .

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره . قال ابن تيمية .
 الاستغاثة هي طلب العون . وهو إزالة الشدة . كالاستنصار طلب
 النصر والاستغاثة طلب العون . وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص
 مطلق يجتمعان فى مادة وهو دعاء المستغيث . وقد نهى الله تعالى عن دعاء
 غيره الاخص والاعم فى كتابه . فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر
 عليه إلا الله كدعوات الأموات والغائبين فهو من الشرك الذى لا يغفره .

الله تعالى . قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرْفَلَا كَاشَفَ لَهُ الْإِهُو ﴾
 ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيُجِيبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
 وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُ أَعْدَاءُ وَكَانُوا
 بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو أَحَدًا مِنْ دُونِهِ
 كَائِنًا مَنْ كَانَ . وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَدْعُو لَا يُسْتَجِيبُ لِمَا طَلَبَ مِنْهُ مِنْ مِيتٍ أَوْ غَائِبٍ
 أَوْ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الِاسْتِجَابَةِ مَطْلَقًا مِنْ طَاغُوتٍ وَوَنٍ . فَلَيْسَ لِمَنْ دَعَا
 غَيْرَ اللَّهِ الْإِلَهِيَّةَ وَالْخُسْرَانِ . وَهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ فَكُنْ بِاللهِ شَهِيدًا
 يَبْنِيْنَا وَيُنْشِئُكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ فَلَا يَحْصِلُ لِلْمُشْرِكِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِلَّا نَقِيضُ قَصْدِهِ . وَفَدَصَارَ الْمَدْعُو لِلدَّاعِي عَدُوًّا . فَالدَّاعِي لِلْغَيْرِ فِي
 غَايَةِ الضَّلَالِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَمِنْ يَجِبُ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيُكْشَفُ
 السُّوءُ وَيُجْعَلُكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ . أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ قَالَ
 ابْنُ جَرِيرٍ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِكُمْ وَيَنْعَمُ عَلَيْكُمْ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
 تَذَكَّرُوا قَلِيلًا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَآيَادِيهِ عِنْدَكُمْ تَذَكَّرُونَ وَتَحْتَبِرُونَ حُجْجَ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ بِسِيرًا فَلِذَلِكَ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُوْذِي الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَوْمُوا
 بِنَا نَسْتَعِثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّهُ
 لَا يَسْتَعِثُّ فِي وَاعِلٍ يَسْتَعِثُّ بِاللَّهِ قَالَ ابْنُ ثَيْمِيَّةَ أَمَّا نَهَى ﷺ عَنْ الِاسْتِعَاثَةِ بِهِ
 خِيفَةَ الْجَنَابِ التَّوْحِيدِ وَشَدَّ الدَّوَانِعَ الشَّرْكَ خِيفَةَ أَنْ يَقَعَ مِنْ أَمْنِهِ الِاسْتِعَاثَةُ
 بِمَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَسْمَعُ مِنْ الْأُمُوتِ وَالْجَانِّينَ

والطواغيت والشياطين والاصنام وغير ذلك . وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى حتى ظنوا ان الميت يسمع بومع سماعه ينفع فتركوا الاسلام والايمان رأساً كما ترى عليه الاكثربن من جهالة هذه الامة .

وفها أيضاً وقد وقع الشرك فى هذه الامة كثيراً . كما وقع فى أهل الجاهلية . وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الامة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور . منها أنهم يخلصون عند الاضطرار بغير الله وينسون الله تعالى . ومنها أنهم يعتقدون ان الهنهم من الاموات يتصرفون فى الكون دون الله . وجمعوا بين نوى الشرك فى الالهية والربوبية . وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة . ومنها اعتقادهم ان عبد القادر الجيلانى يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع . فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت فلقد ذهب عقل هؤلاء ، ضلوا وكفروا بما أنزل الله فى كتابه . وفيها أيضاً قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ قال فى شرح المنازل اخبر الله تعالى ان من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً . فهذا ند فى المحبة لافى الخلق والربوبية . فان احداً من أهل الارض لا يثبت هذا التذبذب بخلاف تد المحبة فان ١ - كثير أهل الارض قد اتخذوا من دون الله أنداداً فى المحبة واليقظيم . قال المصطفى وقد وقع الشرك فى الربوبية ليشاع فى كثير من الغلاة والعامة فى آخر هذه الامة : غافقوا ان هؤلاء الاموات ينصرفون فى الكون ونحو ذلك .

سئل ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد باهل القبور ويطلب منهم ازالة الالم : ويقول ياسيدى انا فى حسبك : وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه : ويقول قضيت حاجتى ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك : الجواب الدين الذى بعث الله به رسله واتزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانتة والتوكل عليه ؛ ودعاؤه لطلب المنافع ودفع المضار . قال الله تعالى ﴿ اخسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء ﴾ الآية . فيبين سبحانه ان من دعى من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مشغال ذرة فى ملكه . وانه ليس له شريك فى ملكه ؛ وانه ليس له عون كما يكون للملك اعوان وظهراء وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اياهم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فيبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم اربابا ؛ فلا يجوز ان يقول الملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيا او ميتا اغفر ذنبي وانصرني على عدوى او اشف مريضى او ما شبه ذلك ومن سأل مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتمائيل التى يصورونها على صورهم وان قال انا اسأله لانه اقرب الى الله منى ليشفع لى لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه ، فهذا من افعال المشركين والنصارى ؛ فانهم يزعمون انهم يتخذون احياءهم ودهياتهم شفعاء

يستشفعون بهم في مطالبهم ؛ وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن لنا ان ندعوه إلا بهذه الوساطة ونحو ذلك هو من قول المشركين فان الله تعالى يقول ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني ﴾ وقد روى ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم ان يقولوا ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ .

ثم يقال لهذا المشرك انت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه اعلم بحالك أو اقدر على اجابة سؤالك أو ارحم بك من ربك فهذا جهل وضلال وكفر ، وان كنت تعلم ان الله تعالى اعلم واقدر وارحم فلم اذا عدت عن سؤاله الى سؤال غيره .

فان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيب إذا دعوته انا ، فهذا هو القسم الثاني ، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب يدعوه ، كما يقال للحى ادع لى . وكما كان الصحابة يضلون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع فى الحى ، واما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة والتابعين ولا امر به أحد من الأئمة ويدل لذلك ما فى الصحيح انهم لما أجدبوا زمن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه . فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بهم نينا فاسقنا فيسقون . يعنى كان هو

كالإمام مع المأموم وهذا متعذر بمحموته . فلم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين يا رسول الله ادع الله أو استسق لنا ونحن نشك اليك ما أصابنا ونحو هذا لم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاؤا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه . ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبل القبر بل ينصرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع . وقد قالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمعاورين عند القبر شيئاً لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك وكل له نذر معصية . وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا بنوث ويعوق ونسراً﴾ قالوا هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح عليه السلام . فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً فالمكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين فإنه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الأسود .

وفي المجلد الرابع من المجموعة النجدية: قال ابن تيمية في الرد على البكري ، سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين . وما

استغاث أحد بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنهم . بل ولا أقسم بمخلوق على الله أبداً أصلاً . وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الكرخي الترياق المجرب أو قول بعضهم إذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين . ولكن هذه الأمور كلها بدعة محدثة في الإسلام ، وكثيراً ما يمثل الشيطان لهم بصور شيوخهم . فكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو نحو ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه فيحسب كرامة وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فاضلتهم الشياطين كما اضلت عباد الأصنام .

والواجب على العبد أن يتوجه إلى الله الذي يحياه ويمانه له ، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر الله تعالى عن خليله عليه السلام ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ فالتوجه إلى أرواح أهل القبور والاستظهار بهم هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل . ولو جاز الاستظهار بأرواح الاموات كما يظنه الجاهلون لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين . وهذا لا يقوله مسلم أصلاً ، بل لو فعله أحد كان مشركاً بالله ، فإذا لم يجوز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإن لا يجوز في حق أرواح الاموات التي قد فارقت اجسادها لا يعلم مستقرها إلا الله أولى ، وأنت ترى أكثر

الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفة بدليله حتى تمكنت
الشبهات فيهم فظنوها بينات فضلوا وأضلوا . وقد قال النبي ﷺ قبل
أن يموت بخمس كما في صحيح مسلم « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور
أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ،
وقاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى
من فعل ذلك لاجل الفتنة بالصلاة عند القبور ومشابهة عباد الأوثان
فنهى سداً للذريعة . وقد أخرج احمد واهل السنن « لعن رسول الله ﷺ
زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومعلوم أن ايقاد
السرج انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها ، وكذلك اتخاذ المساجد
على قبور الأنبياء والصالحين .

ووجه الدلالة أنه إذا لعن من فعل ما هو الوسيلة الى التعظيم والغلو
وان كان المصلي عندها انما وجهه وقلبه لله وإلى الله وحده . فكيف إذا
وجه وجهه إلى ارباب القبور وأرواح الأموات واقبل عليها بكايته
وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فانه قد صرف ما هو من خصائص
الربوبية ~~من~~ لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا
نشوراً فمن جعل لله شريكاً بلمتجى اليه ويعاق به قلبه ويوجه اليه وجهه
ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً ، قال الله تعالى ﴿ انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهيباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ فالرغبة والرغبة
والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كاللحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك
مختص بالله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره كائناً من كان .

وقد شاع الشرك في أهل البسيطة وغالب الامصار والبلدان باتخاذ الآلهة والانداد لرب العالمين، مالا يحصيه إلا الله على اختلاف معبوداتهم وتباين اعتقاداتهم فمنهم يمد الكواكب ويخاطبها بالحوائح ويبحر لها التبحيات، ويرى أنها تفيض عليه أو على العالم وتقضى لهم الحاجات وتدفع عنهم البليات، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم واسكنه قد وقع في عبادة الأنبياء والصالحين فاعتقد أنه يستغاث بهم في الشدائد والمهمات وأنهم هم الوسيلة في اجابة الدعوات وتفرج الكربات، فتارة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من انواع العبادات . وهذا هو دين جاهلية العرب الأولى، كما ان الاول هو دين الصائبة، وقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكانت العرب في وقته وزمان مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والافعال، ولكنهم اشرکوا في توحيد العبادة والآلهية فاتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوا انداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية وغير ذلك ويعبدون من دون الله، واتخذوا من دونه اولياء والذين اتخذوا ﴿ إلى آخر الآيات الثلاث، فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر أهله وجهلهم وسفه احلامهم، ودعاهم إلى شهادة ان لا إله إلا الله، وبين ان مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له

— م — ١ / اوضح البرهان —

والكفر وبما يعبد من دون الله وهذا هو أصل الدين وقاعدته ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام والفارق بين المؤمن والكافر من الانام : ولهذا جردت السيوف وشرع الجهاد . ولكن تلطف الشيطان في التحيل والمكر والمكيده حتى ادخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب الى الاسلام في قالب محبة الصالحين والتشفع بهم . وان لهم جاهاً ومنزلة يشفع بها من دعائم ولاذ بمهام . ومن أعظم ماعمت به البلوى التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات . وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا تصح الا لله . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها . وان الله تعالى اخبر ان للمشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقرّبوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده واخبر الله تعالى ان من جمل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويساءلهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم . وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم . واما ما حدث من سؤال الانبياء والصالحين والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراج السرج والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والنذور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التي

اخبر بوقوعها النبي ﷺ « انه لا تقوم الساعة حتى تاحق حى من امتى
بالمشركين . وحتى يعبد قنم من امتى الاوثان » وهو ﷺ حى جانب
التوحيد اعظم حماية وسد كل طريق يودى الى الشرك فنهى ان يخصص
القبر وأن يبنى عليه : وأمر بطمس ما بنى عليه : ولهذا قال غير واحد
من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها أسست على معصية
الرسول ﷺ

فان قيل لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله . فانا لا نقدر أن نصل
اليه الا بذلك فاجاب التقي ابن تيميه ان اراد بذلك انه لا بد من واسطة
تبلغنا أمر الله فهذا حق . فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما
أمر به وما نهى عنه الا بالرسل الذين ارسلهم الله تعالى الى عباداه . وهذا
مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى : ومن انكر
هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل : وان اراد بالواسطة انه لا بد من
واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله فى جلب المنافع ودفع المضار مثل
ان يكون واسطة فى رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون
اليه فيه . فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا
من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار :
كما كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والمزير والملائكة والانبياء
فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يعملون كشف الضر عنهم ولا
تحويلا قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
. أيا مكرم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه وتعالى

أن اتخذ الملائكة والنبیین أرباباً كفر . فمن جعل الملائكة والنبیین وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر باجماع المسلمين . فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالخجابه بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، وان الله انما يهتدى عبادته ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخالق يسألونهم وهم يسألون الخالق ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل . وهؤلاء مشبهون بشبهوا الخالق بالخلق وجعلوا لله أنداداً ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا يحصى وترى كثيراً منهم قد اتخذوا ذكراً لهم ومعبوده من دون الله على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان مرض فذكر إلهه ومعبوده من دون الله وهو الغالب على لسانه قال المعصومي حفظه الله كقول غالب جهلة اهل بخارى والترکستان اذا قام واذا قعد واذا حمل شيئاً أو عدى من نهري يا بيرم يا بلاکردان يا بهاء الدين يا نقشبندي يا علي يا غوث يا حضرت يا خوجم ، ونحوها ، ومثل قول الافغانيين يا بهار يار يا شير خدا ، يا حيدر كزار ، ونحو ذلك) وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه من باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه وهكذا كان عباد الاصنام سواء

ولا يخفك يا أيها المسلم العاقل أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين ان يقولوا ﴿ اياك نعبد ﴾ ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله والا

كان كاذباً . اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ﴿ فَايَا فاعبدوني وَايَا فاتقوني ﴾ اى لاتعبدوا الا الله ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا الا الله ولا تتقوا غيره لما عرف في علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر . كما في الكشف . فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون الا بان يتم جميعها كلها له والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون الا لله وحده . والاستعانة والاستغاثة بالله وحده والالجاء الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة له . ومن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حى أو ميت ادجماد فقد اشرك في العبادة . وصار من يفعل له هذه الامور الها لعا بديه . سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو حجراً أو قبراً أو جنياً وصار بهذه العبادة أو باى نوع منها عابداً لذلك المخلوق . وان أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك . وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو حى أو ميت انه ينفع أو يضر . وانه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به الى الرب تعالى . فانه قد اشرك مع الله غيره . واعتقد ما لا يحل اعتقاده . لقوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ اى يدعون من دون الله ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ اى لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع أو دفع ضرر اذا دعوم ﴿ اَلَا كِبَاسُطٌ كُفِيَهِ اِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ

فاه وما هو ببالغه ﴿ يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
اليه يطلب منه أن يبلغ فاه . وكذلك ما يدعونه جمادا لا يحس دعاءهم
ولا يستطيع اجابتهم . قيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لاهتهم بمن
أراد ان يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطها ناشرأ أصابعه لا يكون
منه في يده شيء . كذلك الذي يدعوا الاصنام بانها لا تضر ولا تنفع ولا
بيده منها شيء ، وقال مجاهد كالعطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد
وهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً وقال عطاء
كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى الماء فلا هو يبلغ الماء
ولا الماء يرتفع اليه . فلا يتفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له . كذلك
الذين يدعون الاصنام لا يتفهم دعاؤهم ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾
أى كل مدعى سواء يضل عن دعاء إذا احتاج اليه . وهذا مثل ضربه
الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه الا هو الله سبحانه وتعالى .

وفي المجموعة النجدية ان كثيراً من الناس يتوسلون غير قاصد
للشرك ولا مائد للاسلام . فالجواب أن سؤال الغائب والميت نبي
كان أو غيره تفرج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به في الامور
المهمات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا
رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان . ولا استجبه
أحد من أئمة المسلمين . وهذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام . فانه
لم يكن أحد منهم اذا تزلت به ثرة أو عرضت له حاجة أو تزلت به
كربة وشدة يقول لميت ياسيدى فلان انا فى حسيك أو اقض حاجتى

أنا مستشفع بك الى ربى كما يقوله هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا اذا بعدوا عنهم ولا كانوا يقصدون قبورهم الدعاء والصلاة عندها . وهذه الامور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع من يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من الناس . وهؤلاء من جنس عباد الاصنام .

وأما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره لان الله تعالى أرسل محمداً ﷺ يهدم الاوثان ولو كانت على قبر رجل صالح . لان اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره وبنوا عليه بنية وعظموها . فلما أسلم أهل الطائف وطلبوا منه (أى من النبي ﷺ) ان يترك هدم اللات شهراً لثلا يروعوا نساءهم وصبيانهم حتى يدخلوم الدين فأبى ذاك عليهم . وأرسل معهم المغيرة بن شعبه وابا سفيان بن حرب رضى الله عنهما وأمرهما بهدمها . قال العلماء رحمهم الله تعالى كما فصله العلامة ابن القيم فى زاد المعاد وفى هذا أوضح دليل على انه لا يجوز ابقاء شئ من هذه القباب التى بنيت على القبور واتخذت اوثاناً ولا يؤما واحداً فانها شعائر الكفر . وقد ثبت أن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتخصيصه وتخليقه والكتابة عليه .

وفى كتاب الاستغاثة لابن تيمية . وهو المعروف بالرد على البكري . والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعاً ولا

هو من صالح الاعمال . ولم يصح عن احد من الصحابة والسلف انه فعل ذلك . وقد وقع في دعاء الاموات والغائبين كثير من جهال الفقهاء والمفتيين حتى لا قوام فيهم زهد وعبادة ودين ترى احدهم يستغيث بمن يحسن به الظن حياً كان او ميتاً . وكثير منهم تتمثل له صورة المستغاث به وتخطبه وتقضى بعض حوائجه . وتخبره ببعض الامور الغائبة . ويظن الفر انه المستغاث به . او ان ملكاً جاء على صورته . وانما هي شيطان تتمثل له به وخيالات باطلة . ومنهم من يظن ان الرسول او الشيخ يعلم ذنوبه وحوائجه وان لم يذكرها . وانه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه . ويقدر على ما يقدر عليه الله . ويعلم ما يعلمه الله . ولا شك ان هذا الفعل منه ما هو كفر صريح . ومنه ما هو منكر ظاهر سواء قدر ان الميت يسمع الخطاب كما اذا خوطب من قريب . او قدر انه لا يسمع كما اذا خوطب من بعيد . فان مجرد سماع الميت للخطاب لا يستلزم انه قادر على ما يطلب الحى منه . وقد مضت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب ما يقدر عليه . واما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شئ . ولا يخفاك انه كلما كان القوم اعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتهم الشيطان بمال او طعام او لباس او يتكلم او غير ذلك فيعسب ذلك كرامة . وانما هي من الشيطان . وسببه شركه بالله تعالى وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشياطين .

وفي المجلد (١٦) من مجلة المنار . اما حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله تعالى . والذي حرم الله على صاحبه الجنة فهو مبين في القرآن في مواضع كثيرة جداً . وينقسم الى شرك في الالهية بعبادة غير الله تعالى . ومنع العبادة وجوهرها الدعاء اى طلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة . وشرك في الربوبية باتخاذ بعض الناس شارعين يحلون لهم ويحرمون عليهم . ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله فيتبعونهم . والمعطل المنكر لوجود الله تعالى لا يسمى مشركا . ولكنته شر من الشرك .

وفي المجلد (٣٣) من المنار ايضا . في سورة يونس ﴿ وان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر . ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ﴾ فالله خاطب الناس بهذه الآية بان ربهم هو الذى خلق السماوات والارض اطواراً في ستة ايام ثم فيها خلقها وتكوينها فكانت ملكا عظيما ثم استوى على عرش هذا الملك . الاستواء به الدال على علوه المطلق على جميع خلقه . احاطته به بعلمه وقدرته . وتدبير الامر فيه بمشيئته وحكمته ورحمته بغير حد ولا تشبيه ولا شريك له في الخلق والتقدير . ولا في التصرف والتدبير . ما من شفيع الا من بعد اذنه . فله وحده الامر ويده النفع والضر . وبعد تقرير هذه الحقيقة في توحيد الربوبية قال محتجاً بها على توحيد الالهية ﴿ ذلكم الله ربكم

فَاعْبُدُوهُ ﴿ أَى فاعبدوه وحده . ولا تمبدوا معه غيره بطلب شفاعه ولا دعاء ولا مادونهما من مظاهر العبادة . اذ لا رب لكم غيره . وانما تجب العبادة لرب العباد دون غيره . وفي المجلد (١٥) منها ايضاً ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾

فالشرك لافساده للارواح يشبه ما يصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع للنجاة من العقاب عليه . فاما سائر المعاصي فكأصابة السهم في سائر البدن غير القلب فانه قد لا يهلك ، وذلك بان الشرك في نفسه هو منتعى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فان روحه تكون في الآخرة على ما كانت عليه في الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عز وجل ، والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً له ، والمذنب قد يكون في ايمانه وسريته خالصاً لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصى وقد يابق فلا العصيان ولا الابق بخرجانه عن كونه عبداً لسيد واحد ، ولسيده أن يعاقبه وان يعفو عنه ولا يغفر له ان يجمل نفسه عبداً لغيره ، والحال ان كل كائن عبد لله ، لا ينبغي أن يكون لهم شركة في مقام العبادة لا بدعاء ولا بنداء ، ولا شك أن أعرف الناس بالله أشد خَوْفاً منه ورجاءاً في فضله ورحمته ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فتجد الملايين منهم يدعون المسيح وينادون باسم الله مع اسمه ، وتجد الملايين من ذوتهم يذفون وينادون من دون المسيح من الأولياء وبصمدون إلى قبورهم ، أو إلى الصُور

والتماثيل التي اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكراً لهم ؛ ولكن الله تعالى لا يقبل العبادة إلا خالصة لوجهه من كل شائبة .

ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ؛ فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ؛ وقد يسمونها توسلاً وشفاعة ، ولا يسمون من يدعوهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكن لا يأتون أن يسموهم أولياء وشفعاء . وإنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له وشركاً بالله عز وجل ، فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ؛ وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة إليه ؛ وهذا كحديث (الحج عرفة) أى هو الركن الام الذى لا يعتد بغيره عند تركه ، وتأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك يعلم كما يعلم من اختبار احوال البشر فى عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من اعماق النفس ولا سيما عند الشدة وأما ما عدا الدعاء من العبادات فى جميع الاديان فكله أو جلّه تعليمى تكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة ؛ وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب .

العادية ، أما ترى إلى حافظ الادعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر ، وإنما العبادة جدّ العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذي تسمعه من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات . وفيها كل العبادات ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الاخلاص . وناهيك بما يفجره هذا الخشوع من ينابيع الدموع . وذلك الدعاء الذي يستغله سدة الهياكل ويستثمره خدمة المقابر ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان . لانه أشد اركان رياستهم على العوام . على أن الموحدين اعلى اخلاصا وأشد حبا لله وخشوعا (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) أي ومن يشرك بالله احداً أو شيئاً فيدعوه معه ويذكر اسمه مع اسمه أو يدعوه من دونه ملاحظاً في دعائه انه يقربه اليه زاني وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء هو اقواها . لان الاعتقاد فيه يكون وجدانياً . فهذا قد تنكب سبيل الرشده وخرج عن صراط الهداية لانه بطيع من لا يطاع ويرجوا من لا يرجو ويكون عبداً للاوهام وعرضة للغرافات .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في الاستغانة . لا يمكن لاحد أن

يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شرع لامته أن يستغيثوا بميت
لاني ولا غيره . لاني جلب منفعة ولا دفع مضرة . فلا يشرع لهم أن
يدعوا ميتا ولا يسألوه ولا يدعوا اليه . ولا أن يستجيروا به لارغبة
ولا رغبة . ولا يقول أحد لميت انا في جوارك وانا اريد ان تفعل كذا
وكذا ولا ان يتوجه الى قبره ويسأل كما يفعل هذا كثير من النصارى
وأشباههم من ضلال هذه الامة بكثير من شيوخيهم . ولا يشرع لاحد
أن يقول لميت سل الله تعالى لي . ولا يشرع لاحد ان يشكو الى ميت
سواء كان عند قبره أو كان بعيدا منه . وسواء كان الميت نبيا أو غيره
بل ولا يشرع أن يقصد قبر نبي او صالح فيدعو لنفسه ظانا ان الدعاء
عند قبره يجاب . ولا يشرع لاحد ان يتوسل الى الله تعالى بذات
ميت أصلا .

قالت الفلاسفة ان الارواح المقدسة لها تأثير قربي من توجه اليها
وهذه هي من أصول الشرك وعبادة الاصنام . فلهذا قالت الفلاسفة
ان الدعاء انما تأثيره بكون النفس تتصرف في العالم لا بكون الله تعالى
يجيب الداعي . وهي مبنية على ان الله تعالى ليس بفاعل مختار لمخلق
الحوادث بمشيئته واختياره . وهؤلاء يجوزون أن يعبد الانسان
الكواكب والصنم . لانه بتوجهه اليها يفيض منها أمور . والنفوس
السميدة اذا توجه اليها المتوجه . والقبور التي دفن فيها بدنها فاض عليها
منها ما يفيض . وهذا كله خارج عن الاسلام . ولاريب ان هذه الاقوال
ونحوها تدعو الى غير دين الاسلام . وهؤلاء يعظمون الانبياء والصالحين

من جنس تعظيم النصارى . والنصارى يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة ما يرجونه في حصول مطالبهم من جهتهم لا يعظمونهم تعظيم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم فيجب ان يطاعوا فيما أمروا به . وان يقتدى بهم فيما يشرع .

وفي كتاب الرد على الاخنائي : أن المقصود من جنس الصلاة على الجنائز سواء كان الميت فاضلاً أو مفضولاً الدعاء وطلب المغفرة والرحمة له وليس المقصود بها الخضوع للميت ولا التواضع له ، فكذلك زيارة قبر المؤمن للدعاء له وتذكر الموت ، ولكن الجهال المبتدعين عكسوا الأمر ويطلبون من الميت المدد ، بل يظن بعضهم أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم ببركته يرزقون وينصرون ، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه ، ويقولون ممن يعظمونه أنه خفير البلد الفلاني ، كما يقولون السيدة نفيسة خفيرة مصر القاهرة (قلت كما يقول أهل بخارى ، أن بهاء الدين النقشبندی بلا كردان وخفير بخارى بلاء كردان ، معناه دافع البلاء ، وكذا قولهم أن عبد القادر الجيلاني هو الغوث الأعظم وخفير العالم) ويظنون أن البلاء يندفع عن هذه المدن والقرى بمن عندهم من قبور الصالحين والأنبياء ، وهذا خطأ بين ، ومما يوضح الأمر في ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره ، فانه قد قيل أن بني اسرائيل بعث فيهم ألف نبي ، ومع هذا فقد قال الله تعالى ﴿ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن

في الأرض مرتين ﴿ إلى قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم ﴾ الآية
 فقد بين الله تعالى أنهم إذا غلوا وافسدوا في الأرض عاقبهم الله بذنوبهم
 وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل فيهم من
 لا يحصى عدده إلا الله ، ولم يخفهم أحد من قبور الانبياء التي كانت
 هناك . وإنما الناس يجزون بأعمالهم ، والله تعالى هو الذي يرزقهم وينصرهم
 لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو ، وإنما يندفع البلاء بطاعة الله وطاعة
 رسوله لا بقبورهم ، فمن أطاعهم فهو السعيد في الدنيا والآخرة ، ومن
 عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم .
 وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها
 أوثاناً من دون الله ، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم
 قائم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر ، ولهذا قالوا لهود
 عليه السلام ﴿ ان نقول إلا اعتراك بعض آلهمنا بسوء ﴾ الآية . وقال
 تعالى مخاطباً لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين ﴿ ان الذين
 تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم
 صادقين ، وأليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ، قل
 حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾

فالذين يحجون إلى القبور هم من جنس الذين يحجون إلى الأوثان
 والمشركون يدعون مع الله إلهاً آخر يدعونه كما يدعون الله . وأهل التوحيد
 لا يدعون إلا الله . ولا يدعون مع الله إلهاً آخر . لا دعا سؤال وطلب

ولا دعاء عبادة وتآله ، والمشركون يقصدون هذا وهذا ، وكذلك حجاج القبور يقصدون هذا وهذا ، ومنهم من يصور مثال الميت كما يفعل النصارى وهذا ليس من الزيارة المشروعة ولم يبعه ولا استجبه احد من ائمة الدين بل هم متفقون على النهى عن هذا الجنس كله . ان كثير من الناس دخلوا فى الاسلام من التتار وغيرهم (قلت كالهنود والصينيين والفرس) وعندهم اصنام (أو بيت نار) وهم يعظمونها ويتقربون اليها ولا يعلمون ان ذلك محرم فى دين الاسلام فيضلون ويضلون ولا علم لهم بذلك ، حتى ان كثيراً منهم يعتقدون ان الحج الى قبر بعض الائمة افضل من الحج أو مثله . فهؤلاء الذين يحملون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الاوثان باوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم . وأما اهل التوحيد فيعتبرون عن كل ذلك . فهذا هو الفرقان الذى يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان ان من كمال الايمان بالله والرسول ومحبته وتعظيمه الاهتمام بما أمروا به من طاعته فان طاعته هي مدار السعادة وهي الفارقة بين اولياء الله واعدائه . وأهل الجنة وأهل النار ، فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون وجنده المفاخون وحزبه الغالبون . وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك . فالذين يقصدون الحج الى قبره أو قبر غيره وبدعونهم ويتخذونهم انداداً هم من اهل معصيته ومخالفته ، فهم فى هذا الفعل من جنس اعدائه لا من جنس اوليائه وان ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته . كما يظن النصارى ان ما هم عليه من الغلو فى المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته ، وكذلك دعاؤهم والانبياء الموتى ويظنون ان هذا من محبتهم وانما هو من جنس معاداتهم

ولهذا يتبرأون منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه وانك تجد المالكين على قبور الأنبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعيهم ؛ وانما قصد جمهورهم التناكل والترويس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رئاسة أو مأكلة ، وبعضهم يقول ان قبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، ومنهم من يصلي إلى القبر ومنهم يحلف به . وهم قوم لهم عبادة وزهد ودين لسكن فيهم جهل وضلال . كما أن رهبان النصارى وغيرهم هم من أزهد الناس وأعظمهم اجتهدا في العبادة ، لكن يجهل وضلالة ؛ وقد أمرنا الله عز وجل أن نقول في صلاتنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وعباد القبور قد جعلوا القبور أوثانا ، وبدل على هذا قوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » وهو ﷺ خاف من ذلك فدعا الله أن لا يفعله بقبره . وكل موضع تهظمه الناس غير المساجد ومشاعر الحج فانه مأوى الشياطين ، ويتصورون بصورة بنى آدم احيانا حتى يظن كثير من الناس أنهم من الانس وانهم رجال الغيب ، ويقولون الأربعون والأبدال : والحكايات عنهم في هذا الباب كثيرة ، ولهذا لم يستحب أحد من العلماء زيارة جبل الطور الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ولا جبل ثور ولا غار حراء (ولا جبل أبي قبيس) .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . ومن

المنكرات سائر الاعياد والمواسم المبتدعة لان كل بدعة ضلالة. وقد قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فمن ندب الى شيء يتقرب به الى الله تعالى من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله. من اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله (اتخذوا احبارهم وورهبانهم اربابا من دون الله) الى قوله (تعالى عما يشركون) قال عدي بن حاتم رضى الله تعالى عنه للنبي ﷺ يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم. فمن اطاع احدا في دين الله لم يأذن به الله من تحليل وتحريم او استحباب وايجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب. قال الامام احمد وغيره من الائمة رحمهم الله تعالى . الاصل ان اعمال الخلق ينقسم الى عبادات وعادات. فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله. والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ما حظره الله. وهذه المواسم المحدثه انما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذى يتقرب به وانما يذم المواسم والاعياد المحدثه لما تشتمل عليه من الفساد في الدين . واعلم انه لا يدرك كل واحد فساد هذا النوع من البدع لاسبابا اذا كان من جنس العبادات المشروعة . بل اولو الالباب هم يدركون بعض ما فيه من الفساد . والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة وهم ان لم يدركوا ما في ذلك من المصاحبة والمفسدة فننبه على بعض مفايدها. فمن ذلك أن من احدث عملا في يوم كاحداث صوم اول خميس من رجب . والصلاة في ليلة تلك الجمعة التى يسميها

الجاهلون صلاة الرغائب مثلاً وما يتبع ذلك من أحداث اطعمة وزينة
وتوسيع في النفقة ونحو ذلك. فلا بد ان يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب
وذلك لانه لا بد ان يعتقد ان هذا اليوم افضل من امثاله. وان الصوم فيه
مستحب فيه استحباً با زائداً الى الخميس الذي قبله او بعده مثلاً. وان هذه
الليلة افضل من غيرها من الجمع اذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه او
في قلب متبوعه لما انبثت القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة. فان الرجوع
من غير مرجح ممتنع وذلك لا يعرف الا بالشرع. واعتقاد ما يرد فيه
الشرع باطل. فهذه البدع مستلزمة قطعاً لفعل ما لا يجوز اعتقاده
وهذا الاعتقاد يتبعه احوال في القلب من التمجيد والاحلال. وتلك الاحوال
ايضاً باطلة ليست من دين الله. ومن تدبر هذا علم يقينا ما في حشو البدع
من السموم المضعفة الايمان.

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي الخجندی
وفقه الله تعالى لما فيه رضاه. ان لهذه المسئلة امثلة كثيرة من كل الابواب
من جملة ان لبعض الادوية خواص ليست في أخرى. ولها درجات
أيضاً انما يعرفها من عرفه الله تعالى ممن تشبث من الاطباء الخذاق.
فيركبون منها الادوية حسب الامراض بعد معرفتها فيعالجونها بها.
فن تصادف ذلك ربما نفقته. فصارت سبباً للعافية والصحة. واما من
خالف ذلك الطبيب أو ركب هو بنفسه ادوية بلا معرفة حقيقة خواصها
وكيفية قربها صار سبباً لهلاك نفسه واهلاك غيره. فان كان الامر هكذا
فليعلم ان العبادات كلها طرق واسباب لاصلاح النفس الانسانية وزكيتها

من الامراض والادناس والاهوية الفاسدة . حتى يكون صاحبها لا ثقا
لقرب الله تعالى الخالق ورضوانه فطرق العبادات الصحيحة انما هي ما يدينه
الذي خلق العالم على لسان رسوله ﷺ فمن زاد على هذا او نقص فقد خالف
الخالق الحكيم بتركيبه الادوية من عند نفسه . فربما صار دواءه داء

وعبادة معصية . لان الدين قد كمل تمام الكمال . فمن زاد شيئا فيه
فقد ظن الدين ناقصا . وهو يكمل باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد
فياخذساره من هذا شأنه فنعموذ بالله من الكفر بعد الايمان ومن الضلال
بعد العرفان . **﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ﴾**

ومن جملتها أن الاقفال تكون على اشكال منها ماله سن واحد
ومنها ماله سنان ومنها ماله اسنان ولا ينفتح كل واحد منها الا بمفتاحها الخاص
لها . فلا ينفتح ابدا ماله سن بمفتاح له اسنان : وكذا العكس

فكذا العبادات والطاعات لها اشكال وصور ينها رسول رب العالمين
احسن بيان . سواء كانت فعلية او قولية مثلا بين فرض صلاة الفجر
ركعتان والظهر في الحضر اربع وفي السفر اثنتان والمغرب ثلاث في كل
الاوقات والركوع في كل ركعة مرة والسجدة مرتان وان التشهد والقعدة
بعد الركعتين وفي الآخر وان مفتاحها التكبير وختامها السلام .
وان القراءة موضعها القيام والتسبيح موضعه الركوع والسجود والتشهد
والدعاء موضعه القعدة . فمن آتى كما بين وفعل فقد سعد وصار من المقبولين

ومن عكس او زاد او نقص فقد تعدى وظلم وصار من المردودين وكذلك بين ان التسبيح المرغوب فيه بعد الفرض ثلاث وثلاثين فمن اتى به ناقصا وزائدا فهل يكون اتيا بالسنة وينال الفضل الموعود والظاهر لا بل يكون مبتدعا ومخالفا لسنة رسول الله ﷺ وهكذا لها امثلة تظهر لمن تدبر وتفكر من اولى الالباب فيارب نسألك أن تجعلنا منهم :

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب ايضا ان العبادة اذا كانت صدقا وصورة فهي مقبولة ومؤثرة واما اذا كانت صورة فقط فللا كفى اجر الاتباع اذا كانت عبادة شرعية والافتراض صاحبها لان البدعة ضلالة فردودة وليس العمل مشروعاً حتى يحصل لهم ثواب المتبعين والاستعجاب في الافعال واتخاذها ديناً انما ثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الاولون من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم وما سوى ذلك من الامور المحدثه (اى فى الدين والعبادة) فلا يستعجب : وان اشتهت احيانا على فوائد : لانا نعلم أن مفسدهم راجعة على فوائدها

وقال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا فى كتابه الوحي المحمدي ان النصراني ابتلوا بعبادة عيسى عليه السلام . وكذلك بعض المسلمين افتتنوا بعبادة الصالحين بدعائهم فى الشدائد لاعتقادهم انهم يدفعون عنهم الضرر ويجلبون لهم النفع بالتصرف الغيبي الخارج عن سنن الله تعالى فى الاسباب وهو خاص بالرب تعالى . الخ .

وقد ذكر العلامة الفخر الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره قصة فى ان الاستعانة والاستغاثة انما تكون بالله لا بغيره من المخلوقين وان من توكل على الله واستغاث به معتقدا انه القريب البصير القدير ينجو من جميع مخاوف الدنيا والاخرى وهذه قصته روى ان زيدا بن حارثة رضى الله تعالى عنه خرج مع منافق من مكة الى الطائف فبلغ خربة فقال المنافق تدخل ههنا ونستريح فدخلوا ونام زيد فاوثق المنافق زيدا واراد قتله فقال زيد لم تقتلنى قال لان محمدا يحبك وانا ابغضه فقال زيد يا رحمن اغثنى فسمع المنافق صوتا يقول ويحك لا تقتله فخرج من الخربة ونظر فلم ير احدا ورجع واراد قتله فسمع صائحا اقرب من الاول يقول لا تقتله فنظر فلم يجد احدا فرجع الثالث واراد قتله فسمع صوتا قريبا يقول لا تقتله فخرج فرأى فارسا معه رمح فضربه الفارس ضربة فقتله ودخل الخربة وحل وثاق زيد وقال له اما تعرفنى انا جبريل حين دعوت كنت فى السماء السابعة فقال الله عز وجل ادرك عيسى وفى الثانية كنت فى السماء الدنيا وفى الثالثة بلغت الى المنافق اه . قال المعصومى والله اعلم بحال هذا الخبر .

وقال الرازى رحمه الله تعالى ايضا فى تفسير الآية ان الله تعالى لما تم الكلام فى الصفات المعتبرة فى الربوبية اردفه بالكلام المعتبر فى العبودية فاعلم ان الانسان مركب من جسد وروح والمقصود من الجسد ان يكون آلة الروح فى اكتساب الاشياء النافعة للروح فلا

جرم كان أفضل أحوال الجسد أن يكون آتياً بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحانية الباقية . وتلك الأعمال هي أن يكون الجسد آتياً بأعمال تدل على تعظيم المعبود وخدمته . وتلك الأعمال هي العبادات . فأحسن أحوال المعبود في هذه الدنيا أن يكون مواظباً على العبادات . وهذه أول درجات سعادة الإنسان . وهو المراد بقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وهذا لا يتيسر إلا بتوفيق الله وإعانتة وعصمته فيلتجئ إلى الله تعالى وهو قوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ ويلوح أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى فيقول ﴿ اهتدنا الصراط المستقيم ﴾

واعلم أن العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم طريق معبد أى مذل . فقولك إياك نعبد معناه لا أعبد أحداً سواك . ووجه الحصر أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام . وأعظم وجوه الانعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به . وكل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى . فواجب أن لا نحسن العبادة إلا لله تعالى فقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدل على أنه لا معبود إلا الله . ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله . فهو يدل على التوحيد الخالص المحض . وإنشركون طوائف منهم من أثبت الشريك الجسماني . إما من الأجسام السفلية أو من الأجسام العلوية . كمن يتخذ الأصنام من الأحجار أو الذهب والفضة ويميدونها . أو من الأشجار أو من الحيوان كعابدى العجل . أو من

الانسان كمن قال عزير بن الله والمسيح ابن الله . و بعضهم يعبدون
 الاجسام البسيطة كالذين يعبدون النار وهم المجوس . أو يعبدون الشمس
 والقمر وسائر الكواكب ويضيفون السعادة والنجاسة اليها . هم
 الصابئة واكثر المنجمين . ومنهم من يقول أن مدبر العالم هو النور
 والظلمة . وهؤلاء الماتوية والثنوية وطائفة يعبدون الملائكة والارواح
 الفلكية ويتخذون تلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها . وهؤلاء
 عبدة الملائكة وطائفة قالوا ان لالام إلهان أحدهما خير والآخر شر .
 وقالوا مدبر هذا العالم هو الله تعالى وابليس وهما اخوان . فكل ما في
 العالم من اخيرات فهو من الله . وكل ما فيه من الشر فهو من إبليس .
 فكل من أثبت لله شريكا فانه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك
 الشريك من بعض الوجوه اما طالبا لنفعه أو هربا من ضرره . وأما
 الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد ولم يعبدوا
 إلا الله . ولم يلتفتوا الى غير الله فكان رجؤهم منه تعالى وخوفهم منه
 تعالى ورغبتهم في الله تعالى ورهبتهم من الله تعالى فلا جرم لم يعبدوا
 إلا الله . ولم يستعينوا إلا بالله فلماذا قال ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾
 فكان قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قائما مقام قوله لا إله إلا الله
 واعلم أن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدخل فيه الذكر المشهور .
 سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ولا حول ولا قوة إلا
 بالله العلي العظيم . ولا شك أنه لا يتم مقصود من المقاصد وغرض من
 الأغراض إلا بإعانة الله تعالى وتوفيقه وإحسانه . وانما قال إياك نعبد ولم

يقول نعبدك لانه لو قال نعبدك لم يفد نفى عبادتهم لغيره لانه لا امتناع من ان يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين . واما لما قال ﴿ اياك نعبد ﴾ افاد انهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله . والعبادة لا تجوز لغير الله ابداً . ولا يتيسر ذلك الا بهداية الله وتوفيقه .

نكتة مهمة . ان ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله مذكور على لفظ الغيبة ﴿ و اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ انتقال من الغيبة الى الخطاب . فما الفائدة فيه وما النكتة فيه . فالجواب ان المصلي لما حمد الله واثني عليه كأنه تقرب به اليه تعالى . فلما تقرب شرع يسأله . فأحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة بلا واسطة . الا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما سألو ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا . ورب اغفر لنا . ورب هب لي . ورب ارني والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد . فالدعاء والطلب في الحضر أولى .

قوله تعالى ﴿ و اياك نستعين ﴾ أى لا أريد فى الاعانة غيرك لا جبريل ولا ميكائيل بل أريدك وحدك . . اقتدى فى هذا الباب بالخليل عليه الصلاة والسلام . لانه لما قيد نمرود رجله ويديه ورماه فى النار وجاءه جبريل عليه السلام وقال هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا . فقال سلمه . فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى . فلا استعين بغيرك لان ذلك الغير لا يمكنه اعانتى الا اذا اعنته على تلك الاعانة . فاذا كانت

اعانة الغير لا تتم الا باعانتك فلنقطع هذه الوسيلة ولنقصر على اعانتك الخ
قال العلامة ولي الله الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة . ان أصل
أصول البر و عمدة انواعه هو التوحيد . وذلك لانه يتوقف عليه الاختبات
لرب العالمين الذى هو أعظم الاخلاق السكاسة للسعادة . وهو أصل
التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين . وبه يحصل للانسان التوجه التام
لقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبي ﷺ
على عظم أمره . وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع
واذا فسد فسد الجميع . حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً
انه دخل الجنة . وحكى عن ربه تبارك وتعالى « من لفينى بقرب
الارض خطيئة لا يشرك بالله شيئاً لقيته مثلاً مغفرة » واعلم ان للتوحيد
أربع مراتب احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره
واجباً . والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر
فيه تعالى . وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما . ولم يخالف
فيهما مشركوا العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص
على انها من المقدمات المسلمة عندهم . والثالثة حصر تدبير السموات
والارض وما بينهما فيه تعالى . والرابعة انه لا يستحق غيره العبادة . وهما
متشابتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما . وقد اختلف فيهما طوائف
من الناس . معظمهم ثلاث فرق . النجومون ذهبوا الى ان النجوم تستحق
العبادة . وان عبادتها تنفع فى الدنيا . ورفع الحاجات اليها حق . وزعموا

ان لها نفوساً فبنوا لها الهياكل على اسمائها وعبدوها . والفرقة الثانية
المشركون . وهم وافقوا المسلمين في ان الله تعالى يدبر الامور العظام .
ولكنهم خالفوهم فذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا
اليه فاعطاهم الله الالهية فاستحقوا العبادة من سائر الخلق . كما ان الملك
الملك تخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خدمة الملوك ويفوض اليه
تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من اهل ذلك البلد . وقالوا
لا تقبل عبادة الله الا مضمودة بعبادتهم . بل الحق في غاية التعالي فلا
تفيد عبادته تقربا اليه . بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقتربوا الى الله زائين
وقالوا ان هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشعرون لعبادهم ويدبرون امورهم
وينصرونهم . فذبحوا على اسمائهم احجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم الى
هؤلاء . ولذلك رد الله عليهم تارة بالتشبيه على ان الحكم والملك له خاصة
وتارة ببيان انها جمادات . والفرقة الثالثة النصارى زعموا على ان
المسيح قربا من الله وعلواً على الخلق فلا ينبغي ان يسمى عبداً بل يناسب
ان يسمى بابن الله . فرد الله عليهم تارة بانه لا صاحبة له . وتارة بانه بديع
السموات والارض انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون
وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تحفى على
المتتبع . وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم : ورد على الكافرين
شبهتهم رداً مشبعاً .

وأما حقيقة الشرك فاعلم ان العبادة هي التذلل الاقصى وهي لا تليق
بالله الرب الرحيم . والمبتلون بمرض الشرك أعناق . منهم من نسي

جلال الله بالكيفية فجعل لا يعبد الا الشركاء ولا يرفع حاجته الا اليهم
لا يلتفت الى الله اصلا وان كان يعلم ان سلسلة الموجودات تنصرم الى الله
تعالى ومنهم من يعتقد ان الله هو السيد وهو المدير لكنه قد يخلع على
بعض عبيده لباس الشرف والتأله ويجعله متصرفا في بعض الامور الخاصة
ويقبل شفاعته في عبادته بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكا
ويقلده تدير تلك المملكة فيما عدا الامور العظام وهذا صرض جمهور اليهود
والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم يومنا هذا وانا كان مبني التشريع على اقامة المظنة مقام
الاصل عد اشياء محسوسة هي مظان الشرك كفرا سجدة الاصنام
والذبح لها والخلف باسمها وامثال ذلك.

وحقيقة الشرك ان يعتقد الانسان في بعض المعظمين من الناس
ان الآثار العجيبة الصادرة منه انما صدرت لكونه متصفا بصفة من
صفات الكمال الالهي مما لم يعهد في جنس الانسان بل يختص بالواجب
جل مجده لا يوجد في غيره الا ان يخلع هو خلعة الالهية على غيره
او يفنى غيره في ذاته ويبقى بذاته او نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من
انواع الخرافات كما ورد في الحديث ان المشركين كانوا يلبون بهذه
الصيغة . (لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكنا هو لك تملكه وما لك)
فيتذلل عنده اقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى وهذا
معنى له اشباه وقوالب والشرع لا يبحث الا عن اشباحه وقوالبه التي
بأشهرها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك ولازماله في

العادة ونحن نريد ان ننبهك على امور جعلها الله تعالى في الشريعة
المحمدية مظنات للشرك فمنها فنهي عنها فانهم كانوا يسجدون للاصنام
والنجوم فجاء النهي عن السجدة لغير الله تعالى قال الله تعالى (لا
تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) والاشراك في
السجدة كان مت لازما للاشراك في التدبير كما او مانا اليه ومنها انهم كانوا
يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير
وينذرون لهم يتوقعون انجاح مقاصدكم بتلك الذنور ويتلون اسماءهم
رجاء بركتها فاجب الله تعالى عليهم ان يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد
واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) وليس المراد
من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى
(بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون)

ومنها انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله تعالى
بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس
الامر . وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤخذون به في نفس الامر
قلت فعلا هذا فكل من يعتقد حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة
فيتركها كما كثر اهل بخارى والتركستان والهند والافغانستان وبعض
مجاوري الحرمين فهم مستحقون الوعيد الشديد لانهم اتخذوا صاحب
كتاب خلاصة السكيداني ونحوه اربابا من دون الله .

حتى اني رايت في مدينة الرسول ومسجده ﷺ عام (١٣٥٤) أنفارا
من البخاريين المجاورين المدعين الزهد والتقوى قد تركوا الاشارة .

فلما نهتهم قالوا انها حرام في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رحمه الله تعالى فلهذا لا يفعلها أهل بخارى شريف . فانظروا الى احوال الناس الى ابن وصل . وحتى انى كنت عام (١٣٥٥) هـ أقرر أحاديث صحيحى البخارى ومسلم فى المسجد الحرام فى الدرس العام . وقررت انه لا يجوز اعتقاد علم الغيب المخلوق ما . وانه لا يجوز الاستمداد والاستعانة من أرواح المشائخ ولا النذر اليها . فقال رجل من جهلة المجاورين البخاريين وهو من الزهاد عندهم . نحن نعتقد خلفا عن سلف أنه يجوز الاستمداد من الارواح وخصوصا روح الشيخ عبد القادر الجيلانى الذى سماه الله تعالى غوثنا اعظم . فقلت له اخطأت وافتريت على الله تعالى فارجم عما قلت واعتقدت . فاصر مكرراً كلامه فى مشهد من الجماعة ان الله سماء (الغوث الاعظم) فنيته ثانيا وافهمته بذكر دلائل كثيرة . وقلت ارجع وتب ولا تفتر على الله والا فتكفر ولم يتب ولم يرجع ولكن فارقتى مصرأعلى حاله فانظروا يا اخواني المؤمنين العقلاء الى أين بلغت الجهالة والضلالة . فانا لله وانا اليه راجعون .

قل العلامة ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى أيضا . وسر ذلك ان التحليل والتحریم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت ان الشئ الفلانى يؤخذ به أولا يؤخذ به . فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذه وتركها وهذا من صفات الله تعالى .. ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالنبح لاجلهم فهوا عن ذلك .. ومنها انهم كانوا يعتقدون فى

اناس ان اسمائهم مباركة معظمة . وكانو يعتقدون ان الحائف باسمائهم على الكذب يستوجب حرمانا في ماله وأهله فلا يقدمون على ذلك . ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بسماء الشركاء بزعمهم . فنهوا عن ذلك . ومنها الحج لغير الله تعالى وذلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء . فنهى الشرع عن ذلك . وقد قال ﷺ لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ، الحديث في الصحيح .

قال الجامع المعصومي وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان للحج لغير الله أمثلة كثيرة انبلي به عامة الجاهلة بل من هو في زى العلماء والصالحاء كحج أهل ماوراء النهر الى زيارة قبر بهو الدين النقشبند في بخارى والطواف به والنذر له وكحجهم الى يسي لزيارة قبر وخلوة (الخواجه احمد البسوى) وكحجهم الى أوش وقولهم انها (نخت سليمان عليه السلام وكعبة عجم أو مكة عجم .) وكحجهم الى مزار شريف في افغانستان وكحجهم الى اجير في بلاد الهند وكحجهم الى كربلاء وبغداد وكحج طائفة وادعا من مسلمي الصين التونسكان الى شاكورا . وأمثال ذلك كثيرة وشهورة في عامة انحاء العالم الاسلامي أسأل الله تعالى أن ينور بصيرة المسلمين ويوفقهم لما فيه سمادتهم في دينهم ودنياهم

وفي الحجة البالغة أيضاً ، ومن اعتقادات الجاهلية وان قلوا بأنه لا شريك له في خلق السموات والارض الخ ، ولا راد لحكمه ولا مقب

لقضائه ، ولكن من زندقتهم قولهم ان هنالك أشخاصاً من الملائكة
والارواح نذير أهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد
فيما يرجع الى خويصة نفسه واولاده وأمواله ؛ وشبههم بحال الملوك
بالنسبة الى ملك الملوك ؛ وبحال الشفعاء والندماء بالنسبة الى السلطان
المتصرف بالجبروت ، وقاسوا الغائب على الشاهد ، وقاسوا القادر العليم
على العاجز الجاهل ، وهذا هو الفساد

قال العبد الضعيف الجامع المعصوم حفظه الله تعالى بلطفه . فالاله
هو الله ، والخالق القادر الرب الرحيم هو الله ، والمعبود المستحق للعبادة
هو الله ، والمعين المستعان هو الله عز وجل ، وقد دلت الآيات على ذلك
كما اذ كر لك نبذة منها تذكرة لك ، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الْأَرْضِ أَنْبَاءً ثُمَّ لَكُمْ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْهَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ وفي سورة
الاعراف ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ؛ إِنَّ
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ

لنا آلهما كالهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال غير الله أنبيكم آلهما وهو فضلكم على العالمين ، والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ﴿ قال العبد الضعيف فادعوا الله تعالى واطلبوا منه قضاء الحاجات وتوسلوا اليه بأسمائه الحسنی فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعا والمقرون بالاجابة ، واركوا ما سواه مما تزعمونه توسلا من ذكر اسماء المخلوقين ولو جبريل والانبياء أو اى شئ . لانه الحاد وكفر وكذا قولهم بحاجه النبي أو بحاجه نبيك سيدنا محمد ﷺ فانه من الاحاد في السؤال ، ولا يشك مسلم ان النبي ﷺ جاها عظيم عند الله تعالى ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسأل الله بحاجه ، ولم يثبت عن احد من الصحابة أو التابعين لهم باحسان أو احد من السلف الصالحين رضی الله تعالى عنهم انه سأل الله بحاجه النبي ﷺ ولا شك ان ما لم يفعله هؤلاء فهو بدعة ، وحكم البدعة في العبادة معلوم وهو الضلالة ، فيا إخواني أما يسمعنا ما روي عن الصحابة والسلف الصالحين رضي الله تعالى عنهم ، حتى نخرج عن جادتهم وتزبد عليهم أشياء استحسنانا بمقولنا السخيفة : أو ائنا الرديئة اللهم سلمنا وسلم ديننا برحمتك وقد قال الله تعالى خطابا لرسوله ﷺ (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مرنى بالسوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجا ليسكن اليها ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوه فليست جيبوا لكم ان كنتم صادقين

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) قال العبد الضعيف فالذين يقولون يا شيخ عبد القادر الجيلاي الغوث الاعظم المدد او اغثنا او ادفع عنا كذا والذين يقولون يا علي يا حيدر ويا اسد الله المدد او كذا والذين يقولون يا رسول الله المدد اوشفاعتك او كذا وكذا والذين يقولون يا بهاء الدين النقشبند بلا كردان ادفع عنا البلاء يا دافع البلاء . وكذا الذين يقولون يا رفاي او يا مجذوب او يا فلان كلهم يدعون من دون الله عبادا امثالهم وهم لا يستطيعون شيئاً . فقد خسر هؤلاء الفائلون خسرانا مبيناً . نسأل الله العفو والهداية .

وفي آخر سورة التوبة (فان تولوا فقل حسبي الله . لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) وفي سورة يونس (قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله واكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك . فان فعلت فانك ادا من الظالمين . وان يحبسك الله بضر فلا كاشف له الا هو . وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم .

وفي سورة هود (كتاب احكمت آياته ثم فصات من لدن حكيم خبير الاتعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير . وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عايكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل

شيءٌ قد يرسلنا نوحاً الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم والى عاد اخام هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون. يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً ، ان اجرى الا على الذى فطرنى ، افلا تعقلون ، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ولى ثمود اخام صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه . ان ربي قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ائنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لى شك مما تدعونا اليه مريب ، ولى مدين اخام شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكىال والميزان انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط . والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه وماربك بما تامل مما تعملون ﴿

وقد ظهر من هذه الآيات ان كل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم التوحيد ودعوة الناس اليه مع توحيد العبادة لله وحده والتحذير من الاشراك بوجه من الوجوه فمن يخالف فيه فهو خارج عن الحق الذى جاؤا به . ومن جملتهم يوسف عليه السلام فانه قال كما فى سورة يوسف ﴿ انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبع ملة آباى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء .

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .
ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
إن الحكم إلا لله . أمر أن لا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم . ولكن
أكثر الناس لا يعلمون . وكأين من آية في السموات والأرض يعرون
عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . قل
هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . وسبحان الله وما
أنا من المشركين .

وفي سورة الرعد ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به .
إليه ادعوا وإلى مآب ﴾ وفي سورة النحل ﴿ والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء . وما هم بمرون إيات
يبعثون الحكم اله واحد . فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون . ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطغوت . ففهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . فسيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . وقال الله لا تتخذوا
الهيئتين اثنتين . إنما هو الله واحد . فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض
وله الدين وأصبا أفقر الله تتقون . وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم
الضر فإليه تجثرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون
إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه
اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وآتاه في الآخرة
لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كانت
من المشركين ﴾

وفي سورة الاسراء ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما بينفن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم
يكن له ولي من الزل وكبره تكبيرا ﴾

وفي آخر سورة الكهف ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما
المحكم اله واحد . فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة قر به أحدا ﴾ وفي سورة مريم قال عيسى على نبينا وعليه الصلوات
والتسليمات

﴿ وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ وفي سورة طه
﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى . اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني .
واقم الصلاة لذكرى . ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى . انما الحكم الله الذي لا اله الا هو . وسع كل شيء علما ﴾ وفي
سورة الانبياء ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش
عما يصفون . لا يستل عما يفعل وهم يسئلون . أم اتخذوا من دونه آلهة .
قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معي وذكر من قبلي . وما أرسلنا من
قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ﴾ وقال ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا
ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .

وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات
 أن لا اله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له
 ونجينااه من الغم وكذلك تنجى المؤمنين ان هذه أمتكم أمة واحدة
 وأنا ربكم فاعبدون . قل انما يوحى إلى أنما ألهم الله واحد . فهل أنتم
 مسمعون . قال رب احكم بالحق . وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴿
 وفى سورة الحج ﴿ فآلهكم الله واحد فله أسلموا . وبشر المخبتين .
 الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين على ما أصابهم والمقيمين
 الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . ويعبدون من دون الله مالم ينزل به
 سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير يا أيها الناس
 ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
 ولو اجتمعوا له . وان يسألهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
 الطالب والمطلوب . ما قدر الله حق قدره ان الله اقوى عزيز
 يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم
 تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى
 الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سمالك المسلمين من قبل . واعتصموا
 بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿ وفى سورة المؤمنون ﴿
 ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
 غيره أفلا تتقون . فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
 غيره أفلا تتقون فتمالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
 الكريم ومن بدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه
 نه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴿

وفي سورة الشعراء ﴿ وَاْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْرَاهِيمَ اِذْ قَالَ لَآئِيْهِ وَقَوْمُهُ مَا تَعْبُدُوْنَ قَالُوْا نَعْبُدُ اَصْنَامًا فَنُظِلُّهَا ؕ كَفٰىنَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُوْنَكُمْ اِذْ تَدْعُوْنَ اَوْ يَنْفَعُوْنَكُمْ اَوْ يَضُرُّوْنَ قَالُوْا بَلْ وَجَدْنَا اٰبَاؤَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ قَالَ اَفَرَاَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ ؕ اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ اَلَا قَدِمُوْنَ ؕ فَانْهَمِ عَنْ دَعْوٰى الْاِلٰهِيْنَ الْعٰلَمِيْنَ الَّذِيْ خَلَقَنِيْ فَهُوَ يَهْدِيْنِ وَالَّذِيْ هُوَ يُطْعِمُنِيْ وَيَسْقِيْنِيْ وَاِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِيْنِ وَالَّذِيْ يَمِيتُنِيْ ثُمَّ يُحْيِيْنِ وَالَّذِيْ اَطْعَمَ اَنْ يَغْفِرَ لِيْ خَطِيْئَتِيْ يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِيْ حَسْبًا وَاُخْلِقْنِيْ بِالصّٰلِحِيْنَ ﴾

وفي سورة النمل ﴿ اِنَّمَا اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِيْ حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ؕ وَاُمِرْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَاِنْ اَتٰلَوْا الْقُرْآنَ فَمِنْ اَهْتَدٰى فَانَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ اِنَّمَا اَنَا مِنَ الْمُنذِرِيْنَ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سِيرِكُمْ اٰيٰتُهُ فَتَعْرِفُوْنَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴾ وفي سورة القصص ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اِلٰهِهَا اٰخَرَ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴾

وفي سورة العنكبوت ﴿ وَاِبْرَاهِيْمَ اِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ وَاتَّقُوْهُ ؕ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ؕ اِنَّمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَوْثَانًا وَتَخْلُقُوْنَ اَفْكًَا ؕ اِنَّ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا ؕ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوْهُ وَاشْكُرُوْا لَهٗ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ؕ وَاِلٰى مَدِيْنٍ اٰخَامٍ شَمِيْمًا ؕ فَقَالَ يٰقَوْمِ اَعْبُدُوا اللّٰهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْاٰخِرَ ؕ وَلَا

تعثوا في الارض مفسدين . يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة .
فإياي فاعبدون ﴿

وفي سورة لقمان ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
إن الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما أصابك . إن ذلك من عزم الأمور ولا تصمر خدك
للناس ولا تش في الأرض مرها . إن الله لا يحب كل مختال فخور
واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت
الخير ﴿ وفي سورة الاحزاب ﴿ ونوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴿ وفي
سورة فاطر ﴿ ذاكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه
لا يملكون من قطمير . إن تدعوم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ﴿

وفي سورة يس ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون .
أأنتخذ من دونه آلهة . إن يردني الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون . ألم أعهد
إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان . انه لكم عدو مبين . وإن اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا
تعقلون ﴿

وفي سورة الزمر ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له
الدين . ألا لله الدين الخالص . والدين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم .

الا ليقربونا الى الله زافى إن الله بحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴿

وفي سورة زخرف ﴿ وإذ قال ابراهيم لاييه وقومه انى براء مما تعبديون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴿ وفي سورة الاحقاف ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداءاً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿ وفي سورة الذاريات ﴿ واذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿ وفي سورة التغابن ﴿ الله لا اله الا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿ وفي سورة الابل ﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى ﴿ .

وفي سورة البينة ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ، وذلك لمن خشى ربه ﴿ وتنام سورة الكافرون والاخلاص والمؤذنين ؛ فكل هذه الآيات وغيرها تدل دلالة ظاهرة ان أس الاس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله رب العالمين . وان عبد غيره أو اعتمد وتوكل على غيره فهو من الهالكين . فتدبروا يا أيها العقلاء وتفكروا يا أيها النبلاء ، ولا تضيعوا عقولكم التى هى منحة ونعمة من الله رب العالمين . وقد قل الله

عز وجل ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَفَلَا تَبْصُرُونَ ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فمن ترك التعقل والتفكير والتبصر والتدبر، وقلد الآباء والمشائخ وكتب الاموات الغير المعصومين . فقد ضل ضلالاً ميئناً . واستحق غضب الله ولعنته فكان من الهالكين . كغالب من شاهدناه من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذية والاحبار والرهبان وعباد القبور وسدنة الضرائح ومشائخ الطرق البدعية والقراء الفسقة والعلماء الدجاجلة . فانتهوا يا أيها الغافلون . وفقى الله عز وجل وإياكم للعقيدة الصحيحة والاعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة . وميزان ذلك كتاب الله القرآن الذي بين أيدينا ، ومنه سيدنا محمد رسول الله ﷺ الثابتة المصروفة المدونة في الكتب المشهورة كالصحيح الستة وغيرها . هذا هو الامر والباقي من العبث

فصل

في وجوب توحيد العبادة

واعلم اني وان حررت آنفاً خلاصة المسائل المتعلقة به ولكن بدأ لي الآن ان أفصل تفصيلاً . أيضاً للمقام وتبييناً للمرام . لكون المسألة مهمة جداً . فاقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وحسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير . قال الله عز وجل في سورة البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ؛ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال الجلال ﴿ اعْبُدُوا ﴾ وحدوا ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ بعبادته عقابه ﴿ أَنْدَادًا ﴾ شركاء في العبادة .

قال البغوي ﴿اعبدوا﴾ وحدوا . قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنها كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿أنداداً﴾ أمثالا
تعبدونهم كعبادة الله .

قال العلامة العماد ابن كثير في تفسير الآية : شرع تعالى في بيان
وحدانية الوهيته . بأنه تعالى هو المنعم على عبده باخراجهم من العدم إلى
الوجود ، وأسبغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشا
الح . فهو الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم . فهذا يستحق
أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم
تعلمون﴾ وفي الحديث لا يقول أحدكم ماشاء الله وشاء فلان . ولكن
ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان (وخطب رسول الله ﷺ فقال « أما بعد
فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ماشاء الله وحده » وهكذا
رواه بن مردويه في تفسير هذه الآية وكذا ابن ماجه وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنها قال قال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وما شئت فقال
« أجملتنى لله ندأ » قل ماشاء الله وحده . رواه النسائي وابن ماجه .
وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم . وعن ابن عباس رضي
الله عنها انه قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ الانداد الشرك اخفى من
ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو ان يقول والله وحياتك
يا فلان وحياتي . ويقول لولا كلبة فلان لاتان اللص من الباحة . وقول
الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان . لا تجعل
فيها فلان هذا كله به شرك .

وقد روى أحمد في مسنده في حديث طويل عن الحارث الأشعري
رضي الله تعالى عنه انه قال ان نبي الله ﷺ قال « ان الله تعالى امر يحيى
ابن ذكريا عليه السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن وأذن بأمر نبي اسرائيل
أن يعملوا بهن . الى أن قل فجمع نبي اسرائيل ذ . الله وأثنى عليه ثم
قال ان الله أمرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن :
أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . فان مثل ذلك كمثل رجل
اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته
الى غير سيده فايكم يمسره أن يكون عبده كذلك : وان الله خلقكم ورزقكم
فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه
عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا . الحديث وهذه الآية دالة على
توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له . وقد استدل به كثير من
المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى . وهي دالة على ذلك
بطريق الاولى :

وكذا ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ونصه
قال الله تعالى ﴿ فلا تجملوا لله انداداً وانتم تعلمون ﴾ قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنها الانداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفة
سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي : وتقول
لولا كلبية هذا لاتانا اللصوص : لولا البيط في الدار لاتانا اللصوص :
وتقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان .
وهذا كله به شرك . رواه ابن ابي حاتم ومن عمر بن الخطاب رضي الله

تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه
الترمذي وحسنه وصححه الحاكم : وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
« لان أحلف بالله كاذبا أحب الى أن أحلف بغيره صادقا » وعن حذيفة
رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان
ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه ابوداود بسند صحيح . وجاء
عن ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى انه يكره اعوذ بالله وبك .
ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك . قال ويقول لولا الله ثم فلان . ولا
تقولوا لولا الله وفلان . وروى النسائي وصححه عن قتيلة رضي الله عنه
ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت
وتقولون والكعبة . فامرهم النبي ﷺ اذا أرادوا ان يحلفوا أن يقولوا
ورب الكعبة . وأن يقولوا ما شاء الله فشئت . وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت . فقال اجعلتنى لله ندا
قل ما شاء الله وحده . ولا بن ماجه عن الطفيل اخي عائشة لامها رضي الله عنها
قال رأيت كافي أتيت على نفر من اليهود قلت انكم لانتم القوم لولا انكم
تقولون عزيز ابن الله . وقالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء
الله وشاء محمد . ثم صررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا
انكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون
ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت
النبي ﷺ فأخبرته . قال هل أخبرت بها احدا . قلت نعم قال فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيل راى رؤيا أخبر بها من أخبر منك

وانكم قلتم كلمة كان ينبغي كذا وكذا ان انهاركم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا ما شاء الله وحده، فيه قوله ﷺ أجملتنى لله نداً، فكيف بمن قال «يا أكرم الخلق مالى من ألؤذبه سواك» والبيتين بعده الخ. وفي كشف الشبهات له، أعلم رحمك الله ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عبادته، كنوح عليه السلام أرسله الله تعالى الى قومه لما غلوا في الصالحين ودسواع ويفوث ويعوق ونسرا، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله تعالى الى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يعملون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين. فبعث الله محمداً ﷺ يحدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لا الملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون ان الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وانه لا يرزق الا هو، ولا يحيى ولا يميت الا الله. ولا يدبر الامر الا هو؛ وان جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، فان أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بذلك فاقراً قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض امن بملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن

يدبر الامر ، فيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴿ ﴿ وقل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ، فيقولون لله قل أفلا تذكرون . الى فاني
تسهرون ﴿ فاذا تحققت انهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي
دعاه اليه رسول ﷺ ، وعرفت ان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد
العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، وان رسول الله ﷺ
قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، وتحققت
ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله له . والنذر
كله له والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادة كلها له ، وعرفت ان
اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ؛ وان قصدهم الملائكة
والانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم واتقرب الى الله بذلك هو الذي أحل
دمائهم وأموالهم ، وعرفت حينئذ التوحيد الذي دعت الرسل اليه ،
وابى عن الاقرار به المشركون . وهذا التوحيد هو معنى قولك لا اله الا الله
فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور ، سواء كان ملكا
أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا ، ولم يريدوا ان الاله هو الخالق الرازق
المدير ، فانهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما قدمته ، وانما يعنون بالاله ما
يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة
التوحيد وهي لا اله الا الله ؛ والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد
لفظها ، والكفار الجاهل يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو
افراد الله تعالى بالعبادة والتعاق والسكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه

فانه لما قال لهم قولوا لا اله الا الله قالوا اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا
«شئ عجاب»

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي
الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهل الكفار
بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتماد القلب لشئ، من
المعاني، والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر
الامر الا الله فلاخير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله،
وقد ذكر الله تعالى في كتابه ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم
بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه

ان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس
عنه، منها قولهم نحن لا نشرك بالله، بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا
يضر الا الله وحده لا شريك له، وان محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
فضلا عن عبد القادر أو غيره، ولكن انا مذب والصالحون لهم جاه
عند الله وأطلب من الله بهم . مجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم
رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا .
وانما أرادوا الجاه والشفاعة .

واعلم أن شرك الاولين أخف من شرك زماننا من وجوه .
أحدها أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثن
مع الله إلا في الرخاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى

﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ . وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴿ فمن فهم هذه المسئلة التي أوضحها الله في كتابه . وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء . وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم . تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين . ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة فهما راسخاً . والله المستعان .

ولهؤلاء شبهة فمن أعظمها انهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله الا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً . ونحن نشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف نجعلونتنا مثل أولئك . فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام . وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع . كما قال تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك

سبيلا . اولئك هم الكافرون حقاً ﴿ ومعلوم أن التوحيد هو أعظم
 فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والحج والصوم .
 وفيه أيضا . أن أصل دين الاسلام انما هو عبادة الله وحده لا شريك
 له والتحرير على ذلك لقوله تعالى ﴿ قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
 سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
 بعضا آربابا من دون الله ﴾ الآية . أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل
 الكتاب إلى معنى لا اله الا الله الذي دعا اليه العرب وغيرهم . والكلمة
 هي لا اله الا الله ففسرها بقوله ن لا نعبد الا الله . فقوله ان لا نعبد فيه
 معنى لا اله وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى . والا الله هو المستثنى في
 كلمة الاخلاص . فأمره تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ونفيها
 عن سواه . ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة وانها لا
 يصلح منها شيء لغير الله . ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ وهذا
 هو توحيد العبادة . وهو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم ﴿ ان اعبدوا الله
 ما لكم من آله غيره ﴾ فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً والبراءة منه
 ومن فعله ﴿ اذ قال ابراهيم لآبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني،
 قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم اتابراء منكم
 ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
 ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير .
 وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان عبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدوني ، واذكر أخا عاد إذا أنذر قومه بالاحقاف وقد خات النذر من بين يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا إلا الله ﴿ ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها . كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل أنه نهى عن هذه الامور كلها وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ . ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بانار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء الرسول ﷺ مما يخالفه .

وفيه أيضاً : اعلم ان المشركين نشأوا في الفترة على عبادة الاصنام والاوثان . وكان عند السكبية ثلثمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه . فلما دعاهم النبي ﷺ إلى لاله الا الله ، أي إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله انكروا عليه وأبوا أن ينفوا ما نفته هذه الكلمة لا اله الا الله من عبادة الاوثان والاصنام . وان يخلصوا العبادة لله وحده ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا آلہتنا لشاعر مجنون ﴿ فكذا في هذه الامة لما كثر الشرك فيهم كما كثر في أولئك وبنيت المساجد على القبور وعبدت ، وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت ، صاروا يقولون لا اله الا الله والشرك قد قام في قلوبهم واتخذوها ديناً فانبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله . وانكروا ما دلت عليه من الاخلاص . فمكسوا ما دلت

عليه هذه الكامة بكونهم اثبتوا ما نفتته من الشرك . ونفوا ما اثبتته من الاخلاص الذي هو حق الله على عباده ، فيقول لا اله الا الله وقد اعتقد عكس ما دلت عليه . وهذا غاية الجهل والضلال . يقول كلمة تتضمن النفي والاثبات فلا يعرف ما نفتته ولا ما اثبتت ، وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى فسبحان كيف جهلوا من ذلك ما دعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه . كما هو صريح القرآن لا يخفى على من له ادنى فهم ان وفق لفهمه . فوضعو الشرك موضع التوحيد بالقبول . ووضعو التوحيد موضع الشرك بالانكار على من دعا اليه وعداوته . ويا اسفًا على غربة الاسلام في هذه القرون المتأخرة .

وفيه أيضاً نقلاً عن الصواعق المرسله : التوحيد نوعان ، انقولى الخبرى العلمى ، المقصدى الارادى العلمى كما دل على الاول سورة الاخلاص ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ءِ وَعَلَىٰ الثَّانِي سُوْرَةُ الْكَافِرُوْنَ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ؕ أَن لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ ؕ وَالتَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ أَسَاسُهُ اثْبَاتُ الْكَمَالِ لِلرَّبِّ وَمُبَايَنَتُهُ خُلُقُهُ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْعِيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَالتَّمَثِيلِ . وَالتَّوْحِيدُ الْعَمَلِيُّ تَجْرِيدُ الْقَصْدِ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالْعِبَادَةِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ لِلّٰهِ وَحْدَهُ . وَمَدَارُ مَا بَعَثَ اللّٰهُ بِهِ رُسُلَهُ وَأُنزِلَ بِهِ كُتُبُهُ عَلَىٰ هَذَيْنِ التَّوْحِيدَيْنِ . وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْوَمُهُمْ بِهِمَا عِلْمًا وَعَمَلًا وَلِهَذَا كَانَتْ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَقْرَبَ الْخَلْقِ

الى الله تعالى . وأقربهم اليه وسيلة أولوا العزم وأقربهم الخليلان . وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله تعالى لسكمال عبوديته وتوحيده . فهاذا هم اقربها رحي الدين وعليها مداره . وبياتهما من أم الامور ، والله سبحانه يبينها غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والامثال المضروبة وامام المعطلين المشركين فرعون فهو امام كل معطل ومشركا الى يوم القيامة ، كما ان امام الموحدين ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وأصل عبادة الاصنام ان قوم نوح عليه السلام صوروا صور الصالحين ، ومازال الشيطان يوحى الى عباد القبور وبقى اليهم ان البناء عليها والمكوف عندها من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وان الدعاء عندها مستجاب ، ثم بنقاهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام على الله تعالى ثم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور وبطاف به ويستام ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، ثم نقاهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذ عيدا ومنسكا وراوا ان ذلك أنفع لهم من دنياهم وأخراهم ، وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وان لا يعبد الا الله ، ثم نقلهم منه الى ان من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر ، فغضب المشركون واشتمزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشتمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم

يستبشرون ﴿ وقد سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام قوالوا
أهل الشرك الخ.

قال الجامع العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي
اني قد شاهدت في بخارى عند ضريح الخواجة بهاء الدين النقشبندی ،
ان كثيرا من حملة المأتم جالسون حوله ويدعدن انهم ممن ينتسب الى
الشيخ وانهم أصحاب الدعاء ، والناس يقصدون زيارة هذا الضريح
من بلاد بعيدة ، ويعدونها فضيلة عظيمة ، فيحملون اليه نذوراً من
الاموال والنقود والمواشي ، ويزعمون ان هذا النذر ينبغي أن يكون
سبعاً سبماً فيقدمونه الى المشايخ والسدنة المذكورين ، وهم يأمرهم
بالطواف حول القبر والتوجه اليه وطلب الحاجات منه فيبادرون .
يا بهاء الدين نقشبند بالاكردان اعطنا كذا أو ادفع عنا كذا . وهكذا
يفعلون دائماً . وخصوصاً في ليلة الاربعاء . بحيث يحدث ضوضاء
وغرغاء . وإذا نهيتهم عنه قاموا عليك يسبونك وينسبونك إلى
الزندقة . وهكذا رأيتم يفعلون في كل المزارات التي يعتقدونها . كزار
الشيخ العالم وفتح آباد . وتورك جندی . وخواجه باباباره دوز وغيرها .
وأما في سمرقند فقبر قثم ابن عباس رضي الله عنهما الذي يسمونه
شاه زنده . ولهم في شأنه خرافات . وكذا الامير تيمور الاعرج
الرافضي . وكذا الشيخ عبيد الله أحرار وغيرها وأما في خجند فضريح
الشيخ بديع الدين النوري المعروف بشيخ مصلح الدين . حتى اني رأيت
بعضي رأسي أن منهم من سجد إلى قبره وهو مستدير للقبلة . وأما في

مرغينان فقير معاذ بن جبل رضى الله عنه على ما يزعمونه . وهو كذب وباطل . وكذا قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه المشهور عندهم بشاه مردان . وهو كذب وباطل . وأما فى اوش فقير آصف بن برخيا وزير سليمان النبي ﷺ ، وموضع نخت سليمان أيضا ؛ ويسمونه كعبة المعجم ؛ وأن من يريد الحج إلى الكعبة فعليه أن يزور أولا مكة المعجم هذه والا لا يقبل حجه ، وأما فى جلال آباد فقير أيوب النبي عليه السلام وعينه التى اغتسل فيها بعد أن عوفى من البلاء ، وهى من المكذوبات ، وأما فى تاشقند فقير الخواجه خوارندطهور ؛ وقبر زنكى اتا ؛ وغيرها ، وأما فى يسي المشهور بتركستان فقير الخواجه أحمد اليسوي ؛ وأما فى كاشغر فقير آباق خواجه ، وأما فى بلخ فقير على رضى الله عنه على ما يدعون ويسمون مزارسخى ؛ وأما فى اجير فقير معين الدين الجشتى ، وهكذا فى لاهور وكشمير ودهلى وبمبي وغيرها من بلاد الهند ، وأما فى بغداد فقير الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وأما فى دمشق فقير محى الدين ابن عربى ؛ وأما فى مصر فقير السيدة نفيسة وزينب وحسين وغيرها ، ففى كل واحد من هذه المزارات بنيت القباب وارخيت الستور الفاخرة فيحجون اليها من كل الجهات ، وبطلبون منها الاعانات والبركات وقضاء الحاجات ؛ وإذا قاموا وإذا قعدوا وإذا حملوا شيئا وإذا مشوا يقولون يا فلان او يا بىرا او يا شيخ مدد ، ويقومون عند قبورهم بنهاية الادب والتواضع والخشوع خيبكون وتسيل دموعهم كالسيول ، ويسجدون للقبور ويقبلون

اعتابها ، فاما من قرية فضلا عن بلدة الا ومن هذه المزارات المعبودة موجودة ، والشيوخ والسدنة الدجالون يحكون حكايات خرافية واحاديث كاذبة فيقبلها الجاهال فيضلون حتى يقومون في الشرك الاكبر .
والعبد الضعيف لما دخلت بلاد الهند ورأيت غلوهم في تنظيم القبور بكيت دعماً بل دعماً ، وزيادة على ذلك ان رجلاً من اهل بلاد فرغانة واسمه عبدالقادر الخوقندي ، وهو يزعم انه من العلماء والمدرسين ونحن إذ ذاك في دهلي حكى حكاية ، وهي ان اللورد الفلاني من اللوردات الانكليزية ، لما قدم بلاد الهند وتشرف بزيارة مرقد الشيخ معين الدين في بلدة اجير شريف ، ورأى وفود الناس وازدهامهم عليه وخشوعهم وتضرعهم وبكائهم ، قال ما رأيت في العالم ميتاً يتسلطن ويخضع الناس لسلطنته الا الشيخ معين الدين هذا والشيخ عبد القادر الجيلاني غوث الاعظم فانهما سلطان الدنيا والدين حيا وميتا ، والمعجب من بعض المسلمين انهم لا يخضعون لسلطانها وانى قد بلغت حكومة الهند ان تنصف كراء السكة الحديدية لزوار هذا السلطان الاعظم ، فنصفوا الكراء في موسم اجير ، وهذا الانكليزي يعتقد هكذا ويعترف بهذا السلطان العظيم ، وانت تنكر كل هذه الخوارق والكرامات ، فقلت نعم انا انكر كل ما قلت لانه شرك صريح وكفر قبيح ، واللورد المذكور انما قال ذلك القول وفعل ما فعل ليخرج الناس من نور الايمان والتوحيد الى ظلمات الشرك والضلال ، وانا اتمجب منك تفتخر بقول العدو الالاد وتمسك به .

فانظر الى اين بلغت الضلالة وغلبت الجهالة حتى صاروا يعتقدون ان الاموات يعلمون ويتصرفون ويقضون الحاجات ، وهذه معصية عظيمة ابتلى بها المسلمون فان الله وانا اليه راجعون .

وفي مجموعة التوحيد ايضا ، قال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ اِيكُمْ احسن عملا ﴾ اي اخلصه واصوبه ؛ قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه ، قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ؛ فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك بالله .

وفيها ايضا قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابا باطين معنى لا اله الا الله عند جميع اهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الاله بالمعبود ، والتأله التعبد ، واما العبادة فمعرفها بعضهم بانه ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ؛ والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل الامور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهى عنه من محرم ومكروه ، فمن جمل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كاللعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك ، ولا اله الا الله متضمن للكفر بما يعبد من دون الله لان معنى لا اله الا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وفي الحديث الصحيح من قال لا اله الا الله وكفر

بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ، فمن قال لا إله الا الله ومع ذلك يفعل الشرك الاكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذر والذبايح فهذا مشرك شاء أم أبى

والتحقيق أن المعنى الكلى الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالاسباب المسخرة للناس . فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الاسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضا . والآله المعبود وهو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم . وهو المعبود بحق ، أو كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى وتأثيره في ارادته بحيث يفعل الرب لاجله أو يمكنه من الفعل . وهذا هو المعبود الباطل . لأن الرب لا يشرك في فمه ولا في حكمه أحدا انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقهاء وغيرهم يفسرون الآله بأنه المعبود . وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الآله هو القادر على الاختراع . وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العاقل العاقل تبين له بطلانه . وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقولون بأن الله هو القادر على الاختراع . وهم مع ذلك مشركون والعبادة الحققة خاصة لله وحده فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد عبد ذلك الغير

واتخذها آلهاً واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك
تألهاً وعبادة وشركاً ، ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير
بتغير اسمائها ، فاذا سمي الزنا أو الربا أو الخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير
الاسم عن كونها الزنا أو الربا أو الخمر أو نحو ذلك ، ومن أعظم مكائد
الشیطان لبني آدم قديماً وحديثاً انه اخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين
وغير اسمه بتسميته اياه توسلاً وتشفياً ونحو ذلك ، وهذا شرك فاشرك
مشرك شاء أم أبى ، وعبادة للطاغوت ، وقال جميع أهل اللغة : الطاغوت
كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري الطاغوت الكاهن والشیطان
وكل رائس في الضلال ، وقال ابن كثير وهو قول قوى جداً ، فانه يشمل
كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتعاظم اليها والاستنصار بها ،
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الطاغوت تراجعة للاصنام الذين
يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، ويشمل هذا
كل ما نصبه الناس للحكم بينهم باحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ،
وسدنة الاوثان والداعين إلى عبادة أهل القبور وغيرهم بما يكذبون من
الحكايات المضلة للجهال ، الموهمة ان القبور ونحوه يقضى حاجة من توجه
اليه وقصده ، وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين
ليوهموا الناس ان القبور ونحوه يقضى حاجة من قصده فيوقعهم في
الشرك الاكبر ونوابه .

وفي الجواهر المضيئة لابن عبد الوهاب ، التوحيد نوعان توحيد
نار بوبية ، وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء

وغيرهم وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، بل
أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض
أم من يملك السمع والا بصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴾
وان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الالهية ، وهو أن
لا يعبد الا الله ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبي ﷺ
بعث وأهل الجاهلية يعبدون اشياء مع الله ، فنهى من يعبد الا صنما .
ومنهم يدعو عيسى ، ومنهم يدعو الملائكة فنهى عن كل ذلك . واخبرهم
ان الله أرسله ليوحيد ولا يدعى احد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن
اتبعه ووحد الله فهو الذي شهد ان لا اله الا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى
أو الملائكة واستنصرهم والتجاء اليهم فهو الذي جحد لا اله الا الله مع
اقراره انه لا يخاف ولا يرزق الا هو ، وهذا مجمع عليه بين العلماء ، فلما
جرى في هذه الامة ما اخبر به نبيها محمد ﷺ حيث قال « لتنب من سنن
من كان قبلكم حذو القدة بالقدة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه »
وكان من قباهم قد اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وصار
ناس من الضالين يدعون اناسا من الصالحين في الشدة والرخاء مثل
عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر (قات ومعين الدين .
الجشتي في اجير الهند ، وبهاؤ الدين النقشبند في بخارى ، ومصباح الدين
في خجند ، وآفاق خوجه في كشمير ، ومزارسخي في بلخ ، وزانكي
اتا في تاشقند ، وأحمد يسوي في تركستان ، وعي بن عربي في الشام) .

وامثالهم من أهل العبادة والصلاح في كل بلدة وقرية ، وقد بين أهل العلم في امثال هذا انه هو الشرك الا كبر وعبادة الاصنام ، والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر او تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل واتزل الكتب تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . واعلم ان المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بدعائهم الاواياء ، الصالحين في الرخاء والشدة ، ولاشك ان رسول الله ﷺ قائلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والدبح كله لله ، والمذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله ، جميع انواع العبادات كلها لله ، وقد عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدم الملائكة والانبياء والاواياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم واموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل واني عن اقرار به اشركون ؛ وهذا التوحيد هو معنى لا اله الا الله . والعبادة انواع كثيرة منها السجود فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي ، ومنها الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده . فمن ذبح غير الله من جنى او قبر فهو كما لو سجد له ، وقد لعنه رسول الله ﷺ وقال « لعن الله من ذبح غير الله » ومنها الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً في الشدة والرخاء وحده فتمكرر حمد الله فيه احدث في الناس

اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفرًا فيأتي عند قبر فينذر له، وهذا تلحقه الشدة في البر والبحر فيستغيث بعبد القادر أو السماء أن ينجيه من هذه الشدة، فيقال لهذا الجاهل أن كنت تعرف أن الاله هو المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً عاجزاً، وتترك الحى القيوم الرؤوف الرحيم القدير، فيقول هذا المشرك أن الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لى عند الله وتنفعنى شفاعته وجاهه . ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذى يعرف أن بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع، ويعرف الشرك وأن المشركين ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك فإن احتج بعض المشركين أن أولئك يعتقدون في أصنام من حجارة وخشب ونحن نعتقد في الصالحين؛ قيل له والكفار أيضاً منهم من يعتقد في الصالحين، مثل الملائكة وعيسى بن مريم . وفى الاولياء مثل العزيز واللات وناس من الجن؛ فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً؛ فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين . وأنى قد سمعت عن كثير منهم يقول جاءتنى شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له نخلصنى، وقد وقع كثير من المصنفين على جهالة من الشرك الاكبر وهو لا يفطن لذلك كقول صاحب البردة

يا اكرم الخلق مالى من الودبه سواك عند حلول الحادث العمم

وأمثال ذلك كثيرة

وفي الجزء الرابع من مجموعة الرسائل النجدية ، من زعم ان المراد من لا إله الا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والانبياء من دين الله ، والقرآن من أوله الى آخره بمحقق معنى لا إله الا الله ؛ ينفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه ، ولكن اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين ، ووقع الريب والشك بعد اليقين ؛ وانتقض أكثر عرى الاسلام كما قال أمير المؤمنين ع بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أننا تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ؛ والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص التي سماها الله تعالى كلمة التقوى ، والتقوى أن يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي واخلاص العبادته واتباع أمره على ما شرعه وكل رسول يدعو قومه الى أن يخلموا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الاصنام والوثان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم. وهذا هو معنى لا إله الا الله لا يشك في هذا مسلم والابتن بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من دون الله ، فمن شك ان هذا هو معنى لا إله الا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل ولا شك ان معنى لا إله الا الله ، لا معبود الا الله ؛ فالاله هو المعبود ، والتأله التعبد لا إله الا الله نفتت الالهية عن سوى الله واثبتتها لله تعالى وحده ؛ والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال ، فالاله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك

وذلك كالسجود والدعاء والذبح والتذرع والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة . وافراد الله تعالى بالعبادة ونميتها عما سواه هو حقيقة التوحيد ؛ وهو معنى لا اله الا الله ؛ فمن قال لا اله الا الله بصدق ويقين اخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً واجلالاً ومهابة وخشية وتوكلًا ، وهذا هو حقيقة الاخلاص الذي قال فيه رسول الله ﷺ « من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى ان ناساً يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة ؛ قال من قال لا اله الا الله فادى حقها وفرضها ، وغالب من يقول لا اله الا الله انما يقولها تقليداً ولم يخاطب الايمان بشاشة قلبه ؛ فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت ، وفي القبور امثال هؤلاء يقولون كما في الصحيح « سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » الحديث .

واجهل الناس من يحتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرتهم ، ولا يخفك ان سبب ضلال اليهود والنصارى علماءهم ، فكذلك سبب ضلال أكثر هذه الامة علماءها ، كما في الحديث المشهور « علماءهم شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود » وقولهم لو أن هذا لا يجوز ما حفي على فلان وفلان ، فهذه شبهة باطلة قال محمد بن وضاح انما هلك بنو اسرائيل على يد قرائهم وعلمائهم وفقهائهم ؛ وسهلك هذه الامة على يد قرائها وفقهائها ، قال عبدالله بن مبارك رحمه الله تعالى :

وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
والاستغاثه بالنبي ﷺ بعدموته موجود في كلام كثير من المتأخرين
مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان والبوصيري وغيرهم ، وهو لا لهم
صلاح ، ولكنهم ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة أهل بلادهم ،
والشر يزاد يوما فيوما ، ويقول عالمهم استعمالها من هو أعلم منا واعرف
بكلام العرب ، فبئست الحجة الواهية ، والله لم يأمرنا باتباع من رأيناه
أعلم منا ، وانما أوجب علينا عند التنازع الرد إلى كتابه وسنة نبيه . قال الله
تعالى ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ﴾ خاصة في أمور الدين فانه لا يجوز التقايد فيها باجماع
العلماء ، ولم يقل سبحانه فان تنازعتم في شئ فاتبعوا ما عليه أكثر الناس
ولا ما عليه بلد من البلدان .

وفي الجزء الرابع من المجموعة النجدية ؛ نقلا عن الحافظ زين الدين
عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى ، ومن تحقق لا إله إلا الله في قلبه
فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة
وخضوعا وانابة وطلباً ؛ وتحققه بأن محمداً رسول الله ؛ أن لا يعبد الله بغير
ما شرعه على لسان محمد ﷺ ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ
أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل ما خلاصها
يا رسول الله قال « أن تحجزك عما حرم الله عليك » وتحقيق هذا المعنى
أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضى أن لا إله غير الله ، والآله هو الذي يطاع
فلا يمصى هيبة واجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه

ودعائه ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن اشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي من خصائص الألوهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيدة ؛ وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الشرك والكفر على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لأجله ؛ كما ورد إطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ؛ وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله مالي إلا الله وأنت ، وكذلك كل ما يقدر في التوحيد ؛ وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة وارقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكماله ولهذا نطق الشرك على كثير من الذنوب التي منشأها من اتباع هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ؛ وإن كان ذلك لا يخرج من الملة بالسكينة ، ولهذا قال السلف كفر دون كفر وشرك دون شرك .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال تعالى ﴿ أفرايت من اتخذ الإله هواه ﴾ قال الحسن رحمه الله تعالى هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبته ، وتعص عبد الدنيا وتعص عبد الدرهم الخ ، فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ودأباً لا لأجله .

فهو عبده وذلك الشئ معبوده والهه ، ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمي طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى ﴿ اَلَمْ اُعٰهَدِ الْيَسْمٰى بِابْنِ اٰدَمَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ وقال ابراهيم عليه السلام ﴿ يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا ﴾ فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلص من عبادة الشيطان ، الا من اخلاص عبودية الرحمن ؛ وهم الذين قال فيهم ﴿ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ﴾ فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا الى غير الله محبة واجلالاً ورجاء وخشية وطاعة وتوكلًا ، ؛ هم الذين صدقوا في قول لا اله الا الله وهم عباد الله حقًا ، فان من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرْ هَدًى مِّنَ اللّٰهِ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ ﴾ فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فان الهوى بهوى بصاحبه الى النار ﴿ اَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ اَمَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ وتمس عبد الدرهم وعبد الدينار ، والله ما ينجوا غداً من عذاب الله الا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شئ من الاغيار ، ان قول لا اله الا الله يقتضى ان لا يحب سواه ، فان الاله هو الذى يطاع محبة وخوفاً ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقته

في قول لا اله الا الله ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله ، قال الله تعالى ﴿ ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم ﴾ قال الليث بن سعد عن مجاهد رحمه الله تعالى قوله تعالى ﴿ لا يشركون بي شيئا ﴾ قال لا يحبون غيري ، وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال الشرك في هذه الامة أخفى من ديب الذرة على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء ، وأدناه ان يحب على شيء من الجور أو يبنض على شيء من العدل ، وهل الدين الا الحب والبنض قال الله تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فلا يتم محبة الله الا بتحبة ما يحبه وكراهه . ايبنضه ويكرهه ولا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول ﷺ فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول وتصديقه ومتابعته ، فهذا معنى لا اله الا الله محمد رسول الله ، فمن قالها صادقا من قلبه حرمه الله على النار وأدخله الجنة وأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها ، فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلوب من كل ماسوى الله . ومتى بقى في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها ، ولا اله الا الله هي كلمة التقوى ، وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق وبرائة من الشرك ، ونجاة العبد ورأس هذا الامر ، ولاجلها خلق الخلق ، ولاجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهي مفتاح دعوة الرسل ، وهي مفتاح الجنة ، وهي ثمن الجنة .

وفي رسالة العبادات الشرعية للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى ،

العبادات الشرعية هي السبيل الذي يقرب به الى الله تعالى وهو سبيل الله ؛ والصراط المستقيم ، وهو البر والطاعة والحسنات ، وهو طريق السالكين ومنهاج القاصدين والمابدين ، وهو طريق الزهد والعبادة ، ويسمى الفقر والتصوف ونحو ذلك وتلك العبادة تؤدي كما وردت عن النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، وأما العبادات البدعية فهي ديدن أهل الضلالة كما في الصحيحين في حديث الخوارج (يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ؛ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) فاهل البدعة ابتدعوا عبادات من هواء انفسهم كالخلوات والاربعينيات اما تمسكا بما قبل النبوة أو بواقعه موسى عليه السلام ، وهي شريعة منسوخة وقد جرب ان من سلك هذه العبادات البدعية اتته الشياطين ، وحصل له تنزل شيطاني وخطاب شيطاني وبعضهم يطير به شيطانه لانهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ التي أمروا بها ، ثم من هؤلاء من قد يصر في الخلوة بالذكر فيقولون ذكر العامة لا اله الا الله وذكر الخاصة الله الله وذكر الخاصة الخاصة هو هو .

والذكر بالاسم المضمرد ومظهراً ومضمراً بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة ؛ فان الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا ايماناً ولا كفراً ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن . سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأفضل الذكر لا اله الا الله ؛ وأفضل ما قلت انا والنبليون من قبلي لا اله

الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . واما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه ايمان وينبغي أن يعرف ان البدعة بريد الكفر ، وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين ، واشتبهت عليهم الاحوال الرحمانية بالاحوال الشيطانية ، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة وظنوا ان ذلك من الكرامات ، والنجاة في اتباع طريق الرسول ﷺ فمن خالفه ضل ، وخام الرسل محمد ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، ولم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ما ينزل ، وانما هي طريقة جاهلية ، واسكن التفريع والتخلية التي جاء بها الرسول ﷺ أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ، ويملؤه بما يحبه الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه من محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج منه خوف غير الله تعالى ، وينفي عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله ، وهذا هو الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ ويمده القرآن ويقويه .

واعلم انه لا يجوز أن يقال أن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف كمقادير الثواب ، ولكن أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض اليهم السبل الشرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وهو من كبار الصوفية ، يامعشر الصوفية لا تفارقون السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض

إلا تزندق ؛ وقال الجنيد رحمه الله تعالى ، وهو سيد الطائفة ، علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة ؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن ، وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع ، وذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا ؛ كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه ؛ وكما كان قوم نوح يعملون أصنامهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه .

قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال عكرمة رحمه الله تعالى تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله ، وهم يعبدون غيره ؛ وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ، ويقولون إن هذا نهاية التوحيد ، وأن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة ؛ وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام .

وقد ذكر العلامة ابن القيم في الجواب السكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، وكشف الغطاء أن الله عز وجل أرسل رسوله وأنزل كتبه وخلق السماوات والأرض ليعرف ويعبد ويوحّد ويكون الدين كله له ؛ والطاعة كلها له والدعوة له ؛ كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فصل الأصول التوحيد ، وهو العدل ، وأظلم الظلم الشرك

﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله ، فالشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك ؛ وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا للقيام بعبودية الله تعالى ؛ فالشرك أجهل الجاهلين حيث جعل له من خلقه ندأ ، وذلك غاية الجهل به ؛ كما أنه غاية الظلم منه ؛ وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه .

تنبيه : إن المشركين إنما قصدتهم تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى ، وأنه لم عظمتهم لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ؛ فالشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وإنما قصد تمطيجه (بحسب زعمه) وقال إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخاني عليه فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء .

واعلم أن الله تعالى لم يشرع لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط وإن الشرك لا يغفر من دون سائر الذنوب ، وتفكر فيه فإن الفرق بين المشركين والوحيدين ، والعالمين بالله والجاهلين ، وأهل الجنة وأهل النار ، إنما يحصل به ؛ فاعلم أن الشرك شركان ؛ شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله والشرك الأول نوعان ، أحدهما شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿وما رب العالمين﴾ فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ، لكن لا يستلزم.

أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، والتعطيل ثلاثة أقسام ، تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود ؛ ومنه شرك ملاحدة القائلين بقديم العالم وأبديته والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها بالمقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة

النوع الثاني شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسمائه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثلاث ثلاثة ، ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه ، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ، ولهذا كانوا من أشباه المجوس ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمور هذا العالم ، كما هو مذهب مشركى الصابئية وغيرهم ، ومنهم من يزعم الآله الأصغر والآله الأكبر ؛ وإن الأصغر يوصل إلى الأكبر .

وأما الشرك فى العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف شراً ، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله ؛ وأنه لا يضر ولا ينفع ولا

يهطى ولا يمنع الا الله ، وانه لا اله غيره ولا رب سواه ، لكن لا يخلص
 لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحفظ نفسه تارة ، وطلب الدنيا
 تارة ؛ ولطلب الرفعة ، المنزلة ، الجاه عند الخلق تارة ؛ فله من عمله ؛ سعيه
 نصيب ، لنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ؛ وهذا
 حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذى قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان
 فى صحيحه « الشرك فى هذه الامة اخفى من ديب النمل » قيل وكيف
 تنجو منه يا رسول الله ، قال قل « اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك شيئاً وانا
 أعلم واستغفر لك لما لا أعلم » فليأى كراه شرك ﴿ قل انما أنا بشر مثاكم
 يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً
 ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أى كما انه آله واحد لا إله سواه فكذلك
 ان تكون العبادة له وحده ؛ فكما نفرد بالآلهية يجب أن نفرد بالعبودية ،
 والشرك ينقسم الى كبير وأكبر ومغفور وغير مغفور فمن الغير المغفور
 الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بان يحب مخلوقا كما يحب الله . كما قال تعالى ﴿ ومن
 الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ الآية . وقال أصحاب
 هذا الشرك لا الهتهم وقد جمعهم الجحيم ﴿ نأله ان كنا لى ضلال مبين
 إذ نسويكم رب العالمين ﴾ ومعلوم انهم ما سوهوه به سبحانه فى الخلق
 والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سوهوه فى الحب والتأله
 والخضوع لهم والتذل ، وهذا غاية الجهل والظلم . فكيف يسوى من خلق
 من التراب رب الارباب ، والعبيد بمالك الرقاب فإى ظلم اقبح من هذا .
 ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه فى الاقوال والافعال والارادات

والنيات ، فالشرك في الافعال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته ،
وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود
لها ، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي
لله فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أو نائماً يعبدها من دون الله ، أو سجد
للقبر ، ومن الشرك بالله الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره ، ومن ذلك قول
القاتل للمخلوق ماشاء الله وشئت ، فكيف من يقول أنا متوكل على الله
وعليك وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من
الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركانك والله لي في السماء وأنت لي
في الارض ، ويقول والله وحياة فلان ، أو يقول نذراً لله ولفلان ، وأنا
نائب لله ولفلان ، أو أرجو الله وفلاناً ، ونحو ذلك .

واعلم ان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء
والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والترك كل به وحده ،
فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيهاً بمن له
الامر كله ، فازمة الامر كلها بيديه وصرجمها اليه ، فما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . ومن خصائص الالهية
الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له
وحده . والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل
والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة
أن يكون لله وحده . ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره . فمن

جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا ند له ،
وذلك أفصح التشبيه وابطله . فلماذا لا يغفروا سبحانه مع أنه كتب على
نفسه الرحمة . ومن خصائص الألوهية العبودية التي قامت على ساقين
لاقوام لها بدونها غاية الحب مع غاية الذل . هذا تمام العبودية ، وتفاوت
منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين فمن أعطى حبه وذله
وخضوعه لغير الله فقد شبه به في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تأتي به
شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل . ولكن غيرت
الشياطين فطراً أكثر الخلق وعقولهم وفسدتها عليهم واجتالهم عنها وجالوا
معيها في الضلال . اذا عرف هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد
لغيره فقد شبه المخلوق به . ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبه به .
ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبه به . ومنها الحلف باسمه تعظيماً
واجلالاً فمن حلف بغيره فقد شبه به . هذا في جانب التشبيه . وأما
جانب التشبه به فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس إلى اطرائه في المدح والذم
والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة فقد
تشبه بالله ونازعه في ربوبية وألهيته . وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان .
انتهى ما ذكره ابن القيم ملخصاً .

وقد قال العارف العلامة الشيخ أحمد السرهندي في المكتوب الثالث
من المجلد الثالث من مكاتباته لا إله إلا الله . لا أحد يستحق الألوهية
والعبودية إلا الله الذي لا نظير له ، الواجب الوجود المنزه عن سمات
النقص والمبرأ عن صفات الحدوث . فان المستحق للمباداة التي هي عبارة

عن كمال التذلل والخضوع والانكسار انما ثبت لمن له جميع الكمالات
وسلب عنه جميع النقائص. واحتاج اليه جميع العالم والاشياء في الوجود وتوابع
الوجود . وهو ليس محتاج في أمر إلى شيء . وهو الضار النافع . لا شيء
يقدر ايصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا باذنه . والمتصف بهذه الصفة ليس
إلا الله تعالى وحده . ولو فرض ان أحداً قدر على ايصال ضرر أو نفع إلى
الاشياء بلا اذنه يكون معطلا . والحاصل أنه لا يكون الجامع لهذه الصفات
الكاملة الا واحداً لا شريك له ، ولا يستحق للعبادة إلا هو الله الواحد القهار .
والكفار الاشرار يعبدون غير الحق جل وعلا ، ويحملون الاصنام
المنحوتة معبودهم بزعم انها تكون شفعاء عندهم عند الله ، ويتقربون إلى الله
بتوسلها ما أعظم حماقتهم . واشراك أحد في عبادته جل وعلا : جرد التوهم
نهاية الخذلان والخسارة . فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله شريك
وجوب الوجود وشريك استحقاق العبادة . بل الام والاحوج اليه
والانفع في هذه الطريق نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام . فان المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبي
من الانبياء عليهم السلام أيضاً ينفون شريك وجوب الوجود بدلائل
عقلية . ولا يثبتوا غير واحد من واجب الوجود . ولكنهم غافلون عن
معاملة استحقاق العبادة . وفارغون عن نفي شريك استحقاق العبادة .
لا يتحاشون من عبادة الغير . ولا يتكاسلون من عمارة الدبر ، والانبياء
عليهم السلام هم الذين يهدمون الدبر وينهون عن عبادة الغير والمشركون
في لسان هؤلاء الا كابر من يكون اميراً لعبادة غير الحق سبحانه ، وان

كان قائلًا بنفى شريك وجوب الوجود فإن اهتمامهم في نفى عبادة ماسوى الحق سبحانه المتعلقة بالعمل ، فمن لم يتحقق بشرائع هؤلاء الا كابر عليهم الصلاة والسلام المنبئة عن نفى استحقاق ماسوى الله تعالى العبادة لا يتخلص عن الشرك ، ولا ينجوا من شعب شرك عبادة الآلهة الا قافية والانفسية ، وهو المقصود من بعثة هؤلاء الا كابر عليهم الصلاة والسلام وحصول هذه الدولة والنجاة من الشرك غير متيسرة في غير شرائع الانبياء عليهم السلام والتوحيد غير ممكن بدون التزام ملتهم ، وقد قال بعض الاكابر من أهل الطريقة ، ان كما هو مقصودك فهو معبودك ، ومعنى العبادة هو الذل والاكسار ، فنفى معبودية الغير انما يتحقق اذا لم يبق مقصود غير الحق عز وجل ، فعلى هذا معنى لا اله الا الله ، لا مقصود الا الله.

وقال في المکتوب الثانى عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان ذكر النفى والاثبات كالوضوء الذى هو شرط الصلاة ، وما لم يوجد الوضوء لا يصح الشروع فى الصلاة ، كذلك ما لم تتم معاملة النفى والاثبات فكل عمل يعمل داخل فيما لا يعنى ، ينبغى أولاً ازالة الارض ، وهى مربوط بالنفى والاثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات آخر مما هو كالغذاء الصالح للبدن وكل غذاء يتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد وقال فى المکتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان الله هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر ، ولكن يجب كون الشكر منحصراً فى اتيان احكام الشريعة قلباً وقالباً واعتقاداً وعملاً ، وكل

تمظيم وعبادة له تعالى يؤدي بما وراء الشريعة لا يكون قابلاً للاعتماد ؛ بل كثيراً ما يكون محصلاً للاضداد ، والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة ، فاداء شكره تعالى متمذر بدون الاتيان بها والشريعة لها جزآن اعتقادي وعملي ، فالاعتقادي من اصول الدين والعمل من فروع ، وفقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة ، وفقد العمل أمر مفوض الى مشيئته سبحانه وقال في المکتوب (٤١) من المجلد الثالث أيضاً ، ولما جاءت النساء عند النبي ﷺ للبيعة شرط عليهن شروطاً فاشترط الاول عدم اشراك شيء بالله تعالى لافي وجوب الوجود ولا في استحقاق العبادة ، ومن لم يكن عمله مبرأ عن شائبة الرباء والسمعة ومظنته طلب الاجر من غير الله تعالى ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك ولا هو موحد مخلص ؛ ولتمظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ في الشرك ، والمصدق للدينين من أهل الشرك ، والمتشبه بمجموع احكام الاسلام والكفر مشرك ، والتبري من الكفر شرط الاسلام . والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد . والاستعداد من الاصنام والطاغوت في رفع الامراض والاستقام كما هو شائع فيما بين جهلة اهل الاسلام عين الشرك والضلالة ، وطلب الخواص من الاحجار المنحوتة نفس الكفر وانكار على واجب الوجود تعالى وتقدس وقد قال تعالى شكايه عن حال بعض أهل الضلال ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴿ واكثر النساء مبتليات بهذا الاستعداد المنوع عنه بواسطة كمال الجهل .

فيهن يطلبن دفع البلية من هذه الاسماء الخالية عن المسميات ، ومفتونات
 باداء مراسم الشرك وأهل الشرك ؛ وتعظيم الايام المعظمة عند الهنود ،
 واداء رسوم الايام المتعارفة عند اليهود والنصارى مستلزم للشرك
 ومستوجب للكفر كما ان كثيراً من جهلة أهل الاسلام يفعلونه
 فيكفرون من حيث لا يشعرون ؛ وما يفعلونه من ذبح الحيوانات المنذورة
 للمشائخ عند قبورهم جملة الفقهاء داخل في الشرك ، وبالغوا في هذا الباب
 والحقوه بجنس ذبائح الجن المتنوع عنها شرعاً ؛ فينبغي الاجتناب عن
 هذا العمل ، ومثل ذلك صيام النساء بنية المشائخ ؛ وينعتن اكثر اساميهم
 من عند انفسهن ويصمن بنيتهم (قالت مثل بي بي سه شنبه ، ومشكل
 كشا) ويطلبن قضاء حوائجهن منهم بواسطة تلك الصيام ويزعمن قضاء
 حوائجهن منهم وذلك الفعل اشراك للغير في عبادة الله تعالى وطلب
 لقضاء الحوائج عن الغير بواسطة العبادة اليه ، فينبغي أن يُعلم شناعة
 هذا الفعل ، ولا يجوز اشراك احد به تعالى في عبادة من العبادات ،
 وطلب الحاجة عن غير الله عين الضلالة ؛ وتسويل الشيطان الرجيم الخ
 قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي نعم
 ما قاله وحيدنا ما افاده هذا هو الحق ، ولكنه سامحه الله ابتلى بما زجر
 عنه ووقع فيما نهي عنه ، وهو لا يشعر لقلبة التقليد عليه ، فمن ذلك
 استحسانه الذكر باللفظ المفرد كالله الله او هو هو وأمره به ، فانه ليس
 بذكر شرعي نافع مفيد ؛ بل يشترك فيه المسلم والمشرک والملاح كما

اسلفت بيانه ، ومنه أمره المريد بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ
واحضارها عند الذكر ، ولا شك ان هذا عين الوثنية والشرك ومنه
استحسانهم وتجويزهم الاستمداد من أرواح المشائخ كما هو صرح به
في كثير من مكانبه ، ويسمونه تربية روحانية ولا ريب ان هذا عين
الشرك الذي حذر عنه ، ومنه ترتيبهم الاوراد وتعيينهم الاوقات لها كختم
خواجه ونحوه ، ولا يخفك ان هذا الترتيب من البدع التي اخترعوها
وكذا طريقتهم واختراعاتهم اللطائف من السر والخفي والاخفي والقلب
والروح وغيرها ، وأمثالها من البدع التي ما انزل الله بها من سلطان ،
بل انها استحسان وتشريع من عند أنفسهم ، ولا يخفك حكم من يخترع
في الدين شيئاً ، وهذا المؤلف يحذر عن ارتكاب البدعة وينفر عنها
ولكنه وقع فيها حذر عنه ، فلماذا أمرنا ان نطلب من الله تعالى الهداية
الى الصراط المستقيم ، ونقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد ذكر العلامة محمد عبده ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار
في قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
كحب الله ﴾ ، والذين آمنوا أشد حباً لله ﴿ وهذه الآية مبينة لحال الذين
لا يقلون تلك الآيات التي اقامتها الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته .
ولذلك جعلوا له أنداداً يلتمسون منه الخير والرحمة . ويدفعون بركاتهم
البلاء والنقمة . ويأخذون عنهم الدين والشرعة . وقال بعض المفسرين ان الند
المائل المعارض المقاوم وهذا غير صحيح لان القرآن قص لنا خبر متخذى
الانداد في آيات كثيرة صريحة في انهم لا يعتقدون شيئاً من هذا الذي قاله
﴿ م ١٦ اوضح البرهان ﴾

المفسرون بل يعتقدون غالباً أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير . وإن
الانداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده . لأن
المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول إلى الله تعالى بأنفسهم فلا بد لهم
واسطة . كما هو المهود من الرعايا الضعفاء مع الملوك والأمراء . والوثنيون
يقسمون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لا سيما
المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعباداً فالآيات الناطقة بأنهم إذا
سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون الله . وقال فيهم مع ذلك . ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وأيضاً . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى
والانداد عند جمهور المفسرين أعم من الأصنام والأوثان فيشمل
الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعاً دينياً . ويدل عليه الآيات
الآتية ﴿ اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآية فالمراد إذن من
الند من يطلب منه ما لا يطلب إلا من الله تعالى . أو يؤخذ عنه ما لا يؤخذ
إلا عن الله تعالى . ويبان أن الأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله تعالى
في نظام الخلق وإن لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها
ليس من اتخاذ الانداد في شيء . وإن هناك أموراً تخفى عنا أسبابها .
ويعنى علينا طريق طلابها . فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ
فيها إلى القوة الغيبية . ونطلبها من مسبب الأسباب لعله بعنايته ورحمته
يهدينا إلى طريقها أو يبدلنا خيراً منها : وإنما يجب هذا بعد بذل الجهد
والطاقة في العمل بما نستطيع من الأسباب حتى لا يبقى في الامكان شيء .

مع اعتقادنا بأن الأسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا اذ هو الذي جعلها طرقاً للمقاصد . وهدانا اليها بما وهبنا من العقل والشاعر . لا يسمع الدين للناس بأن يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك . وأن يتسكوا على الله تعالى بعد ذلك فيما بأيديهم ولم يهدم لسببه بكسبهم كاتزال الامطار وإفاضة الانهار ودفع الحرائج . فان استطاعوا شيئاً من ذلك فعليهم أن يطلبوه بمعامهم لا بالسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم اليه وأقدارهم عليه .

فكذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلاً او حاملي سلاح دون سلاح العدو والمعتدى عليهم إتسكالا على الله تعالى . واعتماداً على أن النصر يده (قات كجمله أهل بخارى والفرغانة وخوارزم والجزائر والغرب) بل يأمرهم بأن يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة . ويتكوا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والاقدام . وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام . فمن قصر في اتخاذ الأسباب إعتياداً على الله فهو جاهل بالله . ومن النجا الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله . وهذا الذي يلجأ اليه من انسان مكرم كالانبياء والصالحين أو ملك مقرب أو مظهر غريب من مظاهر الخائفة . أو صنم أو تمثال جمال تذكراً لشيء يسمى ندأ الله وشريكه ووليا من دونه (قلت كجمله أهل بخارى فانهم اتكوا على بهاء الدين النقشبند رحمه الله الذي توفي

قبل مأت من الاعوام . وقالوا انه يدفع البلاء . ومادام قبر بهاء الدين موجود في بخارى لا يقدر الكفار على الاستيلاء عليها) والله ان بهاء الدين يرى من أقوالهم هذه لانا نعتقده من الرجال الصالحين العارفين رحمة الله عليه . فالمشرك مشرك وان صلى وصام او كان على رأسه عمامة كالقبة أو جالس في مسند المشيخة وفي يديه السبحة الكبيرة الطويلة كبودى الهنود والسيكها والخالصة ولاما المجوس) وعلق السبحة في عنقه ولو سبحة ابو الف .

ولاشك ان من جملة الانداد من يتبع في الدين من غير ان يكون مبينا للناس ما جاء عن الله ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله ويتخذ رأيه دينسا وانجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتماداً على انه أعلم بالوحي ممن قلدهم دينهم وأوسع منهم فهما فما أنزل الله (كغالب البخاريين والافغانيين والهنديين والصينيين في اعتقادهم حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة وتركهم العمل بها وزجرهم الآنى بها متمسكا بما في كتاب خلاصة الكيداني أو صلاة المسعودي أو جامع الرموز وأمثالها) وفي أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ وقد عظمت الفتنة من متخذى الانداد . ورجوعهم عند الحاجة الى قبورهم وطلب النجاة منهم واذا ذكر لهم الكتاب والسنة اذا فريق منهم معرضون وهم لا يقبلون حكم الله في كتابه . ولكن اذا دعوا ليحكم بينهم باراء رؤسائهم اقبلوا مدعنين . ويأخذون بالشرك الصريح عملا بأقوال الناس من المبتين منهم

من لا يعرف مطلقا، وانما سمي وليا عملا ببعض الرؤيا والاحلام ، ا: الاختراع
بعض الطعام ومنهم من يعرف في الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به
ولا رواية يصح الاعتماد عليها : وانما قدم الخلف الصالح كلام هؤلاء على
كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف . لان العامة اعتقدت صلاحهم
ولايتهم ، العامة قوة منحصر لها الخاصة في أكثر الازمان

وفيه أيضا ، يجب علينا ان ننظر في الحسن الذي يمدحه الله تعالى
ويأمر به ونرجع الى انفسنا لرى هل نحن متصفون به وننظر في القبيح
الذي يذمه وينهى عنه كذلك ، ثم نجتهد في تزكية انفسنا من القبيح
وتحليتها بالحسن ، فهنا يجب علينا أن نبحث وننظر هل اتخذ المسلمون
الآن أندادا كما اتخذ الذين من قبلهم أندادا ام لا ، فان هذا أهم ما يبحث
فيه قارئ القرآن . وقد اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط
المسلمين في الجهل العميم ، الا أفرادا في بعض شعوبهم

لا يكاد يظهر لهم أثر . وظن بعضهم ان التصوف من اعظم الاسباب
لسقوط المسلمين في الجهل بدينهم وبعدم عن التوحيد الذي هو أساس
عقائدهم . وليس الامر عندنا كما ظنوا . لان التصوف كان ظهر في القرون
الاولى للإسلام فكان له شأن كبير ، وكان الغرض منه تهذيب الاخلاق
وترويض النفس باعمال الدين وتعميقها بأسرارها وحكمه بالتدريج ثم تغير
حال الآخرين فاحدثوا للشيخ سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب
أن يكون المرید مع الشيخ كاليت بين يدي الفصال لان الشيخ يعرف
أمراضه اوحية وعلاجها ، حتى ولو أمر بمعصية لكان عليه ان يعقده

أنها نافعه له ومتمين عليه ، فصار من قواعدهم التسليم للمحض والطاعة العمياء ، وقالوا ان الوصول الى العرفان المطابق لا يكون الا بهذا ، ثم أحدثوا اظهار قبورهم ممن يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لاجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم وهم كانوا يريدون بذلك الخير ، ولكن ما ذا كان اثر ذلك في المسلمين كان منه ما كان الى أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقابت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحرركات يسمونها ذكراً يتبرأ منها كل صوفي صادق ، والا تعظم قبور مشائخهم تعظيماً دينياً مع الاعتقاد بان لهم ساطعة غيبية تعلو الاسباب التي ارتبطت بها المسببات بحكمة الله تعالى بها يدبرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون وانهم قد تكفوا بقضاء حوائج مریديهم والمستغِيثين بهم ايما كانوا وهذا الاعتقاد هو عين اخاذ الانداد وهو مخاف ان يكتب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجاهدين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وزادوا على هذا شيئاً آخر هو اظهر منه قبلاً وهما الدين وهو زعمهم ان الشريعة شيء ، والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنباً فانكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من اهل الحقيقة فلا اعراض عليه ، وفي المنكر أنه من اهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين وانه يحاسبهم بوجهين ويعاملهم معاملةتين ، حاشا لله نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يعلموا افهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة

من هذا الوقوف عند ظاهره : ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه افهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للزيد من العلم بالله وسننه في خلقه. فهذا يسمونه تلم الحقيقة لا سواه وليس فيه شيء يخاف الشريعة أو ينافيها. ومن آتاه الله بصيباً من هذا العلم كان اتقى الله من سواه (وإنما يخشى الله من عباده العلماء) ثم لما فسد التصوف وأهله وانقلب الحال وضعف المقه وظهر المتفقه الجاهلون الجاهلون والمتصوفة الجاهلون : واذعن أولئك إلى هؤلاء ، واعترفوا لهم بالسركرامة حتى صرت ترى العالم الذي قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل أي يرى أنه يوصله إلى الله تعالى فإن كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الأئمة واستنبط الفقهاء منها كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى. المبر عنها بالوصول إليه فلما ذا شرع الله تعالى هذا الدين : والناس غنياء عنه بأمثال هؤلاء الأميين وأشباههم ، وهل المقصود إذاً فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول وبيان الأئمة لما جاء عن الله والرسول ، حاشا لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول إلى رضوانه غير ما نزل من البيانات والهدى وإنما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بآثارهم والتخلق والتأديب بآدابها ، واخذ النفوس بالعمل بها من غير تقليد لأهل الظاهر ، ولا جود على الظواهر .

ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان ، وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والاهواء ، وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات

التي يسمونها (الموالد) ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسنائها
الاغنياء ، فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون
بها الى الله تعالى ، ولو طاب منهم بعض هذا المال لنشر علمه وازالة منكر
أو اعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . فانظروا الى ابن وعمل المسلمون
ببركة التصوف الخالي واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع . اتخذوا
الشيوخ أنداداً وصار يقصد زيارة القبور والاضرحة قضاء الحوائج
وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة ونتيجة
ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله تعالى الى ما توهموا أنه يرضى
غيره ممن اتخذهم أنداداً له وصاروا كالاباحيين في الغالب ، فلا عجب
اذن ان يحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر ؛ لانهم انسخوا من
مجموع ما وصف الله به المؤمنين ، ولم يكن في القرن الاول شيء من هذه
التقاليد والاعمال التي نحن عليها بل ولا في الثاني . وإنما سرت اليينا بالتقليد
والمدوى من الامم الاخرى .

وهنا نوع آخر هو ترك الاهتداء بالكتب والسنة واستبدال
أقوال الناس بها ؛ فلو دخل في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتقى
لحار لا يدري بم يأخذ ولا أي المذاهب والكتب في الاصول والفروع
يعتمد . ولصعب علينا اقناعه بان هذا هو الدين القيم دون سواه او بان
هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد ، ولو وقفنا عند حدود القرآن
وما بينه من الهدى النبوي لسهل علينا أن نفهم ما هي الحنيفية السمحة
أي لا حرج فيها ولا عسر وما هو الدين الخالص الذي لا اعوجاج فيه

ولا خلف . ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم وعالمها فانا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتاج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه المدرك القوى ولكنه لا يفتى به ولما ذا لان فلانا قال كذا . فقول رجل من رجال كثرين جداً جاهل تاريخ اكثرهم بكى لترك السنة الصحيحة . وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا قطعت الصلة بين ما نحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . والحال انه لا يجوز لاحد أن يرجع في شيء من عقائده وعباداته الا إلى الله تعالى وإلى رسوله الذي أنزله اليه كما يجب علينا أن نعتقد بان الحكم لله وحده لا يؤخذ عن غيره الدين ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ، كما أمرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا كان من متخذي الانداد ، ومن يضلل الله فواله من هاد .

وفيه أيضا ، قال الله تعالى ﴿ إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا . وراوا المذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ اعلم أن هذه الآية أشد زلزال على المقلدين والمقلدين لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ، سواء كانوا من الاحياء أم من الميتين ، وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات ، أم في أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا إنما يؤخذ عن الله ورسوله . ليس لاحد فيه رأى ولا قول ، ويدخل فيه الأئمة المضلون ، وما

الائمة المهديون ممنع كلهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتقاد على غير
وحيه في الدين . ويزعم بعض المفسرين ان أمثال هذه الآيات خص
في الكفار . نعم انه خاص بالكفار كما قلوا . ولكن من الخطأ أن يفهم
من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيد
فيه إلى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود .
لهذا ترى المسلمين لا يتمظون باقرآن . ويحسبون أن كلمة لا إله إلا الله
يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة في الآخرة . على
ان كثيراً من الكافرين يقولها . ومنهم من يبرز جسده عند ذكر الله كما
يبرزه جماهيرهم . فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن . وبعبارة
محمد ﷺ . ليس هذا الذي يتوهم الجاهلون من مراد المفسرين فما بين
الله تعالى ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم الا عبرة لمن
يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيها وقعوا فيه فيكون من الهالكين . ولكن
رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين
للاهدى به قد انقضوا ولا يمكن أن يوجد مثاهم لما يشترط فيهم من
الصفات التي لا تيسر لغيرهم كمعرفة كذا وكذا من الفنون . مع أن
السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وكذا الائمة الاربعة رضى الله
تعالى عنهم متفقون على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول أحد في الدين
ما لم يعرف دليله . ثم جاء العلماء المفلدون وجعلوا قول المفتي للعامة بمنزلة
الدليل . ثم خلف خف أعرق في التقليد فتمعوا كل الناس أخذ أي حكم
من الكتاب والسنة وعدوا من يحاول فهمها والمعمل بهما زائغاً . وهذا

غاية الخذلان وعداوة الدين وقد نبههم الناس في ذلك فكانوا لهم أنداداً من دون الله ، وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله تعالى .

وقد نقل عن الأئمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم المبنى عن الاخذ بقولهم من غير معرفة دلائلهم . والامر بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفتهم للكتاب او السنة ، قال الفقيه ابو الليث السمرقندى الحنفى بسنده عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه قال لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما يعلم من ابن قلنا ، وقال عصام بن يوسف رحمه الله تعالى اجتمع أربعة من اصحاب ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى مجلس زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن زيد ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى فكلهم أجمعوا على انه لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما يعلم من ابن قلناه ، وفى روضة العلماء قيل لابی حنيفة رحمه الله تعالى اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه هل تركوا قولى لكتاب الله ؟ قيل فذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه قال تركوا قولى لقول رسول الله ﷺ . قيل فذا كان قول الصحابة رضى الله تعالى عنهم يخالفه ، قال تركوا قولى لقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وبعد هذا كله جاء الكرخى وقال ان الاصل قول اصحابهم ونوافقتهم نصوص الكتاب والسنة فذاك والا وجب . تأويلها ، وجرى العمل على هذا ؛ فهل العامل بهذا مقد لابی حنيفة رحمه الله أم لا ؟ الكرخى ، وهكذا بعينه ثبت عن الامام مالك والشافعى وأحمد رحمهم الله تعالى

وفيه ايضا ، ومن جملة الشرك التولات والتناجيس . جمع تولة .
 ما تحمله المرأة ليعبها زوجها ، والسحر والتناجيس ما يحمل للعين من
 الخرز والمظام التي يعلقونها على الاطفال ، والتمائم والعزائم وخمات
 القرآت والعدد المعلوم من سورة يس : او بعض الاذكار ، وقد بلغ
 من هزؤ هؤلاء بالدين ان كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة
 (يس) لقضاء الحاجات او لرحمة الاموات يقرؤها مرات عديدة .
 وذا جاء طالب ابتياع القرآءة واحد منه التمن اعطاها بعد حل عقدها ،
 وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها
 القداديس ، ففسد منهم ، حتى علمنا اننا قد اتبعنا لسننهم شبرا بشبر
 حتى دخلنا حجر الضب الذي دخلوه ولا شك ان كل أجرة يؤخذ على
 عبادة فهو من أكل اموال الناس بالباطل ، وقد مضى الصدر الاول ولم
 يكن اخذ الاجر على عبادة ما معروفا . ولا يوجد في كلام اهل القرن
 الاول والثاني كلمة تشعر بذلك ؛ ثم لا يمتثل ان تتحقق العبادة وتحصل
 بالاجرة ؛ لان تحققها انما يكون بالنية و ارادة وجه الله تعالى وابتغاء
 مرضاته ، ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن
 كونه عبادة خاصة لله ، والله تعالى لا يقبل الا من كان خالصا من
 الحظوظ والشوائب ، وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا
 العمل شركا .

وفيه ايضا في قوله تعالى ﴿ والهمك آله واحد لا آله الا هو الرحمن
 الرحيم . ان في خلق السماوات والارض ﴾ الآية ، اى فلا تشركوا به

شيئاً ، والشرك به نوعان أحدهما يتعلق بالالوهية ، وهو ان يمتقد ان في الخلق من يشاركه تعالى او يعينه في افعاله او يحمله عليها او يصده عنها لاجل قربه منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم وحجابههم واعوانهم ، وثانيهما يتعلق بالربوبية ، وهو ان يؤخذ حكم الدين في عبادة الله تعالى ، والتحليل والتحریم عن غيره ، اى غير كتابه ووحيه الذى بلغه عنه رساله بحجة ان من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي اعلم بمراد الله . فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾ فظاهر أن الواجب على العلماء بالدين أن يبينوا ما أنزله الله للناس ولا يكتمونه ، لا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ؛ كما زاد أهل الكتاب أحكاماً كثيرة . ثم هجروا الوحي اكتفاء بها . فهو الآله الواحد الحى القيوم القادر الذى بيده ملكوت كل شئ ، وكل ما تعتمدون عليه من دونه فليس محلاً للاعتماد ، بل اعتمادكم عاياه من قبيل الشرك ، فيجب أن تطرحوه جانباً وتعتقدوا أن الآله الذى بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار وإيقاعها هو واحد لاسلطان لا حد على ارادته ، ولا مبدل لكلماته ؛ ولا أوسع من رحمته ، وانما اكد أمر الوحدة هذا التأكيد تحذيراً من طرق الشرك الخفية ، على أنها أساس الدين وأصله .

وفيه أيضاً : واعلم أن مخالطة المشركين ومجالستهم محظور مرهوب الشر بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك بضروب الشبه والتضليل التى جرى عليها المشركون ، كقولهم فيمن يتخذونهم وسعاء

بينهم وبين الخلق ﴿هو﴾ لا ، شفعاؤنا عند الله . وما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿فهم﴾ هذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر ، ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم فدخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون . لأنهم لم يتخذوا معبودات المشركين أنفسهم شفعا ، ووسطاء ، بل اتخذوا أنبيائهم ورؤسائهم وظنوا أن هذا تعظيم لهم لا ينافي التوحيد الذي أمروا به ، وجعل أصل دينهم وأساس ارتقاء أرواحهم وعقولهم . وقد أغتروا بظواهر الالفاظ ، وجعلوا تسمية الشيء بغير اسمه اخراجه عن حقيقته ، فهم قد عبدوا غير الله واسكنهم في سموا أعمالهم عبادة بل اطلقوا عليه انمضا آخر كالاستشفاع والتوسل ، واتخذوا غير الله آلهة وربا . ومنهم من لم يسميه بذلك بل سموه شفيعا ووسيلة ، ونوهوا أن اتخاذ آلهة أو ربا هو تسميته بذلك أو اعتقاد أنه هو الخالق والرازق والحى والاميت استقلالاً . ولو رجعوا إلى عقائد الذين اتبعوا سننهم من المشركين لوجدوا كما قال الله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، وأن سألهم من خلقهم ليقول الله ﴿

وفيه أيضا في قوله تعالى ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ فلا يستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم برشدون ﴿أن اعرايا﴾ ما إلى النبي ﷺ فقال اقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فداده فسكت عنه فانزل الله تعالى الآية . وهذا السؤال ليس يبعد من العرب الذين اعتادوا أن يتخذوا وسائل بينهم وبين آلهتهم يقربونهم إلى الله

خالق السموات والأرض . وهو لا الوسائل أما اشخاص وأما امثلة
أشخاص كالمائيل والاصنام ، ولم يهتدوا بانفسهم إلى التجرد لمعرفة ذلك
الآله العظيم بأنه لا يتقيد بشئ حتى هدم اليه القرآن بآية البينات
فكانوا أهل التوحيد الخالص ، والله تعالى قريب من عباده فلا حاجة إلى
رفع الصوت ولا إلى الوسطة بينه وبين عباده في الدعاء وطلب الحاجات
كما كان عليه المشركون في التوسل بالشفعاء والوسطاء إلى الله تعالى
﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ مهم بنفسى من غير واسطة ﴿ إذا ﴾ هو ﴿ دعانى ﴾
ونوجه إلى وحدى فى طلب حاجته ، أى يجب أن يدعى وحده بدون واسطة ،
لأنه هو الذى خلق الانسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو الذى
يجيب دونه وحده بدون واسطة تعينه أو تساعده ، أو تكون نائباً
عنه فى الاجابة وقضاء الحاجة الخ .

وفيه أيضاً قوله تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ الآية ،
الآله هو المعبود بالحق ، والحى الدائم ، والقيوم المبالع بالقيام بتدبير خلقه ،
والعبادة استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبى لا تحيط به علماً ، وهذا
هو معنى التآليه فى نفسه وكل ما آله البشر من جماد ونبات وحيوان
وانسان فقد اعتقد فيه هذا السلطان الغيبى بالاستقلال أو بالتبع لآله
آخر أقوى منه سلطاناً ، ومن ثمة تعددت الآلهة المنتعلة ، وكل تعظيم
واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية ، وان
كان المعبود غير آله حقيقة ، أى ليس له هذا السلطان الذى اعتقده الماعبد له
لا بالذات ولا بالواسطة إلى ما هو أعظم منه ، فالله الحق هو الذى يعبد

بحق وهو واحد : والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جداً . وهي غير آلهة في الحقيقة . ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم ، ذلك أن الانسان إذا رأى أو سمع أو توم أن شيئاً قريباً صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم يكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك ؛ حتى ان الذي يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونمل الكاشي ينصرفون عابدين لها - حقيقة . والحاصل أن معنى لا إله إلا الله ، ليس في الوجود صاحب سلطة غيبية حقيقية إلا الله تعالى وحده ﴿ فن يكفر بالطاغوت ﴾ من مخلوق يعبد ورئيس يقلد وهوى يتبع ﴿ ويؤمن بالله ﴾ فلا يعبد إلا إياه ، ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه ؛ يرجوه ويخشاه لذاته . وبما سنه من الاسباب والسنن في عبادته ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾

وقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ؛ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأمرين أصليين : أحدهما تصفية الارواح وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف في الكائنات ، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من أمثالهم ، أو لما هو دونها في استعدادها وكما لها . وثانيهما اصلاح القلب بحسن القصد في جميع الاعمال ، وإخلاص النية لله وللناس ، فتي حصل هذان الأمران انطلقت الفطرة من قيودها المائقة لها عن بلوغ كمالها . وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الاسلام . وأما أعمال العبادات فانما شرعت لتربية هذا الروح الاصرى في الروح

الخلق ، ولذلك شرط فيها النية والاخلاص ، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية . واسكن آه الف آه من غفلة الناس عن حقيقة الاسلام والدين حجبت عنها الرسوم العملية ، والتقاليد المذهبية ، والتزغات النظرية .

وقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ﴾ فهذه الآية قررت وحدانية الالهية ووحدانية الربوبية فاما وحدانية الالهية فهي قوله تعالى ﴿ أن لا نعبد الا الله ﴾ وأكده بقوله ﴿ ولا نشرك به شيئا والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته وتدعوه وتصمد اليه لاعتقادها ان الساطة الفيضية له وحده ، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله ﴿ ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ﴾ فالرب هو السيد الربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى ، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم ، كما فى حديث عدى بن حاتم وحذيفة رضى الله تعالى عنهما ﴿ فان تولوا ﴾ وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا الا أن يعبدوا غير الله بأخذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء . وأخذ الأرباب الذين يحلون لهم ويحرمون ﴿ فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ نعبد الله وحده مخلصين له الدين لا ندعوا سواه ولا نتوجه الى غيره فى طلب نفع ولا دفع ضرر ، ولا نحل الامأحله ولا نحرّم الامأحرمة ، والآية حجة على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول احد مالم يسنده الى المعصوم يعنى فى مسائل الدين البهتة ، العبادات والحلال والحرام

وفي قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ نزلت هذه الآيات في واقعة احد وأصاب على النبي ﷺ ما أصاب ، فأي نصيب من هذا الدين للدين يجعلون امر العباد وتدير شئون الكون لطائفة من أصحاب القبور أو الاحياء الذين يلقبون بالمشائخ والاولياء ، فيزعمون انهم ينصرون ويخذلون ويسعدون ويشقون ويميتون ويحيون ويغنون ويفقرون ، ويمرضون ويشفون ويفعلون كل ما يشاؤون ، هل يعد هؤلاء من أهل الاسلام ، واتباع القرآن فهل كان أهل بخارى مهتدين به عند ما كانوا يقولون ، وقد علموا بعزم روسيا على الاستيلاء على بلادهم ، ان شاء نقشبند هو حامي هذه البلاد فان يستطيعها احد ، هل كان أهل فاس مهتدين به عند ما لجأوا الى قبر (إدريس) يستغيثونه ويستفتحون به على الفرنسيين ، هل كان المسلمون على شيء من هذا الدين عندما كانوا يستنصرون بقراءة البخارى أو يستغيثون بالاولياء في بلاد كثيرة ، أيزعمون ان تلك النزعات الوثنية تعد من الدعاء المشروع . ألم يعتبروا بهذه الآية ، وما جرى على سيد البشر ﷺ .

وفي قوله تعالى ﴿ افد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ تركيته ايام هي تطهيرهم من العقائد الزائفة ووساوس الوثنية وادرائها والعقائدهى أساس المكات ، فمن لم ينزك عقله ويقطهر من خرافات الوثنية وجميع العقائد الباطلة لا تركى نفسه بالتخلي عن الاخلاق التميمه ، والتخلي

بالمسكات الفاضلة: فان الوثني من يعتقد ان وراء الاسباب الطبيعية التي
ارتبطت بها المسببات منافع ترجى ومضار تخشى من بعض المخلوقات ؛
وانه يجب تعظيم هذه المخلوقات والالتجاء اليها ليؤمن ضررها وينال
خيرها ، ويتقرب بها الى خالقها ، وان من يعتقد هذا يكون دائماً أسيراً
الاهوام واخيراً خرافات ؛ يخاف في موضع الامن ، ويرجو احيث يجب
الحذر والخوف ، وتمدى قدرة عقله الى نفسه ففسد أخلاقها ، وتدنس
آدابها . فتزكية النفس لاتتم الا بتزكية العقل ، ولا تتم تزكية العقل الا
بالتوحيد الخالص

وفي قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين
إحساناً ﴾ الآيات ؛ والشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب
والسنن المعروفة في الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه . وهذه السلطة
لا تكون لغيره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه في أمر من الامور
التي هي وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة . لان هذا خاص به تعالى
فمن اعتقد ان غيره يشركه فيه كان مؤمناً مشركاً ﴿ وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون ﴾ وأما التعطيل فهو انكار الالهية البتة ، والاشراك
قد ذكر في القرآن بعض ضروبه عند مشركي العرب . وهو عبادة الاصنام
باتخاذهم اولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقربون المتوسل بهم اليه
ويقضون الحاجات عنده ، والآيات في ذلك كثيرة . والشرك أنواع وضروب
أدناها ما يتبادر الى أذهان المسلمين انه العبادة لغير الله كالركوع والسجود
له ، وأشدّها وأقواها هو ما سماه الله تعالى دعاء وإستشفاعاً وهو التوسل

بهم الى الله وتوسطهم بينهم وبينه تعالى فالقرآن ناطق بهذا . وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد أنواع الشرك ، وأقوى مظاهره التي يتجلى فيها معناه اسم التجلي ، وهو الذي لا يتفهم معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى ، ولا يخفى ان هذا الشرك قد فشى في المسلمين اليوم ؛ كالمعتقدين الغالين في البدوى ، وشيخ العرب . والدسوقي ، وغيرهم : الا يحتمل التأويل (قلت وكالمعتقدين في عبد القادر الجيلاني ، وبهاء الدين المقشبد ، ومعين الدين الجشتي وغيرهم) وليس هو من الشرك الخفي الذي وردت الاحاديث بالاستعاذه منه الذي لا يكاد يسلم منه الا الصديقون .

وقد قال العلامة العارف بالله تعالى الشيخ ولي الله عبد الرحيم الدهلوي رحمه الله تعالى في كتابه (حجة الله البالغة) بحسب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده ، لانه منعم عليهم مجاز لهم بالارادة ، فاعلم ان من أعظم أنواع البر ان يعتقد الانسان بجامع قلبه بحيث لا يحتمل تقيض هذا الاعتقاد عنده ان العبادة حق الله تعالى على عباده . واهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى ، تنزلة سائر ما يطالبه ذووا الحقوق من حقوقهم قال النبي ﷺ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قال معاذ الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله تعالى ان لا يمتدب من لا يشرك بالله شيئاً فمن لا يعتقد هذا فهو دهري لا تقع عبادته وان باشرها بجوارحه بموقع من قلبه ولا تفتح باباً بينه وبين ربه . وكانت عادة كسائر عاداته .

بدأ الله تعالى سورة آل عمران بقوله ﴿اقف لا إله إلا هو الحي القيوم
وان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء. هو الذي بصوركم
في الارحام كيف يشاء. لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فالموحدون يقولون
﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب﴾ ﴿وشهد الله انه لا إله إلا هو واللائكة واولوا العلم قائما
بالقسط. لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ﴿ان الدين عند الله الاسلام
فان حاجوك فقلت اسلمت وجهي لله ومن اتبعني﴾

وقال عيسى عليه السلام داعيا الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة
﴿ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. وما من إله إلا الله.
وان الله هو العزيز الحكيم. قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله. فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون﴾

ومن علامة الشرك الايمان بالجبت والطاغوت واطاعة الرؤساء
في كل ما يأمرين به. قال الله تعالى ﴿الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا. اولئك الذين لعنهم الله﴾ قال الراغب في غريب
القرآن الجبت الجبس الفسل الذي لا خير فيه. ويقال لكل ما عبد من
دون الله جبت. وسمى الساحر والكاهن جبتا. والطاغوت عبارة عن
كل متعبد. وكل معبود من دون الله ﴿الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . ان
الإنسان اذا غلبت عليه الشهوة ونورات الغضب فارتكب معصية ربما
يعود ويتوب فهذا قد تناله المغفرة . واما اذا مال عن التوحيد الذي هو
اساس الدين الى ضرب من ضروب الشرك فلا يغفر عنه . اكد الله للناس
انه لا يغفر لاحد شركه بالبقية . وقد يغفر لمن يشاء من المذنبين ما دون
الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه . والشرك يشبه في افساده للارواح
ما يصيب القلب او الدماغ من سهم نافذ اورصاص قاتلة . فلامطمح للنجاة
من العقاب عليه بخلاف ما اذا اصاب السهم في سائر الاطراف فانه يرحى البرء
ذلك بان الشرك في نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال
العقول فكل خيرا وحق يقارنه لا يقوى على اضعاف شروره ومفاسده
والمرج الى جوار الله تعالى بروح صاحبه فان روحه تكون في الآخرة
على ما كانت في الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه
عز وجل ، والله لا يقبل الا ما كان خالصا له ، والمذنب قد يكون في امانه
وسريره خالصا لله عبداً له وحده ، فالعبد المملوك قد يعصى وقد يابق
فلا العصيان ولا الابق يخرجانه عن كونه عبداً لسيده واحد ، ولسيده
أن يعاقبه وأن يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبداً لغيره لا قسراً
ولا مبهضاً ، ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يفعلون
مثل ما يفعل جميع المشركين ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين
فلا يسمون اعمالهم هذه عبادة . وقد يسمونها توسلاً وشفاعة . ولا يسمون من
يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء . ولكن لا يأتون أن يسموهم أولياء .

وشفعاء وانما الحساب والجزاء على الحقائق لاعلى الاسماء . ولو لم يكن منهم الادعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له . وشركا بالله عز وجل فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو (هو العبادة) رواه ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح . وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء وهو حصر على سبيل المبالغة . كان ماعدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه وهذا الحديث مثل (الحج عرفة) أى هو الركن الاعظم الذى لا يعتد بغيره عند تركه . ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك وهى كثيرة جداً يعلم كما يعلم من اختبار أحوال البشر فى عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس لاسيما عند الشدة . وان ماعدا الدعاء من العبادات فى جميع الأديان فكله أو جله تعلّم تكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الأسباب العادية ، حتى ان الادعية التعليمية فى جميع الأديان قد تكون خالية عن معنى العبادة وروحها الذى ذكرناه ، فان كثيراً من الادعية الراتبة للحافظ لها محرك بها لسانه فى الوقت المعين وقلبه مشغول بشيء آخر ، انما العبادة جد العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القاب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب والشعور بشدة الحاجة الى الشيء واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الأسباب دونه ، ذلك الدعاء الذى تسمعه

من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات ، وفي هياكل العبادات ، ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الذى يغشاها جلال الاخلاص ويثقل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وناهيك بما يفجره هذا الخشوع . من ينابيع الدموع . ذلك الدعاء الذى يستغله سدهن وطهيا كل ، يستثمره خدمة المقابر ، ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان ، لانه أشد أركان رياستهم على العوام . هذا أشد أنواع الشرك فهو ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴿ فانه قد تنكب عن سبيل الرشاد وبعد عن سبيل الهداية . موعلا في مهامة الغواية ولانه ضلال يفسد العقل . ويجعله يخضع لعبد مثله فيطيع من لا يطاع ، ويرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبداً للاوهام اعرضة للخرافات .

وقد قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار ، وما للظالمين من انصار ، لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، قل ان تعبدون من دون ما لا بملك لكم ضراً ولا نفعا ، والله هو السميع العليم ، واذا قال الله يا عيسى ابن مريم اأنت قلت للناس اتخذوني وأهى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ﴿ الآية .

وفي سورة الانعام ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا اتبع أهواءكم ، قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ﴾ وفيها أيضاً بعد أن عدد الله تعالى بانه فالق الحب والنوى ، ومخرج الميث من الحى ومخرج الحى من الميث وفالق الاصباح ، وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيانا ، والنجوم علامات ، ومنزل الامطار ومخرج الحبوب والنخيل والاعناب ، وبديع السموات والارض قال ﴿ ذاكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه ، وهو على كل شئ وكيل ، واتقوا أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ، قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فاتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين ؛ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ﴿ الآية . وهكذا سائر الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، انما دعوا الناس الى توحيد الله بالعبادة .

وفي سورة الزمر ﴿ قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله اعبد مخلصاً له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، الا ذلك هو الخسران المبين ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فتقون ؛ والمذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانا بوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ﴿

وفي سورة الجن ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع أحداً ، وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً . قل انما أدعوا ربى ولا اشرِكُ به أحداً . قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ، قل انى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ، الا بلأغا من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهم خالدن فيها أبداً ﴿ .

وقد ذكر الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في سورة التوبة من تفسيره ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴿ الاحبار جمع حبر ، وهو العام من أهل الكتاب ، والرهبان جمع راهب ومعناه فى اللغة الخائف ، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة ، والرهبانية فى النصرانية بدعة ؛ كما قال الله تعالى ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴿ وكانت نبتهم فيها صاحبة ؛ كما قال تعالى ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴿ ذلك بان لاصل فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام فى الزهد والاعراض عن لذات الدنيا ، ثم صار أكثر منتحلها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورىة اعقبهم رياء وعجباً وغروراً بانفسهم وبتعظيم العامة لهم ولذلك قال تعالى ﴿ فادعوا حق رعايتها ﴿ ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة فى القرن الرابع وضع رؤساؤهم نظماً وقوانين الرهبانية ولعيشتهم فى الاديار ، وصار لها عندم فرق كثيرة يشكو بعض احرارهم من مفسادهم فيها . فكان ذلك

مصدقا لقوله تعالى في سلفهم الصالحين ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾
وفي خلفهم الرائيين ﴿وَكثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهذه الآية من تحرير
القرآن للحقائق في المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هي الحق المفيد فيها.
وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية في الاسلام .

والمعنى اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم ارباباً
فاليهود اتخذوا احبارهم ، وهم علماء الدين فيهم ارباباً بما أعطوهم من حق
التشريع فيهم وأطاعوهم فيه ، والنصارى اتخذوا رهبانهم أى عبادهم
الذين يخضع العوام لهم ارباباً كذلك . والاظهر أن يكون المراد من
الاحبار والرهبان جملة رجال الدين من الفريقين ، أى من العلماء والعباد
فذكر من كل فريق ما حذف مقابله من الآخر على طريقة الاحتباك
أى اتخذ اليهود احبارهم وربانهم والنصارى قسوسهم ورهبانهم ارباباً
غير الله ، وبدون اذنه باعطائهم حق التشريع الدينى لهم وبغير ذاك مما هو
حق الرب تعالى ، وهم يتوسلون بهم ؛ ويتخذون لهم الصور والتماثيل في
كنائسهم ، ولكنهم لا يسمون هذا عبادة في الغالب . وأما اتخاذهم ارباباً
بالمعنى المأثور في تفسير الآية فقد كان عاماً عند الفريقين ، فان اليهود لم يقتصر وا
في دينهم على احكام التوراة بل لم يلتزموها بل اضافوا اليها من الشرائع اللسانية
عن رؤسائهم ما كان خاصاً ببعض الاحوال من قبل أن يدونوه في المشنة
والتلمود ، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم . وأما النصارى
فقد نسخ رؤسائهم جميع احكام التوراة الدينية والديونية على إقرار
المسيح لها ، واستبدلوا بها شرائع كثيرة في العقائد والعبادات والمعاملات

جميعاً ، وزادوا على ذلك انتعالهم حق مغفرة الذنوب لمن شاؤا وحرمان من شاؤا من رحمة الله وملكوته ، وهذا حق الله تعالى وحده ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ أى لا أحد . والقول بمصمة البابا رئيس الكنيسة فى تفسير الكتب الإلهية ووجوب طاعته فى كل ما يأمر به من العبادات وتحريم المحرقات .

وروى الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى سننه وغيرهم عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبی ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ فقال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ، كذا فى الدر المنثور ، وفى رواية دخل عدى على رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ، وقال رسول الله ﷺ يا عدى ماتقول . أياضرك أن يقال الله أكبر ، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ، ما يضررك ، أياضرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله ، ثم دعاه الى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال فلقد رأيت وجهه استبشر ، ثم قال ان اليهود مفضوب عليهم والنصارى ضالون ، وهكذا قال حذيفة اليماني وابن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية ..

ولبعض المفسرين أقوال فى الآية جديرة بان تنقل بنصها لما فيها

من العبارة لاهل هذا العصر ، قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي في تفسير هذه الآية من كتابه (الاشارات الالهية . الى المباحث الاصولية) أى ما يتعلق باصول العقائد واصول الفقه في القرآن ، مانصه .

أما المسيح فأنخذوه رباً معبوداً بالحقيقة ، وأما الاحبار والرهبان فانما أنخذوهم أرباباً مجازاً ، لانهم أمروهم بأشياء فطاعوهم فيه فصاروا كالارباب لهم بجامع الطاعة ، والنصارى يزعمون أن المسيح قال لتلاميذه عند صعوده عنهم : ما حللتموه فهو محلول في السماء ، وما ربطتموه فهو مربوط في السماء . فمن ثم اذا أذنب أحدكم ذنباً جاء بالقربان الى البطررك أو الراهب وقال يا ابونا اغفر لنا بناء على أن خلافة المسيح مستمرة فيهم وانهم أهل الحل والعقد في السماء والارض على ما نقلوه عن المسيح ، وهو من ابتداعاتهم في الدين . وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴿ الآية . بدليل قول المسيح ﴿ يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار ﴾

وقال الامام ارازى في تفسيره مفاتيح الغيب ، الاكثر من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا اسم آلهة العالم ؛ بل المراد انهم أطاعوهم في أمروهم ونواهيهم ، نقل ابن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه كان نصرانياً فانتفى الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة فرصل الى هذه الآية ، قال فقلت لسنا نعبدكم ؛ فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله

فتستحلونه ، قلت بلى ، قال فتلك عبادتهم ، وقال الربيع قلت لابي
العاليه كيف كانت تلك الربويه في بنى اسرائيل ، فقال انهم ربما وجدوا
في كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم
وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى . ثم قال الرازى قال شيخنا
ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين ، يعنى والده عمر ضياء الدين وشيخه
محيى السنه البغوى رحمهما الله تعالى : قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت
مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها
وبقوا ينظرون الى كالمعجب ، يعنى كيف يتمكن العمل بظاهر هذه
الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ، ولو تأملت حق
التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الاكثرين من أهل الدنيا انتهى .
فان قيل انه تعالى كما كفرهم بسبب انهم أطاعوا الاحبار والرهبان
فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج ،
والجواب أن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه
لكن يلعنه ويستخف به ، أما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار
والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق .

واعلم ان تفسير هذه الربويه ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في
تعظيم شيخهم وقدمتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد ،
وذلك الشيخ اذا كان طالبا الدنيا بعيدا عن الدين فقد يلغى اليهم أن
الامر كما يقولون ويعتقدون ، وشاهدت بعض المزورين ممن كان بعيدا

عن الدين كما كان يأمر اتباعه واصحابه بان يسجدوا له ؛ وكان يقول لهم انتم عبيدى ، فكان يلقى اليهم من حديث الحلول والاتحاد اشياء ، ولو خلا ببعض الحقى من اتباعه فربما ادعى الالهية ، فاذا كان هذا مشاهداً فى هذه الامة فكيف يبعد ثبوته فى الامة السالفة . وحاصل الكلام ان تلك الربوبية يحتمل ان يكون المراد منها انهم اطاعوهم فيما كانوا فيه مخالفين لحكم الله ، وان يكون المراد منها انهم قبلوا منهم انواع الكفر فكفروا بالله ، فعار ذلك جارياً مجرى انهم اتخذوهم ارباباً من دون الله ، ويحتمل انهم اثبتوا فى حقهم الحلول والاتحاد وكل هذه الوجوه الاربعة مشاهد وواقع فى هذه الامة ؛ انتهى كلام الرازى يقول محمد رشيد رحمه الله تعالى ، اننا اوردنا هذا عن هذين

المفسرين من اشهر مفسرى القرون الوسطى

واكبر نظارها ليعتبر به مسلموا هذا العصر الذين يقادون شيوخ مذاهبيهم الموروثة بنير علم فى العبادات والحلال والحرام بدون نص من كتاب الله قطعى الدلالة او سنة رسوله المتبعة بالعمل المتواتر ولا من حديث صحيح ظاهر الدلالة ايضاً . بل فيما يخالف النصوص وكذا اصول ائمتهم ايضاً . والذين يتبعون مشايخ الطرق فى بدعهم وغلوهم وضلالهم ويوجد فيهم فى هذا الزمان من هم مثل من ذكر الرازى ومن هم شر منهم . وقد بلغنى عن معاصر من الدجالين المتعجلين للتصوف فى مصر انه قال لبعض الزائرين له ممن يظن انه لا يقول بالخرافات ان مربدى واتباعى يمتقدون اننى اعلم الغيب فماذا افعل وبلغنى عن رجلين لا يعرف احدهما

الآخران كلامهما رأى في المسجد الحرام احد تلاميذ هذا الدجال يقول
نويت ان أصلي ركعتين لسيدى الشيخ فلان او قال لوجه الشيخ فلان.
واما المتقدمون لمتحلى الفقه المذهبي في كل ما يقولون بأرائهم
وتقاليدهم انه حلال وحرام . وان خالف السنة ونص القرآن فهذا داء
عام فلما كنت تجد قبل هذه السنين الاخيرة في البلد الكبير احدا يخالفه
فيؤثر ما صح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قول مشايخ
مذهبهم الا افرادا غير مجاهرين ونحمد الله تعالى ان رأينا تأثيراً كبيراً
لدعوتنا المسلمين الى هداية الكتاب والسنة فصار يوجد في مصر
وغيرها الوف من الناس على هذه الطريقة والهداية . ومنهم الدعاة اليها
وأولوا الجمعيات التي استتت للتعاون على نشرها .

وقل السيد صديق حسن في تهسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن).
وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن
التقليد في دين الله . وإشار ما يقوله الاسلاف على ما في الكتاب العزيز
والسنة المطهرة . فان طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله ويسن بسنته
من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص . وقامت به حجج
الله وبراهينه ونطقت له كتبه وانبياءه . هو كالتخاذ اليهود والنصارى
للأخبار والرهبان ارباباً من دون الله . لاقطع بانهم لم يعبدوه . بل اطاعوهم
وحرموا ما حرموا . وحلوا ما حلوا . وهذا هو صنيع المقلدين من هذه
الامة . وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء
فيا عباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله (رسول الله) ما بالكم تركتم الكتاب

والسنة جانباً وعمدتم الى رجالهم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلى عليه وافاداه فعملتم بما جاؤا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق ولم تعضد بعض الدين ونصوص الكتاب والسنة بل تنادى بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك وبيانيه : فاعرتموها آذان صما وقلوباً غلفاً وافهام مريضة وعقولا مهيمضة . واذهاناً كليلية . وخواطر عليلة فدعوا ارشادكم الله واياي كتبها لكم الاموات من اسلافكم : واستبدلوا بها كتاب الله خالقكم وخالقهم ومتعبدكم ومتعبدكم . ومعبودهم ومعبودكم . واستبدلوا باقوال من تدعونهم بأثنتكم ، وما جاؤكم به من الرأي اقوال امامهم وامامكم : وقدوتهم وقدوتكم وهو الامام الاول محمد بن عبد الله رسول الله المعصوم (ﷺ) .

« دعوا كل قول عند قول محمد » فما آمن في دينه كخطار اللهم هادي الضال . مرشد التائه . موضح السبيل . اهدنا الى

الحق . وارشدنا الى الصواب . وأوضح لنا منهج الهداية انتهى .

والتحقيق ان اتخاذ الارب غير اتخاذ الالهة . وانهما يجتمعان

ويفترقان . فان رب العالمين هو خالقهم ومربهم بنعمه ومذبر أمورهم

بسنته الحكمية . وشارع الدين لهم . واما الاله فهو المعبود بالفعل . اى

الذي تتوجه اليه قلوب العباد . بالاعمال النفسية والبدنية والتروك للقربة

ورجاء الثواب ومنع المقاب عن اعتقاد انه صاحب السلطان الاعلى

والقدرة على النفع والضر بالاسباب المعروفة وغير المعروفة اذ هو

مسخرها وبغيرها ان شاء ، والحقيق بالمعبادة هو الرب الخالق

المدير وحده . ولكن من البشر من يترك عبادته . ومنهم من يعبد غيره معه او من دونه . وكانت العرب تتخذ اصناما تعبدوها ولكنهم لم يتخذوها اربابا . بل شهد القرآن بانهم كانوا يعقدون ويصرحون بان الله الخالق لكل شئ هو رب كل شئ ، ومليكهم ومدبر امرهم . وهو يحتاج عليهم بان الرب هو الحقيق بالعبادة وحده دون غيره فلا ينبغي لهم ان يعبدوا احدا من دونه لا بشراً ولا ملكاً ولا شيئاً اسفلها ولا علوها . فمن اعتقد ان انساناً او ملكاً او غيرها من الوجودات يخلق كما يخلق الله او يقدر على تدبير شئ من امر الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الاسباب والمسببات كما مثاله من ابناء جنسه فقد اتخذهم ربا . وكذلك من اعطى اى انسان حق التشريع الدينى بوضع العبادات كالايراد المبتدعة التى تتخذ شعاراً موقوتة كالفرائض . وبالتحريم الدينى الذى يتبع خوفاً من سخط الله ورجائه فى ثوابه . فقد اتخذهم ربا . واما اذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بالله من الكسب فى دائرة السنن الكونية والاسباب الدنيوية او سجد له له او ذبح القرابين له وذكر عليها اسمه او طاف بقبره وتمسح وقبله تقرباً اليه وابتغاء مرضاته وعطفه وارضائه الله عنه وتقريبه اليه زلنى كما يطوف بالكعبة ويستلم الحجر الاسود ويقبله . ولم يعقد مع هذا انه يخلق ويرزق ويدبر امور العباد فقد اتخذها آلهة اربابا . فان جمع بين الامرين فهو المشرك فى الربوبية والالهية معاً كما بيناهما مراراً كثيرة .

وقد ثبت في الآيات المحكمة القطعية الدلالة ان الله تعالى هو شارع الدين وان رسوله ﷺ هو المبلغ عنه (ان عليك الا البلاغ . ما على الرسول الا البلاغ . فانما عليك البلاغ) فهذه أنواع الحصر التي هي اقوى الدلالات وأركان الدين التي لا تثبت الا بنص كتاب الله تعالى أو بيان رسوله ﷺ لم راده منه ثلاث (١) العقائد و (٢) العبادات المطلقة والمقيدة بالزمان أو المكان أو الصفة أو العدد لكلمات الأذان والاقامة المعدودة المشروطة فيها رفع الصوت و (٣) التحريم الديني . وما عدا ذلك من أحكام الشرع فيثبت باجتهاد الرأي فيما ليس فيه نص . ومداره على إقامة المصالح ودفع المفاسد ؛ ونصوص الكتاب وهدى السنة وعمل السلف الصالح وكلامهم كثير في هذا الباب . ولا سيما التحريم الديني الذي هو موضوعنا هنا ، وكونه لا يثبت الا بدليل قطعي الدلالة والرواية :

ونقل ابن مفلح عن شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ان السلف الصالح لم يطلقوا الحرام الا على ما علم تحريمه قطعاً ، وروى الامام الشافعي في الام عن القاضي أبي يوسف رحمه الله تعالى انه قال أدركت مشائخنا من أهل العلم يكرهون في الفتيا أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام . الا ما كان في كتاب الله عز وجل يننا بلا تفسير ؛ قلت ان كثيراً من المؤلفين المقلدين ومن بعدهم وتبعهم العوام قالوا بجرمة كثير من الأمور حتى صبروا ما يسره الله من دينه ، وأوقعوا أنفسهم والناس في أشد الحرج بالذي نفى الله تعالى قليله وكثيره بقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من

خرج ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما نقل الامام ابو يوسف وابن تيمية رحمهما الله تعالى عن السلف هو الثابت عن النبي ﷺ وأصحابه وكبار علماء التابعين وأئمة الامصار ، فاما السنة وعمل الصحابة فاقوى الحجج فيهما ما علم نصاً وعملاً من عدم تحريم الخمر والميسر تحريماً عاماً تشريعياً بآية البقرة التي تدل عليه دلالة ظنيّة بقوله تعالى ﴿ واتعها أكبر من نفعها ﴾ بل ترك الامر فيها لاجتهاد الافراد ، فمن فهم من الآية التحريم تركها ، ومن لم يفهم ذلك ظل على الاخذ بالاباحة اعتقاداً وعملاً أو اعتقاداً فقط كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي ظل يراجع النبي ﷺ في ذلك ويدعوا الله تعالى (أن يبين لهم في الخمر بياناً شافياً) الى أن نزلت آيات المائدة القطعية الدلالة وهذا هو الاصل فان كان الامر هكذا لانثبت الحرمة بالدليل الظني . فبال الذين يقولون ان قول الامام الفلاني أكرهه او لا يعجبني او لا أحبه او لا استحسنه يدل على الكراهة التحريمية مع العلم بان إجتهااد العالم حجة عليه لا على غيره . وجملة القول ان الله تعالى انكر في كتابه على من يقول برأيه وفهمه هذا حلال وهذا حرام . وسماه كذاباً وسمى اتباعه شركاً . واعلم ان التحريم على العباد انما هو حق ربهم عليهم ، وكونه تشريعاً دينياً . وانما شارع الدين هو الله تعالى . فاذا انيط التشريع الديني بغيره تعالى كان ذلك اشراكاً بنص قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ .

فليتق الله تعالى من يظنون بجهلهم أن جرأتهم على تحريم ما لم
يحرمه الله تعالى على عباده من كمال الدين ، وقوة اليقين ، سواء حرموا
ما حرموا بأرائهم واهوائهم ، أو بقياس في غير محله ، مع كونهم من
غير أهله أو بالنقل عن بعض مؤلفي الكتب الميتين ؛ وإن كبرت
الغايهم ، وكذا أن كان أخذنا من نص شرعي لا يدل عليه دلالة قطعية ،
على ما تقدم بيانه في آخر والمبسر ، وليتق الله من يضمون للناس الاوراد
والاحزاب الكثيرة ، ويحملون لهم شعاراً كشعار الدين المنصوصة
يحملهم عليها في الاجتماعات ، واشتراكهم فيها برفع الاصوات ، او توقيتها
لهم كالصلوات ، فكل ذلك حق لله وحده ، ولم يكن عند أكل البشر
في الدين من أهل القرون الاولى شيء من ذلك ، والله ان المأثور في
كتاب الله وسنة رسوله من الاذكار والدعوات ، خير من حزب فلان
وورد فلان ، وأمثال دلائل الخيرات ، فليراجعوا في كتاب الاذكار
للمحدثين ، كاذكار النووى والحصن الحصين للجزري ، ففيهما ما يكفيهم
من الاذكار والادعية المطلقة والمقيدة بالعبادات المختلفة ؛ وبالازمة
والامكنة وحدث الحوادث .

وقد يقول نصير للبدعة ؛ خذول لاسنة ، ان هذه الاوراد
والاحزاب والصلوات التي وضعها شيوخ الطريقة المارفين وكبار
العلماء العاملين ، من البدع الحسنة التي جربت فائدتها ؛ وثبتت منفعتها
بمواظبة الالوف من المسلمين عليها وخشوعهم بتلاوتها ؛ دون غيرها
من الصلوات والاذكار والادعية المأثورة . فكيف يصح لاحد أن

يأفكم عنها ، والجواب ان كاتب هذا ممن جربوها باخلاص وحسن اعتقاد ، وكان يبكي اقراءة ورد السحر ولا يبكي امتلاوة القرآن ؛ ثم رفعه الله تعالى بعلم الكتاب والسنة ، فعلم ان ذلك كان من الجهل وضعف الايمان ؛ وانه عين ما وقع لمن قبلنا من العباد والرهبان ، واننا نكشف الغطاء عن هذه الشبهة القوية التي قد تعد عذراً لجاهل ما ذكرنا من الآيات القرآنية وسيرة السلف الصالح المرضية ؛ دون من تقوم عليه حجة العلم ونكتفي في ذلك ببيان الحقائق الآتية .

(١) ان الله تعالى ورسوله أعلم بما يرضيه عز وجل من عبادته ، وما يتركى به عابده منها ، ولا يبيح الايمان لاحد من أهله أن يقول أو يعتقد أن أحدا من شيوخ الطريق والاوياء يساوى علمه علم الله تعالى أو علم رسوله ﷺ بذلك ، دع الظن بانهم يعلمون ما لا يعلم الله ورسوله أو فوق ما يعلمان من ذلك فانه أصرح في الكفر بقدر ما تدل عليه صيغة اقل في الموضوع .

(٢) انه تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فكل من يزيد في الاسلام عبادة أو شعاراً من شعائر الدين فهو منكر للحال مدع لانمامه ، وانه أكل في الدين من محمد ﷺ وآله وصحبه رضي الله تعالى عنهم والله در الامام مالك رحمه الله تعالى القائل من زعم أنه يأتي في هذا الدين بما لم يأت به رسول الله ﷺ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، والقائل لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها .

(٣) أنه تعالى يقول ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ وكان رسول الله ﷺ يقول على المنبر وغير المنبر « وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقد بين العلماء المحققون أن هذه القضية الكلية عامة في الأمور الدينية المحضة كالعبادات كما مر مراراً ، وإن البدعة التي تنقسم إلى حسنة وسيئة هي البدعة اللغوية التي موضوعها المصالح العامة من دينية ودنيوية كوسائل الجهاد وتأليف الكتب وبناء المدارس والمستشفيات وتنوير المساجد .

ان قيل أن هذه الزيادة التي أتى بها الصالحون هي من المشروع باطلاقات الكتاب والسنة العامة ، كقوله تعالى ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وصلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ فلا تنافي ما تقدم ، قلنا في الجواب . (٤) أن حقيقة الاتباع المأمور به أن يلتزم إطلاق ما أطلقتته النصوص من الكتاب والسنة وتقيده ما قيدته ؛ ولذلك قال الفقهاء : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . كما في المنهاج (قال المعصومي وكذا في رد المحتار لابن عابدين الشامي) وما ذلك إلا أنها قيدتا بعدد معين وكيفية مخصوصة وزمن مخصوص . وهذا حق الشارع لا المكلف . والا فهما من الصلاة التي هي أفضل العبادات . وقد فصل هذا الموضوع الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام .

(٥) أن الزيادة على المشروع في العبادة كالنقص منه ، وإن التكلف والبالغ في المشروع منها غلو في الدين ، وهو مذموم شرعاً بالاجماع ؛ وصح عن النبي ﷺ النهي عنه ، والامر بالمستطاع منه .

(٦) أن الزيادة لا تتحقق كونها زيادة إلا مع الاتيان بالأصل ، فمن ترك شيئاً من المأثور المشروع واتى بشئ من هذه العبادات المبتدعة فهو مفضل له على ماشرعه الله تعالى أرسلته رسول الله ﷺ . وكفى بذلك ضلالاً واتباعاً للهوى ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه يأتى بشئ منها إلا بعد اتيانه بجميع ما صح في الكتاب والسنة في ذلك وأكثر المتعبدين بهذه الاوراد والاحزاب لا يعنون بحفظ المأثور ولا يعلمونه الا قليلاً من المشهور بين العامة كالوارد عقب الصلوات ، وهم يبتدعون فيه بالاجتماع له ورفع الصوت به . كما بينه الشاطبي وسماه البدعة الاضافية .
ورد بحق على من تساهل فيه من المتفهمة .

(٧) أن هذه الاوراد والاحزاب لا يخلو شئ منها فيما أطلعنا عليه من أمور منكرة في الشرع . وأمر لا يجوز فعلها إلا بتوقيف منه كوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسول الله ﷺ ، أو القسم عليه بخلقه أو بحقوقهم عليه بدون اذنه ، أو القسم بغيره ، وقد سماه الرسول ﷺ شركاً . وكذا وصف رسوله ﷺ بما لا يصح وصفه به ، واسناد افعال اليه لم تصح بها رواية وكذا الغلو فيه ﷺ بما لا يليق الا بربه وخالفه وخالف كل شئ ، ومنها ما هو كفر صريح ، ول بعض الدجالين صلوات واورد فيها من هذه المنكرات ما لا يوجد في غيرها من امثالها والذين يعرفون سيرة هؤلاء الدجالين يعلمون انهم وضعوها للتجارة بالدين واكتساب المال والجاه عند العوام ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴿ زعم بعض هؤلاء الجاهلين ان المنوع من اطرائه ﷺ

هو ادعاء الالهية له كما فعلت النصارى ، وكل ما عدا هذا جائز . ومن هذا الجائز عندهم ما هو مخالف للقرآن كقولهم انه كان يعلم الغيب مطلقاً ومتى تقوم الساعة . ويزعمون ان الآيات الصريحة في خلاف ذلك زات قبل اعلام الله له به ، جاهلين ان الآيات الخاصة بالمقائد لا تنسخ . وان النسخ فيما يصح نسخه لا يكون الا بنص متأخر في التاريخ عن المنسوخ يبطل الاول ؛ ومنهم من يحتج ببعض الاحاديث الموضوعة والمنكرة لترويج هذا الغلو الذي يفتن العوام ، كحديث جابر المنسوب الى عبد الرزاق في خلق النبي ﷺ قبل كل شيء من نور الله تعالى ؛ وهو ان الملائكة وغيرهم خلقوا من ذلك النور . بل خلق منه كل شيء ، وانه ﷺ أصل هذا الوجود ؛ ومنه خلق كل موجود . وقد يقال فيه من جهة المعقول ان كان ذلك النور الذي خلق منه هو ذات الله تعالى فهو كما يقول النصارى أو أفظم ؛ وان كان نورا مخلوقا و اضافته الى الله تعالى للتشريف فهو المخلوق الاول والمخلوق منه هو الثاني . وقد يدنا بطلان هذا الحديث رواية ودراية وكذا ما في معناه في المجلد الثامن من المنار .

(٨) اذا بحث العالم البصير عن سبب عناية كثير من العوام بهذه الاوراد والاحزاب والصلوات المبتدعة وابشارها على التعبد بالقرآن المجيد والاذكار والادعية المأثورة عن النبي ﷺ مع ايمانهم بان تلاوة القرآن واذكاره وادعيته أفضل من كل شيء ، وان ما ثبت في السنة هو الذي يليها في الفضيلة ، وفي كون كل منهما حقا في درجته . لا يجد بعد دقة البحث الا ما ارشدت اليه الآية الكريمة من شرك أهل الكتاب

بأنخاذ رؤسائهم أرباباً من دون الله باعطائهم حق التشريع للعبادات والتحليل والتحریم غلوّاً في تعظيمهم . ومضاهاة مبتدعة المسلمين لهم في ذلك كما ضاهوا من قبلهم من الوثنيين كما أنبأنا عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله المروى في الصحيحين وغيرهما ﴿ انتبهن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ﴾ قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؛ قال من . وما قص الله علينا ما قص من كفرهم الا تحذيراً لنا من مثله ، فانت اذا بحثت عن عبادات هؤلاء النصارى من جميع الفرق نجد في أيديهم اوراداً واحزاباً كثيرة ، منظومة ومنثورة كلها من وضع رؤسائهم ، ولكنها ممزوجة بشئ من كتب انبيائهم كصيفة بالصلاة الربانية ؛ وبعض عبارات زامير عند النصارى وانى لاهل الكتاب بسور كسور القرآن أو بادية وأذكار نبوية كالاذكار والادعية الحممدية في وصف جلال الله وعظمته وأسمائه الحسنى ؛ وطلب أفضل ما يطلب منه تعالى من خير الآخرة والدنيا ، وهل كان أهل العصر الاول من المسلمين سادة للامم كلها في فتوحهم وأحكامهم الا بهداية الكتاب والسنة ، وهل صارت الشعوب تدخل في دين الله أفواجا إلا اهتداء بهم ثم هل صارت الشعوب الاسلامية بعد ذلك الى ما صارت اليه من النذل والصغار ، وتنفير الامم عن الاسلام إلا بترك هدايتها الى البدع والالحاد ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾

والغلاة المبتدعون لهذه الاوراد والصلوات يخدعون العوام بما

يعزجونه فيها من الآيات مع تحريفهم لها عن مواضعها التي نزلت فيها
أو لاجلها ، ومن الأحاديث وكلام الأئمة والصالحين ؛ ومنها ما هو
كذب صراح ؛ وما ليس له سند يعقد به ؛ ويردون على دعاة الكتاب
والسنة بأنهم لا يعظمون النبي ﷺ ، أو يكرهون تعظيمه ﷺ لأنهم
يقفون فيه عند الحد الشرعي ، وبأنهم يكرهون الأولياء ، وينكرون
مكاشفاتهم وكراماتهم ، والعوام يقبلون هذا منهم لجهلهم بعقيدة
الاسلام ؛ وباجماع المسلمين على انه لا يحتاج بقول أحد معين ولا بفعله
في دين الله تعالى الا رسول الله ﷺ إلا الشيعة الامامية فانهم يقولون
بعضمة (١٢) رجلا من آل البيت رضى الله عنهم أيضا .

ان في بعض كتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ
المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسدت في دين هذه الامة ما لم تبلغ إلى
مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين ، لان هذين النوعين
لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلي ، وأما كتب الصوفية
فينظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من
كتب الفلاسفة ، ولا شك ان خير صوفية هذه الامة السابقون الذين
كانوا لا يتصوفون إلا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقہ والاعتصام
بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ، ثم ظهر فيهم الغلاة ،
ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة حتى قال
الامام الشافعي رحمه الله تعالى ، من تصوف أول النهار لا يأنى آخره
إلا وهو مجنون .

وأنت ترى ان الحارث المحاسبي من أجل علماء الصوفية ، وقد روى عنه الجنيد ، وكان من التمسك بالسنة بحيث لم يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دافعاً واحداً على شدة فقره ، وعلى ذلك بانه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده إلا واقفياً ، أى لا يقول أن الفقر أن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق ، وقد ألف الحارث في أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية . فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه : فقال للسائل ، إياك وهذه الكتب بدع وضلالات ، عليك بالاثار فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ؛ قيل له في هذه الكتب عبرة ، فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه عبرة ، هل بلغكم ان مالكا أو الثوري أو الاوزاعي أو ابو حنيفة أو الائمة صنفوا كتباً في الخطرات والوساوس وهذه الاشياء ، هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم ؛ يأتوننا مصرّة بالمحاسبي ، ومصرّة بعبد الرحيم الديبلي ، ومصرّة بحاتم الاصم ، ما أسرع الناس إلى البدع ، وطريقة الصوفية مبتدعة في الدين ، يشغل الناظر فيه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

جاء بمدح هؤلاء القائلون بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كحى الدين ابن عربي يقول في خطبة فتوحاته .

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وغير هذا مما ينقض أساس التكليف ، ويصرح بان الخالق والمخلوق

واحد في الحقيقة ، وإنما الاختلاف في الصورة ، ومن شعره في ديوانه .
« وما الكلب والخنزير إلا إلهنا »

فهل يجوز لمسلم أن يجعل كلامه وكلام أمثاله حجة ، ويتخذ قدوة في عقيدته وعبادته ويدعوا العامة الى ذلك ، ونحن نرى المفتونين به من المتصوفة والمتفقهين يقولون انه لا يجوز النظر في أمثال هذه الكتب إلا لأهلها من العارفين برموز الصوفية وإشاراتهم الخفية مع العلم بالكتاب والسنة ، قلت ومن كان من أهل العلم والفهم وأحب أن يستفيد من كلام خيار الصوفية في الحقائق مع التزام السنة وسيرة السلف في العبادة فعليه بكتاب (مدارج السالكين) للمحقق ابن القيم شرح (منازل السائرين) لشيخ الاسلام الهروي الانصارى ، فإن فيه خلاصة معارف الصوفية التي لا تخالف الكتاب والسنة مع الرد على ما خالفها .

وفي هذا الزمان لا نجد في علماء مصر حافظاً ، ولا من يصح أن يسمى محدثاً ، دع متصوفته الذين يستحوذ على أكثر الجهل ، ويوجد فيهم المنافقون الذين يتخذهم الأجانب جواسيس ودعاة للاستعمار محتجين بشبهة الرضا بالأقدار ، وهم أكبر مصائب الاسلام في المستعمرات الفرنسية الأفريقية ، ومن شيوخهم من يأخذ الرواتب المالية من حكامها ، ومن نال بعض أوسمتها الشرفية ، قلت كبعض علماء بخارى وتركستان ومشائخها ، وكذا بلاد الصين والهند وغيرها ؛ فمنهم من الذين أفسدوا الملوك والرعية وصاروا سبباً لاستيلاء الأوربيين هناك ، وأنا كنت أعرف أنفراً منهم ، نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع

فهذا نموذج من كلام ائمة الاسلام ندعم به ما ذكرناه من الحجج والنصوص في دعوة المسلمين الى فهم القرآن والاهتداء به . وبما ورد في السنة من بيانه . والاكتفاء بعبادتها وأذكارها ، والاستغناء بهما عن كل ما عداها من غير غلو ولا تعصب ولا تكاف لما لا يسهل المواظبة عليه . والتفرغ بعد ذلك الى القيام بفروض الكفايات من الدفاع عن الاسلام وتعزيزه . ودفع الاذى والاستعباد والظلم عن أهله ، وإعزاز الامة بالقوة والثروة بالطرق المشروعة المبينة على الفنون الصحيحة والنظام . وانفاقها في سبيل الله ، فهذا أفضل من تلك الاوراد التي لم تبلغ أن تكون من نوافل العبادات على ما فيها من البدع والضلالات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله تعالى ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً ﴾ دين يتخاذ الرؤساء أرباباً من دون الله تعالى ، والربوبية تستلزم الألوهية بالذات . اذ الرب هو الذي يجب أن يعبد وحده . واتخذ النصارى المسيح رباً وإلهاً . والحال انهم ما أمروا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام فيما جاء به عن الله تعالى الا أن يعبدوا ويطيعوا في الدين الهاً واحداً بما شرعه هو لهم وهو ربهم ورب كل شيء ومليكه (لا إله الا هو) هي تعليل للأمر بالعبادة له وحده بانه لا وجود لغيره في حكم الشرع ، ولا في نظر العقل ، وانما اتخذ المشركون آلهة من دونه بمحض الهوى والجهل ، اذ ظن هؤلاء الجاهلون ان لبعض المخلوقات من السلطان النبي والقدرة على النفع والضرر من طريق الاسباب المسخرة للخلق مثل ما لله أما بالذات أو بالواسطة عنده

تعالى والشفاعة لديه ، وهي الشفاعة الشريكة المنفية بنصوص القرآن ﴿سبحانه عما يشركون﴾ أى تنزيهه عن شركهم فى الوهيته بدعاء غيره معه أو من دونه ؛ وفى ربوبيته بطاعة الرؤساء فى التشريع الدينى بدون اذنه انتهى .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى المسكى وفقه الله تعالى لما فيه رضاه ، وانما كثرت النقل وطولت الكلام فى هذه المسألة لكونها مهمة جداً ، ولابتلاء أكثر الناس بهذه الورطة ، فوضحت وشرحت وبينت ما استطعت وما توفىنى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل والنصير .

تكملة . نذكر هنا ما يخص ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالكين فى منازل إياك نعبد وإياك نستعين قال ان فائحة الكتاب تتضمن المطالب العالية . والرد على جميع طوائف أهل الضلال والبدع ، وبنيت هذه السورة على الالهية . والربوبية والرحمة ، فإياك نعبد مبنى على الهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية الى صراط مستقيم بصفة الرحمة ، وما يعبد به تعالى لا يكون الا على ما يحبه ويرضاه وعبادته هي شكره وحبه وخشيته . فطرى ومعقول للعقول السليمة لكن طريق التعبد وما يعبد به لا سبيل الى معرفته الا برسله ؛ وفى هذا بيان ان ارسال الرسل أمر مستقر فى العقول ؛ يستحيل تعطيل العالم عنه كما يستحيل تعطيله عن الصانع ، فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل ولم يؤمن به ولهذا جمل سبحانه الكفر برسله كفراً به .

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة ، وهي الموصلة إلى طريق الجنة . فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتبه هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه ، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله تعالى لعباده في هذه الدار . يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط . فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كاطرف ومنهم من يمر كالريح ؛ ومنهم من يمر كاشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ؛ ومنهم من يمشى مشياً ، ومنهم من يحبوا حبواً . ومنهم المخدوش المسد ، ومنهم المكدوس في النار . فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حدو القذة بالقذة جزاءً وفقاً ﴿ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فإنها الكلايب التي يجنبني ذاك الصراط ، نخطفه وتعوقه عن المرور عليه . فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

والله تعالى ذكر الصراط المستقيم منفرداً معرفاً تعريفين تعريفاً باللام وتعريفاً بالاضافة ، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه وأنه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال : فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ فوحد لفظ الصراط وسبيله ، وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن

مسمود رضى الله تعالى عنه خط لئارسول الله ﷺ خطاً وقال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال « هذه سبيل وعن كل سبيل شيطان يدعو اليه » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل اليه أحد الا من هذه الطريقة . ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب . فالطرق عليهم مسدودة والابواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد . فانه متصل بالله موصل إلى الله . قال الله تعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ أى صراط موصل إلى .

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمراً كثر الناس نا كيون عنه ، مرید لسلوك طريق مرافقه فيها فى غاية العزة ، والتفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الانس بالرفيق . نبه الله سبحانه على الرفيق فى هذه الطريق . وانهم هم الذين انعم الله عليهم من النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فاضاف الصراط إلى الرفقاء السالكين له ، وهم الذين انعم الله عليهم ايزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشته تفرد من أهل زمانه وبنى جنسه . وليعلم أن رفيقه فى هذا الصراط هم الذين انعم الله عليهم ، فلا يكثر بخالفة النا كيين عنه له . فانهم هم الاقلون قدراً ، وان كانوا الا كثرين عدداً . كما قال بعض السلف عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، واياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين وكلما استوحشت فى تفردك فانظر

إلى الرفيق السابق وأحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك .

وقد ضربت لك مثالين فليكونا منك على بال . المثال الأول : رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الانس فالتقى عليه كلاماً يؤذيه فوقف فرد عليه وتماسكاً فربما كان شيطان الانس أقوى منه فقهر ومنعه عن الوصول إلى المسجد حتى فاتته الصلاة . وربما كان الرجل أقوى من ذلك الشيطان ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول وكال ادراك الجماعة . فان التفت إليه اطعمه في نفسه وربما فترت عزيمته . فان كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجزم بقدر التفاته أو أكثر . فان اعرض عنه واشتغل بما هو بصدده وخاف فوت الصلاة أو الوقت لم يبلغ عدوه منه ما يشاء . (الثاني) الظي أشد سعيًا من الكلب ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه . والقصد أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد . ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه اهدى الفوائد في دعاء القنوت ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت ﴾ أي ادخلي في هذه الزمرة واجعلني رفيقاً لهم ومعهم . والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه واحسانه إلى من انعم عليه بالهداية . أي قد أنعمت بالهداية علي من هديت . وكان ذلك نعمة منك ؛ فأجعل لي نصيباً من هذه النعمة ؛ واجعلني واحداً من هؤلاء المنعم عليهم ، فهو توسل إلى الله

بإحسانه . والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكریم ، تصدق علىّ في جملة من تصدقت عليه وعلمني في جملة من علمته ؛ واحسن إلى في جملة من شملتة بإحسانك .

ولما كان سؤال الهداية الى الصراط المستقيم اجل المطالب ، ونيله أشرف المواهب ، علم الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتجيده . ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم . فهاتان وسيلتان الى مطلوبهم توسل اليه باسمائه وصفاته ، وتوسل اليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الاعظم الذين رواهما ابن حبان في صحيحه والامام احمد والترمذي — احدهما — حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال سمع النبي ﷺ رجلا يدعو ويقول « اللهم اني أسألك باني أشهد أنك الله الذي لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » فقال والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » قال الترمذي حديث صحيح .

فهذا توسل الى الله بتوحيده وشهادة الداعي له بالوحدانية وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد . وهو كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها العالم الذي كل علمه ؛ القادر الذي كملت قدرته ، والسيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السوود وقال سعيد بن جبیر رضي الله تعالى عنه هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله . وينفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله ﴿ ولم يكن له كفوا احد ﴾ وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل

بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم . والثاني حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو « اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم » . فقال أقدس أسأل الله باسمه الأعظم ، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته ، وقد جمعت الفاتحة الوسياتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده ؛ ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسياتين ؛ فلذا عني به حقيق بالإجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل ، رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبىون حق والساعة حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خضعت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت الهى لا إله إلا أنت . فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وعبوديته له ثم سأله المغفرة

والفاتحة مشتملة على شفائين . شفاء القلوب وشفاء الأبدان فاما اشتغالها على شفاء القلوب فانها اشتملت عليه أتم اشتغال ، فان مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصليين ؛ فساد العلم وفساد القصد . ويترتب عليها دا أن

قاتلان، وهما الضلال والغضب فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد وهذان المرضان هما ملاك امراض القلوب جميعها ، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال ، ولهذا كان سؤال هذه الهداية افرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة لشدة ضرورته وفاقته الى الهداية المطلوبة ، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه، والتحقيق بإياك نعبد وإياك نستعين علما ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد فان فساد القصد . يتعلق بالغايات والوسائل فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوصل اليها بأنواع الوسائل الموصل اليها كان كلانوعى قصده فاسداً. وهذا أن كل من كان غاية مطلوبة غير الله وعبوديته من اشركين ومتبعين الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها وأصحاب الرياسات الذين متبعين لاقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو باطل ، فاذا جاء الحق معارضا في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بأرجلهم ، فان عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل؛ فان عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق اخرى ، وهم مستعدون لدفعه حسب الامكان ، فيالهم من خسارة .

وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأعلى ؛ ولكن لم يتوصل اليه بالوسيلة الموصلة اليه ، بل توصل اليه بوسيلة ظنها موصلة اليه ، وهي من أعظم القواطع عنه ، فخاله أيضاً كحل هذا وكلاهما فاسد القصد ، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فان هذا الداء مركب من ستة اجزاء (١) عبودية الله لا

لغيره (٢) بأمره وشرعه (٣) لا بالهوى (٤) ولا بأراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم (٥) والاستمانة على عبوديته به (٦) لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره ، فهذه هي أجزاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فاذا ركبها الطبيب اللطيف العالم بالمرض واستعملها المريض حصل بها الشفاء التام ، وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من اجزائها .

ثم ان القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يداركهما ترميا به إلى التالف ولا بد : وهما الرياء والكبر ، فدواء الرياء بإياك نعبد ، وداء الكبر بإياك نستعين ، فاذا عوفي من مرض الرياء بإياك نعبد ، ومن مرض الكبر والمعجب بإياك نستعين ، ومن مرض الضلال والجهل باهدنا الصراط المستقيم ، عوفي من امراضه وأسقامه ، ورفل في اتواب العافية وتمت عليه النعمة ، وكان من المنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ؛ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ، والضالين وهم أهل فساد العلم الذين حملوا الحق ولم يعرفوه ، وحق لسورة تشتمل على هذين الدوائين والشفائين أن يستشفى بها من كل مرض ، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفائين كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى ؛ كما سنبينه ، فلا شيء أشنى منها للقلوب التي عقلت عن الله وكلامه وفهمت عنه فهما خاصاً ، وهذه السورة تبين الرد على جميع أهل البدع والضلال بأوضح البيان وأحسن الطرق . وأما تضمنها لشفاء الأبدان فنذكر منه ما جاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة ، وأما ما دلت عليه السنة في الصحيح

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ مروا بحى من العرب فلم يقرؤم ولم يضيفوم فلدغ سيد الحى فأنوم فقالوا هل عندكم من رقية ، أو هل فيكم من راق ، فقالوا نعم ، ولكنكم لم تقرونا فلا تفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فصالحوا على قطع من النعم ، فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن لم يكن به قلبه ، فقلنا لاتعملوا حتى نأتى النبي ﷺ فأتيناه فذكرنا له ذلك ، فقال ما يدريك انها رقية ، كلوا واضربوا لى بسهم ، فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللدغ بقراءة الفاتحة عليه فاغنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفاؤه ما لم يبلغه الدواء ، مع كون هذا المحل غير قابل اما لكون هذا الحى غير مسلمين ؛ أو اهل بخل ولؤم ، فكيف إذا كان المحل قابلاً .

وأما شهادة قواعد الطب بذلك فاعلم ان اللدغة تكون من ذوات الحمات والسموم ، وهى ذوات الانفس الخبيثة التى تتكيف بكيفية غضبية تثير فيها سمية نارية يحصل بها اللدغ ؛ وهى متفاوتة بحسب تفاوت خبث تلك النفوس وقوتها وكيفيةها فهذه النفوس الغضبية الخبيثة إذا اتصلت بالمحل القابل أثرت فيه ؛ ومنها ما يؤثر فى المحل بمجرد مقاباته له وان لم يمسه ، فمنها ما يطمس البصر ويسقط الحبل ، ومن هذا نظر المائن ، فانه إذا وقع بصره على المعين حدثت فى نفسه كيفية سمية أثرت فى المعين بحسب عدم استعداده ؛ وكونه أعزل من السلاح فاذا قابلت النفس الزاكية المملووية الشريفة التى فيها غضب

وحمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمية ؛ وتكيفت بحقائق الفاتحة
واسرارها ومعانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله
وذكر أصول اسمائه الحسنى دفعت هذه النفس بما تكيفت به من ذلك
أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية خصل البرء ، فإن مبنى الشفاء والبرء ،
على دفع الضد بضد ، وحفظ الشئ بشئ ، فالصحة تحفظ بالمثل ،
والمرض بدفع بال ضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً
وأصراً ، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة وقبول من الطبيعة
المنفعلة فلو لم تنفعل نفس المندوخ لقبول الرقية ولم تقو نفس الراقى
على التأثير لم يحصل البرء ، فهنا أمور ثلاثة ؛ موافقة الدواء الداء ،
وبدل الطبيب له وقبول طبيعة الليل ، فتي تخلف واحد منها لم يحصل
الشفاء ، وإذا اجتمعت حصل ولا بد باذن الله ؛ ومن عرف هذا كما
ينبغي تبين له أسباب الرقى ، وميز بين النافع منها وغيره ، ورقى الداء
بما يناسبه من الرقى ، وتبين له أن الرقية يراقبها وقبول المحل ، كما أن
السيف يضاربه مع قبول المحل للاقطع والله تعالى أعلم .

وأما شهادة التجربة بذلك فهي أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل
زمان ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسى وفي غيرى أموراً عجيبة ،
والأمر أعظم من ذلك ، ولكن بحسب قوة الايمان وصحة اليقين والله
المستعان .

قال الجامع المعصوم عفى الله تعالى عنه كما جربت انا حينما حبستنى
البلاشفة اللادينية ، وحكمت على بالاعدام فنجانى الله تعالى بفضله ،

كما ذكرت نبذة منه في مختصر ترجمة حالي الذي كنت كتبته مقدمة لتفسير أم القرآن هذا ؛ فليراجع الطالب فانه فيه الكفاية مع عبر كثيرة ، وقد طبع في مصر عام (١٣٥٦) .

وأما اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الامة ، وهذا يعلم بطريقتين .
أما الجمل فهو أن الصراط المستقيم متضمن لمعرفة الحق وإثارة وتقديته على غيره ومحبة والانقياد له والدعوة اليه وجهاد أعدائه بحسب الامكان ، والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وما جاء بهنما وعملا في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه وتوحيده وأمره ونهيه ووعدته ووعيدته . وفي حقيقة الايمان التي هي منازل السائرين الى الله تعالى . وكل ذلك مسلم الى رسول الله ﷺ دون آراء الرجال ، أو ضاعهم وأفكارهم وإصطلاحاتهم . فكل علم أو عمل أو حقيقة أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته وعاليه السكة المحمدية بحيث يكون من ضرب المدينة فهو من الصراط المستقيم ، وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل النصب والضلال .

وأما المفصل فمعرفة المذاهب الباطلة ، وإشتمال كلمات الفاتحة على إبطالها فنقول الناس قسمان مقر بالحق تعالى وجاحدله . فتضمن الفاتحة لاثبات الخالق تعالى والرد على من جعده بآيات ربوبيته ته لى العالمين وتأمل حال العالم كله علوية وسفلية بجميع اجزائه تجده شاهداً بآيات صانعه وفاطره ومليكه ، فانكار صانعه وجعده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم بوجود نفسه وجعده لا فرق بينهما .

والمتبتون للخالق تعالى نوعان ، أهل توحيد وأهل اشراك ، وأهل
الاشراك نوعان أحدهما أهل الاشراك في ربوبيته وألهيته كالجوس ومن
ضاهاهم من القدرية ، فانهم يثبتون مع الله خالقاً آخر وإن لم يقولوا انه
مكافئ له ، فربوبيته العالم كله تبطل أقوال هؤلاء كلهم . لانها تقتضى
ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال .
وقد قال تعالى ﴿ وما تشاؤن الا أن يشاء الله ﴾ وفى قوله ﴿ وإياك
نستعين ﴾ رد ظاهر عليهم اذ استعانتهم به انما تكون عن شئ هو بيده
وتحت قدرته ومشيتته ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ أيضاً رد عليهم فان
الهداية هي المستلزمة لحصول الاهتداء . ونولا انها بيده تعالى دونهم لما
سألوه إياها . وهي المتضمنة للارشاد والبيان والتوفيق والاقدار وجعلهم
مهمتين . وايس مطلوبهم مجرد البيان والدلالة كما ظنته القدرية . لان
هذا القدر وحده لا يوجب الهدى ، ولا يسجى من الردى ، وهو حاصل
لغيرهم من الكفار الذين استحبوا العمى على الهدى وأشتروا الضلالة
بالهدى .

والنوع الثانى أهل الاشراك به فى ألهيته ، وهم المقرون بانه وحده رب
كل شئ ، ومليكه وخالقه ، وأنه ربهم ورب آبائهم الاولين ، ورب السموات
السبع ورب العرش العظيم ، وهم مع هذا يعبدون غيره ويعدلون به سواء
فى المحبة والطاعة والتعظيم ، وهم الذين اتخذوا من دون الله انداداً فهمؤلا لم
يوقوا ﴿ إياك نعبد ﴾ حقه . وان كان لهم نصيب من نعبدك ؛ ولكن
ليس لهم نصيب من ﴿ إياك نعبد ﴾ المتضمن معنى لا نعبد الا اياك حباً .

وخوفاً ورجاء و طاعة وتعظيماً. فإياك نعبد لتحقيق لهذا التوحيد، وإبطال للشرك في الألوهية. كما أن إياك نستعين لتحقيق لتوحيد الربوبية وإبطال للشرك به. وكذلك قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الدين أنعمت عليهم﴾ فإنهم أهل التوحيد، وهم أهل تحقيق ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وأهل الاشتراك هم أهل الغضب والضلال.

واعلم أن الله تعالى قسم الناس الى ثلاثة أقسام: منعم عليهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه، ومفضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، وضالون وهم الذين أخطأوا وجهلوا. فكل من كان اعرف للحق واتبع له كان أولى بالصراط المستقيم. ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أولى بهذه الصفة من الروافض ومن شاكلهم من أهل البدع. فانه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم جاهلوا الحق وعرفه الروافض ونحوم. ثم انا رأينا آثار الفريقين ندل على أهل الحق منهما فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد الاسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى. فآثارهم ندل على انهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة والابتدعة بالعكس في كل زمان ومكان. فانه قط ماقام للمسلمين عدو من غيرهم الا كانوا اعوانهم على الاسلام. وكم جروا على الاسلام وأهله من بلية، فأى الفريقين احق بالصراط المستقيم، وأيهما احق بالغضب والضلال ان كنتم تعلمون. ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بابي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. وهو كما

فسروه فانه صراطهم الذي كانوا عليه . وهو عين صراط نبيهم ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، وغضب على أعدائهم وحكم لهم بالضلال .

وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين : اياك نعبد واياك نستعين ، وعليها مدار العبودية والتوحيد : والعبادة تجمع أصاين غاية الحب بغاية الدل والخضوع . قلت وانما العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بان المعبود سلطة غيبية فوق الاسباب ، يقدر بها على النفع والضرر . فكل دعاء وثناء أو تعظيم يصاحبه هذا الاعتقاد والشعور فهو عبادة . وشر كوا العرب كانوا يقولون بكونه تعالى رباً للعالمين وخالقاً لهم . وهذا هو غاية توحيدهم وهو توحيد الربوبية . ولم يخرجوا به عن الشرك كما قال الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ الآيات . ولهذا يحتاج عليهم به على توحيد آلهيته . وانه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه .

والاستعانة تجمع أصاين . الثقة بالله والاعتماد عليه ، والتوكل معنى يلتئم من اصليين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وهذا ان الاصلان وهو التوكل والعبادة قد ذكر في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا احدها (الثاني) قول شعيب عليه السلام ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ﴾ (الثالث) قوله تعالى ﴿ والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ الرابع قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ﴾ الخامس قوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتلياً رب المشرق

والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلاً ﴿ السادس قوله تعالى ﴿ قل هو
ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه أنيب ﴾

وتقديم العبادة على الاستعانة في المآخذه من باب تقديم الغايات على
الوسائل اذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة اليها
ولان إياك نعبد متعلق بالوحيته واسمه الله ، وإياك نستعين متعلق
بربوبيته واسمه الرب . فقدم إياك نعبد على إياك نستعين كما تقدم اسم
الله على الرب في أول السورة .

اذا عرف هذا فالناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة
اربعة اقسام أحلها وأفضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها . فعبادة
الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان
من أفضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه
النبي ﷺ لحبه معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال يا معاذ اني لاحبك
فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك . فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته وافضل المواهب
اسعافه بهذا المطلوب وجميع الادعية الماثورة مدارها على هذا وعلى دفع
ما يضاده . وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها في ﴿ إياك نعبد وإياك
نستعين ﴾ ومقابل هؤلاء القسم الثاني وهم الممرضون عن عبادته والاستعانة
به فلا عبادة ولا استعانة بل ان سألهم احدم واستعان به فعلى حظوظه
وشهواته لا على مرضات ربه وحقوقه فانه سبحانه يسأله من في السموات
والارض ، يسأله أوليائه وأعداؤه وعنه هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه

عدوه ابليس ومع هذا فسأله حاجة فاعطاه إياها وامتعه بها ولكن لما لم يكن عوناً له على مرضاه كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ولم يكن عوناً على طاعته كان مبعداً له عن مرضاه قاطعاً له عنه ولا بد وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن اجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وهي فيها هلاكه وشقوته ويكون قضائها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبتة له فيمنعه حماية وصيانة وحفظاً لا بخلاً وهذا انما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبتة ويمامله بلطفه فيظن يحبه أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضى حوائج غيره فيسبى ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمصوم من عصمه الله ولا يظن أن عطائه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه . ولا منعه كل ما يمنعه لهُوان عبده عليه ، ولكن عطائه ومنعه ابتلاء وامتحان يتحج بهما عباده ، قال الله تعالى ﴿ فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرم من ، واما اذا ما ابتلاه فقد ربه رزقه فيقول ربى أهاتنى كلاً ﴾ أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمه ، وما ذاك لكرامته على ؛ ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ، أيشكرنى فاعطيه فوق ذلك . أم يكفرنى فاسلبه إياه واخول فيه غيره ، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجملته بقدر لا يفضل عنه فنلك من هوانه على ، ولكنه ابتلاء ومحنة وامتحان منى له أيعبر فاعطيه اضعاف اضعاف مافاته من سعة الرزق

أم يتسخط فيكون حظه السخط ، فرد الله سبحانه على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة ؛ فقال لم ابتل عبيدى بالفنى لكرامته على ، ولم ابتليه بالفقر لهوانه على ، فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فانه يوسع على الكافر لالكرامته ، ويقتصر على المؤمن لالاهانة له ، وانما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالاعراض عنه ومعصيته ، فله الحمد على هذا وهذا وهو الفنى الحميد ، فمادت سعادة الدنيا والآخرة الى ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾

والعبد لا يكون متحققا باياك نعبد الا باصلين عظيمين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ والثانى الاخلاص للمعبود ، فهذا تحقيق اياك نعبد والناس منقسمون بحسب هذين الاصلين أيضا الى أربعة اقسام أحدها أهل الاخلاص للمعبود والمتابعة وهم أهل اياك نعبد حقيقة ، فاعمالهم كلها لله وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهر أو باطن الوجه الله وحده ؛ لا يريدون بذلك جزاء من الناس ولا شكورا ولا ابتغاء الجاه عندهم ؛ ولا طلب المحمدة والمنزلة فى قلوبهم ؛ ولا هربا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة اصحاب القبور ، لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؛ فالعمل لاجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجاؤهم للنفع والضرر منهم . لا يكون من عارف بهم بالبتة ، بل من جاهل بشأهم وجاهل بربه فمن عرف الناس انزلهم منازلهم ومن عرف الله اخلص له اعماله واقواله وعطاءه ومنعه وحيه وبغضه ؛

ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهنم بالله وجهه بالخلق ، والا فاذا عرف الله وعرف الناس أثر معاملة الله على معاملتهم ؛ ويكون أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه ويرضاه . وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواء ؛ وهو الذي يلي عبادته بالموت والحياة لأجله . قال الله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى هو إخلاصه وأصوبه . قالوا يا أبا علي ما إخلاصه وأصوبه . قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ؛ وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل . حتى يكون صواباً خالصاً وإخلاصاً ما كان لله والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور في قوله تعالى ﴿ من كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴿ فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره ؛ وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وكل عمل بلا إقتداء فانه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً ، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء .

والثاني من لا إخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقاً للشرع ولا هو خالصاً للمعبود ، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء هم شرار الخلق وأمقهم إلى الله عز وجل ؛ ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ﴾

يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدا
باتباع السنة والاخلاص . وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين
الى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ؛ فانهم يرتكبون البدع
والضلالات والرياء والسمعة ، ويحبون أن يحمدا بما يفعلوه من الاتباع
والاخلاص والعلم ، فهم أهل الضلال والغضب ،

والثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال
العباد والمنتسبين الى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بنير أمره
واعتقده قربة الى الله فمذهبه حاله ، كمن يظن ان سماع المساء والتصدية
قربة ، وان الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ؛ وان مواصلة صوم
النهارين قربة ، وأمثال ذلك

والرابع من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله كطاعات
المراثين ، و كالرجل يقاتل حمية ورياء وشجاعة ويحج ليقال ويقرأ القرآن
ليقال ، فهو لا ، أعمالهم أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير خالصة فلا
تقبل ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فكل احد لم
يؤمر الا بعبادة الله بما أمر ، والاخلاص له في العبادة ، وعم أهل ﴿ إياك
نعبد وإياك نستعين ﴾

واعلم ان الكفر الاكبر خمسة أقسام ، كفر تكذيب وكفر إباء
واستكبار مع الصديق . وكفر إعراض وكفر شك ، وكفر نفاق ،
فاما كفر التكذيب فهو إعتقاد كذب الرسل ، وهذا القسم قايل في
الكفار فان الله أيده رسلا وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم

ما أقام به الحجة وأزال بها المَعذرة قال الله تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وقال لرسوله ﷺ ﴿ فأنهم لا يكذبونك والذين الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ وان سعى هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح اذ هو تكذيب باللسان

وأما كفر الآباء والاستكبار فنحو كفر ابليس فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالانكار ، وإنما تلقاه بالآباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وانه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقل له آباء واستكباراً . وهو الغالب على كفر اعداء الرسل . كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ وقول الامم لرسولهم ﴿ ان أنتم الا بشر مثلنا ﴾ وقوله ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ وهو كفر اليهود ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وهو كفر أبي طالب أيضاً فانه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية وتمظيم آباءه ان يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر .

وأما كفر الاعراض فان يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدق ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصنى الى ما جاء به البتة . كما قال أحد بني ياليل للنبي ﷺ : والله أقول لك كلمة ، ان كنت صادقاً فانت أجل في عيني من ان أرد عليك ، وان كنت كاذباً فانت أحقر من أن اكلمك .

وأما كفر الشك فان لا يجزم بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك في أمره . وهذا لا يستمر شك الا اذا لزم نفسه الاعراض عن النظر في

آيات صدقه ﷺ جملة فلا يسممها ولا يلتفت اليها . وأما مع التفاته اليها ونظره فيها فانه لا يبق معه شك ، لانها مستلزمة للصدق ولا سيما مجموعها فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار .

وأما كفر النفاق فهو ان يظهر بلسانه الايمان وينطوى بقلبه على التكذيب ، نعوذ بالله منه ومن جميع انواع الشرك والكفر والضلال . وكفر الجحود نوعان : كفر مطلق عام ، ومقيد خاص ، فالمطلق ان يجحد جملة ما انزل الله وارساله الرسل ، والخاص المقيد ان يجحد فرضا من فروض الاسلام ، أو محرما من محرماته ، أو صفة وصف الله تعالى بها نفسه ، أو خبراً أخبر الله به ، عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه بفرض من الأغراض . وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبه كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأصرأهله ان يحرقوه ويذروه في الريح ، ومع هذا فما تلاقاه ان غفر الله له ورحمه يحمله ، اذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه لم يجحد قدرة الله على اعادته عناداً أو تكذيباً . وأما الشرك فنوعان : اكبر واصغر ، فالاكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لا الهتهم في النار ﴿ تالله ان كنا لفي ضلال مبين ﴾ ، اذ نسويكم برب العالمين ﴿ مع اقرارهم بان الله وحده هو خالق كل شيء ، وربهم ومليكم ﴾ . وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحي ولا تميت ، وانما كانت هذه التسوية في الهبة والتمظيم والمباداة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون

معبوديتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ؛ ويستبشرون بذكرهم أعظم من محبة استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، وينضبون لانتقص معبوديتهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما ينضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ؛ وإذا انتهكت حرمة من حرمان آلهتهم ومعبوديتهم غضبوا غضب الليث إذا حرد . وإذا انتهكت حرمان الله لم يغضبوا لها ؛ وقد شاهدنا غير مرة جهرة ، و ترى أحدهم قد اتخذ ذكر الهه ومعبوده من دون الله على لسانه أن قام وأن قعد وأن عثر وأن مرض وأن استوحش فذكر معبوده واله من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه ؛ وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه ؛ وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا هو القدر الذي قام بقلوبهم ؛ وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر . وغيرهم اتخذوها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ﴾ والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ؛ وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضى قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ؛ والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذن لمن وحده

والتي نفاها الله الشفاعة الشريكية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لا بى هريرة رضى الله تعالى عنه وقد سأله ، من أسمع الناس بشفاعتك يا رسول الله . قال أسمع الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم ومواليتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، واخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ؛ فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذ ولياً أو شفيعاً انه يشفع له ويتفعمه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده أحد الا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضى قوله وعمله ؛ كما قال الله تعالى في الفصل الاول ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه ﴾ وفي الفصل الثاني ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ وبقي فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ؛ وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العالية رحمه الله تعالى كلمتان يسأل عنها الاولون والآخرون . ماذا كنتم تعملون وماذا أجبتكم المرسلين فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاضها وعقلها .

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول لا نحبهم كحب

الله ولا نسويهم بالله ثم يغضب لهم ولحرمانهم اذا انتهكت اعظم مما يغضبه الله ويستبشر بذكرهم ويتبشش به لاسيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة الالهامات وكشف الكربات وقضاء الحاجات وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموا الالة . واذا ذكرت الله وحده وجدت توحيده لحقته وحشة وضيق وخرج قلت كما أخبر الله تعالى عن شأنهم في سورة الرعد واذا ذكر الله وحده استمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ﴿ فرماك بآنك تنقص الالهة التي له وربما عاداك رأينا والله منهم هذا عيانا ، ورمونا بعداوتهم وبغوا لنا الفوائل (قال المصومى محمد الله ان كان فى المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله لنا اسوة . فقد رأينا ما رأينا من الابطلى) وهؤلاء يقولون تنقصتم مشائخنا وابواب حوائجنا الى الله وقالت النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم . ان المسيح عبد الله قالوا تنقصت المسيح وعبته وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أو نانا تميدوت مسجد واصر بزيارتها على الوجه المشروع قالوا تنقصت اصحابها فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم وقد قطع الله تعالى الاسباب التى تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله أولياء أو شفعاء فهو كمثل المنكبوت اتخذت بيتاً وان أو هن البيوت ليبت المنكبوت ﴿ فقال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيها من شرك وإماله ظنهم من ظهير

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴿ فالشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا بمن فيه خصلة من هذه الاربعة اما مالك لما يريد عابده منه . فان لم يكن مالكا لكان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفي سبعانه المراتب الاربعة نفيا مترتبا متنقلا من الاعلى الى ما دونه . فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي بظنها الشرك وأثبت شفاعته لا نصيب فيها للشرك وهي الشفاعة باذنه فكفي بهذه الآية نورا وبرها ما ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده ان عقلمها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمرك ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم او دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لانه لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ؛ ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه فينقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكرا أو المنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويدع بتجريد

متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان .

واما الشرك الاصغر فكثير ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ، ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وانا بالله وبك ، ومالى إلا الله وانت ، وانا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا ؛ وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده ، ومن انواع الشرك سجود المريد للشيخ فانه شرك من الساجد والمسجود له ؛ ومن انواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة ؛ وهذا سجود فى اللغة وبه فسر قوله تعالى ﴿ ادخلوا الباب سجدا ﴾ اى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الارض ، ومن انواعه حلق الرأس للشيخ فانه تعبد لغير الله ؛ ولا يتعبد بحلق الرأس إلا فى الذنك لله خاصة ، ومن انواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم فان التوبة لانكون إلا لله كالصلاة والصيام والحج والذنك فهي خالص حق الله ، وفى المسند ان النبى ﷺ أتى بأسير فقال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب إلى محمد . فقال النبى ﷺ عرف الحق لاهله ، فالتوبة عبادة لا تنبغى إلا لله كالسجود والصيام ، ومن انواعه النذر لغير الله فانه شرك ؛ وهو أعظم من الحلف بغير الله ؛ ومن انواعه الخوف من غير الله والتموكل على غير الله والعمل لغير الله والانابة والخضوع والذل لغير الله ؛ وابتغاء الرزق من عند غيره .

ومن انواعه طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه

اليهم ، وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده ؛ فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا بأذنه ، والله لم يجعل استعانته سؤالا سبباً لأذنه ، إنما السبب لأذنه كمال التوحيد ، بخلاف هذا المشرك بسبب يمنع الاذن . وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن تترحم عليهم ونسأل العافية والمغفرة فمكس المشركون هذا وزارهم زيارة عبادة ، يستقضاء الخوائج ، الاستعانة بهم . جعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم .

وأما التفاق فالداء العضال الباطني الذي يكون الرجل ممثلاً منه وهو لا يشعر ، فانه أمر خفي على الناس . وكثيراً ما يخفى على من قابس به فيزعم انه مصلح وهو مفسد . وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الاسفل ، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو في الباطن منسلخ من ذلك مكذب به ، وقد هتك الله تعالى أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لمباده أمورهم ليكونوا عنها وعن أهلها على حذر . وذكر

طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين
فذكر في المؤمنين أربع آيات ، وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث
عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم . وشدة فتنهم على الاسلام
وأهله . فان بلية الاسلام بهم شديدة جداً . فانهم منسوبون اليه ، الى
نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب
يظن الجاهل انه علم واصلاح ، وهو غاية الجهل والافساد انتهى ملخصاً
ما ذكره ابن القيم في منازل السائرين .

قال الجامع المعصومي حفظه الله تعالى ورزقه حسن الخاتمة ، انما
أكثرنا الكلام في شأن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ لانه أهم ما بحث
به امرسلون عموماً . وسيدنا محمد ﷺ خصوصاً . فيه قد زلت الافكار
وأشتبه على الاكثر حقيقته ، لهذا زاغوا وضاعوا فضلوا وأضلوا ولذا أتينا
بتأستطعننا من البيان والتوفيق والهداية من الله الوهاب . فياربنا أرنا
الحق حقاً وارزقنا اتباعه ؛ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه ، فإذلك
أردف الله تعالى ذلك بالامر بطلب الهداية فها نحن نطلب من الله تعالى الهداية
انى الصراط المستقيم ﴿ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قال الله تعالى ﴿ اهتدوا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ أى انه تعالى قد وضع لنا صراطاً سيبيته وبوضحه ويحدده ،
وتكون السعادة في الاستقامة عليه ، والشقاء في الانحراف عنه . وهذه

الاستقامة عليه هي روح العبادة . ويشبه هذا قوله تعالى ﴿ والعصر ان
الانسان لفي خسر ﴾ ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر ﴿ فالتواصى بالحق وبالصبر هو كمال العبادة بعد التوحيد .
والهداية لغة الدلالة بانفظ على ما يوصل الى المطلوب وقد منح الله
تعالى الانسان أربع هدايات يتوصل بها الى سعادته . اولها : هداية
الوجدان الطبيعي والالهام الفطري ، وتكون الاطفال منذ ولادتهم ،
فان الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالباً بفطرتة
وعند ما يصل إلى الثدي فيه يابهم امتصاصه ، الثانية هداية الحواس والمشاعر
وهي متممة للهداية الاولى في الحياة الحيوانية ، ويشارك الانسان فيها
الحيوان الاعجم ، بل هو فيها اكمل من الانسان ، فان حواس الحيوان
والهامه يكملان له بعد ولادته بقليل ، بخلاف الانسان فان ذلك يكمل فيه
بالتدريج في زمن غير قصير . الا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات
إدراك الاصوات والمرئيات . ثم بعد مدة يبصر ، ولكنه لقصر نظره
يجعل تحديد المسافات فيحسب البعيد قريباً فيمد يديه اليه ليتناوله ، وان
كان قمر السماء ، ولا يزال يغلط حسه حتى في طور الكمال . الثالثة هداية
العقل ، خلق الانسان ليعيش مجتمعا ولم يعط من الالهام والوجدان
ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل
فان الله قد منحها من الالهام ما يكفيها لان تعيش مجتمعة يؤدي كل واحد
منها وظيفة العمل لجميعها ، ويؤدي الجميع وظيفة العمل الواحد وبذلك
قلمت حياة انواعها كما هو مشاهد . أما الانسان فلم يكن من خاصة نوعه

أن يتوفر له مثل ذلك الالهام . فبإيه الله تعالى هداية هي أعلى من هداية
الحس والالهام ؛ وهي العقل الذي يصح غلط الحواس والمشاعر ويبين
أسبابه . وذلك أن البصر يرى الكبير على البعيد صغيراً . ويرى العود
المستقيم في الماء معوجاً . والصفراوي يذوق الحلومراً ، والعقل هو الذي
يحكم بفساد هذه الادراك .

الرابعة هداية الدين ، قد يغلط العقل في ادراكه كما تغلط الحواس
وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية
والنوعية ، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة
لشهواته ولذاته حتى تورده موارد الهلكة . فاذا وقعت المشاعر في مزلق
الزلل واسترقت الحظوظ والاهواء العقل فصار يستنبط لها ضروب
الحيل ، فكيف الإنسان مع ذلك أن يعيش سعيداً ، وهذه الحظوظ
والاهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده ، وما هو بمأش وحده ،
وكثيراً ما تتطاول به إلى ما في يد غيره ، فهي لهذا تقتضي أن يعدو بعض
أفرادهم على بعض فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون ويتجادلون
ويتواثبون ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضاً . ولا تنفي عنهم
تلك الهدايات شيئاً فاحتاجوا إلى هداية ترشدتهم في ظلمات أهوائهم إذا هي
غلبت على عقولهم . وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها . ويكفوا أيديهم
عما وراءها . ثم انما أودع في غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة
على الأكوان ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبب لانها هي الواهبة كل

موجود ما به قوام وجوده . وبإزالة حياة وراء هذه الحياة المحدودة . فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذي خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها . وما فيه سمادته في تلك الحياة الثانية . كلا إنه في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة . الدين . وقد منحه الله تعالى إياه .

أشار القرآن إلى أنواع الهداية التي وهبها الله تعالى للإنسان في آيات كثيرة . منها قوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي طريق السعادة والشقاوة والخير والشر . وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين . ومنها قوله تعالى ﴿ وأما نمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى ﴾ أي دللناهم على طريق الخير والشر فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى ، وهنا هداية أخرى وهي المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم اقتده ﴾ ليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره فالهداية في الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رؤس الطريقين : المهلك والمنجى مع بيان ما يؤذى كل منهما . وهي ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر . وأما هذه الهداية فهي أخص من تلك . والمراد بها إعادتهم وتوفيقهم للسير في طريق الخير والنجاة مع الدلالة : وهي لم تكن ممنوحة لكل أحد كالحواس والعقل وشرع الدين :

ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين . وفي استعمال الحواس والعقل كما قدمنا كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة . فامرنا الله تعالى

بطلبها منه تعالى في قوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فعنى إهدنا الصراط المستقيم دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ وما كان هذا أول دعاء علمنا الله تعالى إياه إلا لان حاجتنا إليه أشد من حاجتنا الى كل شيء سواه

ويجيب عن التناقض الظاهري في قوله تعالى ﴿ وانك لنهدي الى صراط مستقيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ انك لنهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ فالهداية التي أثبتها للنبي ﷺ هي الدلالة على الخير والحق . والتي نفاهما عنه هي الثانية بمعنى الاعانة والتوفيق .

والصراط هو الطريق . والمستقيم هو ضد المعوج . وقد قالوا ان المراد بالصراط المستقيم الدين او الحق أو العدل والحدود ، ونحن نقول انه جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم . ولكن الشهوات تتلاعب ، فلهذا صرنا محتاجا أشد الاحتياج إلى العناية الالهية الخاصة لاجل الاستقامة ، ولهذا نبهنا الله عز وجل أن نلجأ اليه ونسأله الهداية ليكون عوناً لنا بنصرنا على أهوائنا وشهواتنا ، وأن تكون استعانتنا به في ذلك لا بسواه ، بعد أن نبذل ما نستطيع من الفكر والجهاد في معرفة ما أنزل إلينا من الشريعة والاحكام وأخذ أنفسنا بما نعلم من ذلك . كما في تفسير الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أم ما تستعين به ؛ فقال العبد ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ والهداية الدلالة بلطف ؛

والصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم عظماء كل ملة أى سماوية وأشرافها ، أو الذين أنعمت عليهم من الأمم وهم المسلمون ، وعمدته علوم الأخلاق ؛ العفة التى هى وسط بين الوقوع فى الشهوات والفسق والفجور ؛ وبين الجود والبخل والامساك والشح ، والشجاعة التى هى الوسط بين التهور والطيش والظلم وبين الجبن والخوف والحزن والجزع ، والحكمة هى الوسط بين الجهل والغباوة والبلاهة ؛ وبين المكر والخداع والاحتيال والطيش فى الآراء ، والعدل وهو المساواة بين هذه الأمور ، وفرع العلماء على هذه الأمور فروعا شتى تربو على المائة ، وكلها داخلية فى الصراط المستقيم وهو الوسط ، وما جاوز الوسط فاما إلى زيادة فهو التهور والطيش والتبذير وما أشبهها ، وأما إلى النقص كالجبن والبخل والخوف وما أشبهها ، والاسلام وسط فى كل ذلك ، أفاده الجوهري الطنطاوي عافاه الله .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير ، لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل » وهذا أكل أحوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المسلمين بقوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ لانه انجح للعاجة وانجح للإجابة ، ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل ، والهداية ههنا الارشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ إهدنا الصراط للمستقيم ﴾ فتضمن معنى الهمننا او وفقنا او

ارزقنا او اعطنا ﴿وهديناه النجدين﴾ أى يبداله الخير والشر، وقد تعدى
بإلى كقوله تعالى ﴿اجتنباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾ ﴿فاهدوم
إلى صراط الجحيم﴾ وذلك بمعنى الارشاد والدلالة ؛ وكذلك قوله تعالى
﴿انك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ وقد تعدى باللام كقول اهل
الجنة ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ أى وفقنا لهذا واجملنا له اهلا .

واما الصراط المستقيم فقد قال الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله
تعالى اجمت الامة من اهل التأويل جميعاً على ان الصراط المستقيم هو
الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ، وذلك فى لغة جميع العرب ، واختلفت
عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط ، وان كان يرجع
حاصلها الى شىء واحد . وهو المتابعة لله ولرسوله ، فروى انه كتاب الله ،
قال ابن ابى حاتم بسنده عن على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله ﷺ الصراط المستقيم كتاب الله ، وكذلك رواه ابن جرير ، وروى أحمد
والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعاً ﴿وهو حبل الله المتين . وهو
الذ كر الحكيم ؛ وهو الصراط المستقيم﴾ وقيل هو الاسلام ، قال الضحاك
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام . قل
يا محمد اهدنا الصراط المستقيم . يقول الهمنا الطريق الهادي وهو دين
الله الذى لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال ذاك الاسلام ؛ وعن ابن
مسعود وعن اناس من أصحاب الرسول ﷺ ﴿اهدنا الصراط المستقيم
قالوا هو الاسلام ، وقال جابر رضى الله تعالى عنه ﴿اهدنا الصراط

المستقيم ﴿ قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض وقال محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره ، وروى الامام احمد في مسنده بسنده عن النواس بن سيمان رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ؛ وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تموجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه ؛ فانك ان تفتحه تلجسه ، فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله ، اذك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم وهكذا رواه ابن ابى حاتم والترمذى وابن جرير والنسائي جميعا باسناد حسن صحيح والله اعلم .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الحق وهذا أشمل ، وعن ابى العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو النبي ﷺ وصاحبه من بعده وقال عاصم فذكرت ذلك للعنبر فقال صدق ابو العالية ونصح وكل هذه الاقوال صحيحة ، وهى متلازمة . فان من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ، ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، حكماها صحيحة يصدق بعضها بعضا ، والله الحمد .

وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار
والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك . وقال تعالى آمراً لعباده المؤمنين
أن يقولوا ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
إنك أنت الوهاب ﴾ وقد كان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ بهذه
الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرّاً . فعنى قوله
تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى استمر بنا عليه ولا تعدل بنا
إلى غيره .

قال الامام البغوى فى تفسيره ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ اهدنا
أرشدنا . وقال على وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنهما ثبتنا ، كما يقال
للقائم قم حتى أعود اليك . أى دم على ما أنت عليه . وهذا الدعاء من
المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت ، وبمعنى طلب مزيد الهداية
لأن اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنتهى . الخ .

وقال العلامة ناصر الدين اليبضاوى فى تفسيره : والهداية
دلالة بلطف ، وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصىها عد ، ولكنها
تنحصر فى اجناس مترتبة ، الأول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح
والفساد واليه اشار حيث قال ﴿ وهدينا النجدين ﴾ ﴿ واما ثمود فهديناهم
فاستعبوا العمى على الهدى ﴾ والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله ﴿ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا . وان هذا القرآن

يهدى لتي هي اقوم ﴿ الرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريمهم
الاشياء كما هي بالوحى والالهام وانعامات الصادقة وهذا قسم يختص
بذيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله ﴿ اولئك الذين هدى الله
فبدهام اقتده ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولكن
المتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له
من اختل احدى قوته الماولة والامالة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمدا ﴿ وغضب الله عليه ﴾ والمخل بالعقل جاهل
ضال لقوله تعالى ﴿ فاذا بعد الحق الا الضلال ﴾

وقال العلامة الراغب الاصفهاني في كتابه مفردات غريب القرآن
هداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه. الاول الهداية التى عم
يحنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى اعم منها
كل شىء بقدر فيه حسب احتماله كما قال ﴿ ربنا الذى اعطى كل شىء
خلقه ثم هدى ﴾ الثانى الهداية التى جعل للناس بدعائه ايامهم على السنة
الانبياء وانزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وجعلناهم
امة يهدون بامرنا ﴾ الثالث التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو
المعنى بقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ ومن يؤمن بالله يهد
قلبه ﴿ وان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم باياتهم. والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فهدى الله

الذين امنوا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴿ الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة المعنى بقوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ وهذه الهدايات الاربع مرتبة . فان من لم يحصل له الاولى لا يحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث الى قبلها . ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . ثم ينمكس فقد تحصل الاولى ولا يحصل له الثاني ولا الثالث . والانسان لا يقدر ان يهدي احداً الا بالدعاء وتعريف الطريق دون سائر انواع الهدايات والى الاى اشار بقوله تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم يهدون بامرنا . ولكل قوم هاد ﴾ اى داع والى سائر الهدايات اشار بقوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من احببت ﴾ وكل هداية ذكر الله تعالى انه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة . وهي التوفيق الذى يختص به المهتدون . والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وإدخال الجنة نحوه قوله تعالى ﴿ كيف يهدي الله قوماً الى قوله : والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهي ماعدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة كقوله عز وجل ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم ان تمحص على هدام فان الله لا يهدي من يضل ومن يضل الله فانه من هاد . ومن يهد الله فانه من مضل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾

الكاذب الكفار هو الذي لا يقبل هدايته ؛ فمن لم يقبل هدايته لم يهدمه
 كقولك ؛ من لم يقبل هديتي لم اهدله ومن لم يقبل عطيتي لم أعطه ، ومن
 رغب عني لم ارغب فيه ، وعلى هذا النحو ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين
 ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفاً
 من المعرف وبهاتم الهداية والتعليم ، فانه متى حصل البذل من الهادى والمعلم
 ولم يحصل القبول صح ان يقال لم يهد ولم يعلم إعتباراً بعدم القبول .
 وصح ان يقال هدى وعلم إعتباراً ببذله ؛ فاذا كان كذلك صح ان يقال
 ان الله لم يهدى الكافرين والفاستقين من حيث لم يحصل القبول الذى
 هو تمام الهداية والتعليم ؛ وصح أن يقال هدام وعلمهم من حيث أنه
 حصل البذل الذى هو مبدأ الهداية ، فعلى الاعتبار الاول صح أن يحمل
 قوله تعالى ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ﴾ وعلى الثانى
 قوله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وقوله
 تعالى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فقد قيل عني به الهداية العامة التى هى
 العقل وسنة الانبياء . وأمرنا أن نقول ذلك بالسنتنا ، وان كان قد فعل
 ليعطينا بذلك ثواباً كما أمرنا أن نقول : اللهم صل على محمد ، وان كان قد
 صلى عليه بقوله ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ وقيل ان ذلك دعاء
 بحفظنا عن استغواء الغواية واستهواء الشهوات ، وقيل هو سؤال التوفيق
 وقيل سؤال للهداية إلى الجنة فى الآخرة . وقوله تعالى ﴿ وإني لغفار
 لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى ﴾ ومعناه ثم أدام طلب الهداية
 ولم يفر عن تحريه ولم يرجع إلى المعصية . الخ .

وقد قال الله تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ ، فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ قال أبو العالية الهدي الانبياء والرسل والبيئات والبيان . قال مقاتل بن حيان الهدي محمد ﷺ . وقال الحسن الهدي القرآن . وهذان القولان صحيحان . وقول أبي العالية اعم . كما افاده العلامة ابن كثير في تفسيره .

وفي المجلد الرابع من مجموعة التوحيد النجدية : صراط الذين انعمت عليهم ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وهم الذين بابهم اقتديتم اهتديتم .

وقال العلامة ابن تيمية في رسالة المعجزات ، قال ابو علي الجوزجاني رحمه الله تعالى ، كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فان نفسك منجبة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة ، قال الشيخ السهروردي في عوارفه ، وهذا اصل عظيم كبير في الباب ، وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلاب .

وقال الحافظ زين الدين ابو الفرج ابن رجب الحنبلي في كتابه ، المحجة في سير الدجلة ، قال ذوالنون (وهو من اكابر الزاهدين) السفلة من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه ؛ والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به محمداً ﷺ وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه

الصراط المستقيم ، ما تركنا عليه محمد ﷺ فيه طرفه في الجنة ؛ وعن
يمينه طرق وعن يساره طرق فمن سلك في أحد منها انتهت به إلى
النار ، ثم قرأ ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ﴾ خرجه بن جرير وغيره ؛ فالطريق الموصل إلى
الله واحد وهو صراطه المستقيم ؛ وبقية السبل كلها سبل الشيطان .

وقد نبه الله تعالى في أول سورة البقرة أن الكتاب الحق الذي
﴿ لا ريب فيه ﴾ وهو ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال العلامة الامام الفخر الرازي في
مفاتيح الغيب ﴿ الصراط المستقيم وهو الحق وهو التوسط والاقتصاد
في الاعتقادات وفي الاعمال ، لان من توغل في التنزيه وقع في التعميل
ونفى الصفات ، ومن توغل في الاثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية
والمكان ، فهما طرفان معوجان ؛ والصراط المستقيم الاقرار الخالي عن
التعميل والتشبيه ، ولان من قال أن فعل العبد كله منه فقد وقع في
القدر ، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع في الجبر ، وهما طرفان معوجان
والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الاقرار بان الكل بقضاء الله ،
وأما في الاعمال فمن وقع وبالع في الاعمال الشهوانية وقع في الفجور
ومن بالغ في تركها وقع في الجمود ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو
العفة ، وأيضاً من بالغ في الاعمال الغضبية وقع في التهور ، ومن بالغ
تركها وقع في الجبن ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو الشجاعة

والله عز وجل وصف الصراط المستقيم بصفتين ايجابية وسلبية
اما الايجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وأما السلبية فهي ان تكون بخلاف
صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى استوجبوا
غضب الله عليهم ، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتى
ضلوا عن العقائد الحقة والمعارف اليقينية ، قال المعصوم كغالب من
يعتقد أن الارواح متصرفة أو إنها عالة للغيب ، وكن ينذر الى المشائخ
أو ضرائحهم ويستمد منهم في قضاء حوائجهم كأكثر من يبتدع في الدين
بدعة كن بغير مجتمعا بالأذكار الغنائية ، أو اداء فرض صلاة الظهر بعد
اداء صلاة الجمعة احتياطا ، أو منع المريد من النفي والاثبات (لا إله إلا
الله) وتلاوة القرآن وطلب العلم ، التفسير والحديث في أوائل حاله ،
وأمره بتكرار كلمة الجلالة مفردة (الله الله) وأمره بتصور صورة
الشيخ عند الذكر والمراقبة ويسمونه مرابطة ، وأمثال ذلك .

قال بعضهم انه لما قال ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لم يقتصر عليه بل
قال ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ وهذا يدل على ان المريد لا سبيل
له الى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة الا اذا اقتدى بشيخ
يهديه الى سواء السبيل ويعلمه ويجنبه عن مواقع الاغاليط والاضاليل
وذلك لان النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بادراك
الحق وتمييز الصواب عن الغلط ، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص
حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فينشد يصل الى

مدارج السعادات ومعارج الكمالات .

واعلم ان أهل الدنيا فريقان ، أحدهما الذين لا يعبدون الا الله ولا يستعينون الا بالله ، ولا يطلبون الاغراض والمقاصد الا من الله ، والفرقة الثانية : الذين يخدمون الخلق ويستعينون بهم ويطلبون الخير منهم ، فلا جرم يقول العبد إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى وهم الذين انعمت عليهم بهذه الانوار الربانية ، ولا تجعلني من زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون ، وهم الفساق والكفرة فان متابعة هذه الفرقة لا تفيد الا الخسار والهلاك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ﴾

وقد بين العلماء والحكماء ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان ، والحق هو الوسط ، ويتأكد ذلك بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وذلك الوسط هو العدل والصواب فالؤمن بعد ان عرف الله بالدلائل صار مؤمناً مهتدياً . أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الحد بين طرفي الافراط والتفريط في الاعمال الشهوانية والغضبية وفي كيفية انفاق المال فالؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط . والله تعالى يقول ﴿ وإنا أنزلناه في صراط مستقيم ، صراط الذي له ما في السموات وما في الارض ﴾ وقال أيضاً ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾ وذلك الصراط المستقيم هو أن يكون الانسان معرضاً عما سوى الله عز وجل محبلاً بكنية قلبه وفكره وذكره إلى الله فأمرنا الله تعالى ان نطلبه قائلاً

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وللإنسان يكون أعداء وأحباب والشيطان في طرف فيتخير فيطلب عند ذلك من الله الهداية إلى الصراط المستقيم . وهو الذي لا غلظ فيه ، بل هو بين التعطيل والتشبيه والجبر والقدر والارجاء والوعيد والرفض والخروج ، والصراط المستقيم هو الاسلام ودليله القرآن ، وإنما قال الصراط ولم يقل الطريق أو السبيل وإن كان معنى الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مذكراً أصراط جهنم ، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية ، وإهدنا أي ثبتنا على الهداية التي وهبها منا . ونظيره قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي ثبتنا على الهداية . فكم من عالم وقمت له شبهة ضعيفة في خاطره فزاع وضل وانحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم .

أنا نرى أهل العالم مختلفين في النفي والاثبات في جميع المسائل الإلهية . وفي جميع مسائل النبوات وفي جميع مسائل المماد ، والشبهات غالبية والظلمات مستوائية . ولم يصل إلى كنه الحق إلا الأقل القليل وقد حصلت هذه الحالة مع استواء الكل في القول والأفكار والبحث الكثير والتأمل الشديد . فلو لإهداية الله تعالى وعنايته وإعانتة ، وأنه يزين الحق في عين عقل الطالب ويقبح الباطل في عينه كما قال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْيَكِّ الْإِيمَانِ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَرِهَ الْيَكِّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ فإهدنا الصراط المستقيم إشارة إلى هذه الحالة ، وبديل أيضاً أن المبطل لا يرضى بالباطل . وإنما طلب الحق والدين المتين والقول الصحيح . فلو كان الأمر باختياره (ومقتضى عقله) لوجب أن لا يقع أحد في الخطأ . ولما

رأينا الاكثرين غرقوا في بحر الضلالات ؛ علمنا أن الوصول إلى الحق ليس إلا بهداية الله تعالى . ومما يقوى ذلك ان كل الملائكة والانبياء اطبقوا على ذلك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ ائن لم يهدنى ربى لا كون من القوم الضالين ﴾

قال العلامة ولي الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة : ان من أسباب الزيع والخروج عن الصراط المستقيم التشدد ، وحقيقته اختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك الزواج . وان يلتزم السنن والآداب كالزام الواجبات . وهو حديث نهى النبي ﷺ عبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما عما قصدا من العبادات الشاقة وهو قوله ﷺ « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » فاذا صار هذا المتشدد أو المتعمق معلم قوم ورئيسهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه . وهذا داء رهبان اليهود والنصارى . ومنها تقليد غير المعصوم ، اعنى غير النبي الذى ثبتت عصمته واعتقاد أنه على الاصابة قطعاً أو غالباً فيردوا به حديثاً صحيحاً . وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأئمة المرحومة ؛ فانهم اتفقوا على جواز التقليد للمجاهدين مع العلم بان المجتهد يخطئ ويصيب . فاذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلده فيه ترك التقايد واتبع الحديث . ومنها خلط ملة بملة حتى لا تتميز واحدة من الاخرى ، وذلك أن يكون الانسان في دين من الاديان تعلق بقلبه علوم تلك الاديان ، ثم يدخل في الملة الاسلامية فيبقى ميل قلبه إلى ما يتعلق به من قبل ، فيطلب لاجله وجهاً في هذه الملة ولو ضعيفاً أو موضوعاً ، وربما

جوز الوضع رواية الموضوع لذلك وهو قوله ﷺ « لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون وابناء سبأيا الأم فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » ومما دخل في ديننا علوم بني إسرائيل وتذكير خطباء الجاهلية وحكمة اليونان ودعوة البابليين وتاريخ الفارسيين والنحوم والكلام والرمل . وهو سر غضب رسول الله ﷺ حين قرئ بين يديه نسخة من التوراة ؛ وضرب عمر رضي الله تعالى عنه من كان يطلب كتب دانيال . والله أعلم .

قال المبد الضعيف محمد سلطان المصوى الخجندی ثم المكي حفظه الله تعالى . ومن هذا الباب دخلت خرافات الصوفية في الاسلام . مثل رابطة صورة الشيخ والتزام الطريقة الفلانية والاستمداد من الارواح والتوجه إلى القبور وبناء القمب عليها والقاء الستور والسراج السرج لديها والنذر لها والاذكار والغنائية بضرب المزامير والطبول والنأى وامثالها . فانها لا شك من رسوم الوثنيين والمشركين والبوديين كما هو غير خفي على البصير المتأمل . واني قد شاهدت بعيني رأسي في بلاد الروس والصين والهند والتبت ان من يئنت حالهم من الكفرة يفعلون ذلك . فاحذر الحذر .

والحاصل أن التبري من الشرك وعن المشركين وعن ما يخصهم من الاعمال والعبادات شرط صحة الاسلام الصحيح . وان تخصيص الله تعالى بالعبادة اية عبادة كانت من فرائض الايمان . فهذا هو الصراط المستقيم كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام أن توحيد الربوبية والالوهية

والعبادة هو الصراط المستقيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ سورة آل عمران .

وفيهما أيضاً ، ان كل من تمسك بكتاب الله وعمل به فهو قد سلك على الصراط المستقيم ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وفي سورة الانعام ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ . وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . ذَلِكَمِ وَصَايَاكُمْ بِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا . وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي فَهُوَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . لَأَشْرِكَ لَهُ . وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾

وفي سورة الاعراف ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . قَلِيلًا مِمَّا تَذْكُرُونَ ﴾ ﴿ وَقُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا مَنْ أَلَّفَ الْإِلَهَ الَّذِي يُوْثِقُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ خلاص ما تقرر من هذه الآيات أن الصراط المستقيم الذي نطلب من الله تعالى أن يهدينا إليه إنما هو دين الاسلام ، ودستوره

وقانونه القرآن وإمامه سيدنا محمد ﷺ . فمن اتبعه فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ونال السعادة في الدنيا والدين ، فستلك اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين .

ثم بين الله تعالى ذلك الصراط وقال ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وهذا الصراط المستقيم هو الموصل إلى الحق ، وقد أنعم الله ذلك على عباده الصالحين وأوليائه الفاضلين فهداهم به إلى أعلى عليين ، وقد فسر بعضهم المنعم عليهم بالمسلمين كما فسر المنضوب عليهم باليهود والفضالين بالنصارى ، ونحن نقول أن المراد من الذين أمرنا الله أن نهتدى بهداهم كما قال تعالى ﴿ فبهدهم اقتده ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السالفة ؛ فقد أسأل الله تعالى على معلوم أجمله في الفاتحة وفصله في سائر القرآن بقدر الحاجة ، فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص وتوجيه للانظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم في كفرهم وإيمانهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شيء يهدي للإنسان كالأمثلة والوقائع ، فإذا امتثلنا الأمر والارشاد ونظرنا في أحوال الأمم السالفة وأسباب عذابهم وجهانهم وقوتهم وضعفهم وعزهم وذلتهم وغير ذلك مما يمرض للامم كان لهذا النظر أثر في انفسنا يحملنا على حسن الاسوة والاقتداء باختيار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتحكم في الارض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك أو الدمار ؛ ومن هنا ينجلي للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات . وتأخذ الدهشة والحيرة إذا سمع ان كثيراً من رجال الدين من أمة هذا كتابها

يعادون التاريخ باسم الدين ويرغبون عنه . ويقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة له
وهنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا
وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم . وبذلك كانت شريعتنا أكمل
من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده . والقرآن يبين لنا الجواب وهو
انه يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد . وانما تختلف الاحكام
بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . وأما الاصول فلا خلاف فيها أصلاً
قال الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ الآية ﴿ وأنا أوحينا اليك كما أوحينا
الى نوح والنبيين من بعده ﴾ الآية . فالاعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشر
وبعمل البر والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوفى للجميع . وقد أمرنا الله
تعالى بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا اليه فنقتدى بهم في القيام
على وصول الخير وهي ثلاثة . وهي الاعتقاد الصحيح ولو بالتسليم .
وعبادة الله تعالى وحده وحسن المعاملة مع الناس فهي لا خلاف فيها . كما
قرره الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى في تفسيره .

وقال العلامة الجوهري الطنطاوي في تفسيره . واعلم ان المنعم عليهم
هم الانبياء وورثتهم والمخلصون من نبي آدم . وهم الذين نصبوا أنفسهم
لهداية الناس وإرشادهم . وكانهم آباء والناس أبناءهم . ويتشبهون بالله
في أفعالهم وأقوالهم . ويقودون الامم الى سبيل الرشاد . ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقال ان غاية الحكمة التشبه بالله فيعرفون
نظام العالم وحكمة الخالق ويتركون آثاراً في البرايا . ويتعاملون ما ينالهم

من الآلام ، في سبيل اسعاد الامم فينالون أجرهم مرتين ؛ فهم في الآخرة
مكرمون . وفي الدنيا مذكورون بالثناء الجميل والاكرام ؛ وتشتاق اليهم
النفوس وتذكرهم الاجيال ، الخ .

وقال العلامة الامام ابن كثير في تفسيره ﴿ صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النجاة والذين أنعم
الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال ﴿ ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى
بالله علماً ﴾ وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس رحمه الله تعالى
﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال هم النبيون ، وقال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هم المؤمنون . وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن ابن
زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنهم هم النبي ﷺ ومن معه ، وقول ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما أعم وأشمل ، والله أعلم

وقال العلامة ابن القيم في زاد المعاد المنعم عليهم هم الذين شرح الله
صدرهم للاسلام ، ومن أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد على حسب
كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى ﴿ فن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً
حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ فالهدي والتوحيد من أعظم أسباب شرح
الصدر والشرك والضلال من أكبر أسباب ضيق الصدر وانحراجه
خالمتهدي المشرح الصدر يكون اعلم بالله ويرزق احسن الاخلاق والامانة

الى الله ومحبته بكل القلب والاقبال عليه والتنعم بعبادته رزقنا الله تعالى ذلك .

فان قيل ان كثيرا من المشركين واهل الضلال متنعمون بنعمة الدنيا فهل يعد هؤلاء ممن انعم الله عليهم ام لا فالجواب قال العلامة ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ان ما ينعم به الكفار والفساق من الرياسات والاموال في الدنيا فانما تصير نعمة حقيقية اذا لم تضر صاحبها في الآخرة ولهذا اختلف الاصحاب من العلماء هل ما ينعم به الكفار نعمة ام ليس بنعمة قال الله تعالى ﴿ يحسبون ان ما نعدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء . الى مبلسون ﴾ وفي الحديث اذا رأيت الله ينعم على العبد مع اقامته على معصيته فانما هو استدراج يستدرجه فكذا ما يصدر من بعض الجهال ماصورته الكرامة وليس في الحقيقة كرامة وانما يشبه الكرامة من جهة كونها دعوة نافذة وسلطانا قاهرا وانما للكرامة في الحقيقة ما نفعت في الآخرة او نفعت في الدنيا ولم تضر بالآخرة .

والنعم عليهم في الحقيقة على الاطلاق هم الانبياء عليهم الصلوات والسلام . ومن جماعتهم ابراهيم ويعقوب عليهما السلام فوصييهما لاولادهما ﴿ اذ قال له ﴾ اى لابراهيم ﴿ رب اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ﴾ ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب

الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك
 ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحداً ونحن له مسلمون ﴿ ومن يطم
 الله والرسول فؤلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً . ومن احسن ديناً ممن
 اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم
 خليلاً ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
 ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
 هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون
 وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين .
 واسماعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آباؤهم
 وذرياتهم واخوانهم واجتبتيناهم وهديتناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى
 الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو اشر كوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
 اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء ، فقد
 وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
 قل لا اسألكم عليه أجراً ، ان هو الاذ كرى للعالمين ﴿ وفي سورة صريم
 بعد ان ذكر الله تعالى زكريا ويحيى وعيسى و ابراهيم واسحاق ويعقوب
 وموسى واسماعيل وإدريس عليهم السلام قال ﴿ اولئك الذين انعم الله
 عليهم من النبيين من ذرية آدم ، ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم
 واسرائيل ، ومن هدينا واجتبتينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً
 وبكياً ، خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ،

فسوق يلقون غيا . وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يورثون الفردوس
هم فيها خالدون ﴿ وفي سورة الشورى ﴾ شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبير على المشركين ما ندعوم إليه . الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من ينيب . فذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا
تتبع أهواءهم ﴿ وفي الباب آيات كثيرة بينت صفات المهتدين ورغبت
الناس إليها ؛ وشرحت صفات من يستحق الغضب وأهل الضلال
وحذرت عنها فيجب علينا أن نلتزم إعتقاداً وعملاً ما أمر به القرآن ،
ونقتدى بمن مدحهم من الأنبياء والصديقين ، طالباً من الله الرحمن الرحيم
أن يهدينا إلى ذلك ويوفقنا لما هنالك فاللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين يارب العالمين .

فصل

في صفات المهتدين وعلاماتهم

فمن صفاتهم الايمان بالله تعالى وبجميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى . وإقامة الصلاة في أوقاتها مع شرائطها وآدابها . وإيتاء الزكاة وبذل الاموال في سبيل الله وترويج الدين وتقوية الملة وإعانة الطلبة والايام والمساكين ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ فالمتدون وأهل التقوى والفلاح والسعادة في الدارين هم الذين آمنوا بالله إيماناً كاملاً ، وزينوا إيمانهم بأداء الصلوات وإداء الزكوات والنفقة في سبيل الله ، ويصدقون بيوم القيامة والجزاء ويخافون منه ؛ الخ . وأما الذين لم يتصفوا بهذه الصفات فأولئك هم الكافرون والمنافقون .

ومن صفاتهم أنهم يتصفون بالشكر على النعماء والصبر على المصيبة ، ولا يجزعون جزعاً ؛ وإن تراكت عليهم المصائب والآلام ، كما قال الله تعالى ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾

ومن صفات المهتدين الابرار والمتقين الصادقين الاخيار ؛ الايمان بالله إيماناً كاملاً ، وتصديق ما جاء به النبي ﷺ والايمان باليوم الآخر يوم الجزاء ، وكذا الملائكة ومنهم الكرام السكاكين الذين يكونون مع

العبد دائماً ويكتبون كل ما صدر عنه من فعل أو قول ؛ وكذا بالكتب
والنبيين الذين أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، ويؤتون أموالهم
المحبوبة حباً لله وطلباً لرضاه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهودهم
ووعودهم إذا عاهدوا واعدوا ، ويصبرون على الضراء ويشكرون على
السراء ، وفى حال الملاقات عند قتال العدو فى الجهاد والدفاع الشرعى ؛
لا المعصبي ؛ فهذه الاوصاف هي من صفات الصادقين فى إيمانهم ،
وليست منها توجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب والدخول فى طريقة
الشيخ الطرقية ، واستعمال السبع ذوات العدد من الجواهر والصدف ؛
فليست داخلية فى صفات المهتدين المتقين ما يفعله صوفية الزمان ومشائخه
من الاذكار الغنائية والاوراد المبتدعة وجمع المریدین حولهم ، وهم لا
ينفقون فى سبيل الله للمحتاجين والايتام والعاجزين ، بل يبنضون
طلبة علوم الدين . فقد أخبر الله تعالى عن حال أمثال هؤلاء الضالين
حيث قال كما فى سورة البقرة ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين . وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهودهم إذا عاهدوا . والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا . وأولئك هم المتقون ﴾

ومن صفات المهتدين الايمان بجميع الانبياء بلا تفریق بين أحد منهم والتسليم لهم ولما جاؤا به ، واتباع الحق والاحتراز من الاشراك بالله في شئ ، من صفات الربوبية والالوهية . كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿ قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين ﴾ قال العبد الضعيف المصومى حفظه الله تعالى ، ورزقه حسن الخاتمة فإن كان من صفات المؤمنين المهتدين الايمان بجميع الانبياء والمرسلين واحترامهم واکرامهم بالصلوات والتسليمات عليهم فكذلك يجب اكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين كالائمة الاربعة واضرابهم وائمة اهل الحديث رضى الله تعالى عنهم أجمعين . فالأخذ بقول البعض وترك من سواه كما يفعله غالب مقابلة المذاهب الجامدين . فانه ليس من هدى المهتدين ولا من صفات المتقين . فمن هذا نشأت العداوات بين منتسبي المذاهب حتى صاروا لا يقتدون في الصلوات خلف من ليس على مذهبهم . كما شاهدنا أن الحنفى لا يقتدى خلف الامام الشافعى أو الحنبلى . وخصوصاً في صلاة الوتر في رمضان . وصنيعهم هذا كأنه انكار على رسول الله ﷺ لكون ذلك ثابتاً عن الرسول ﷺ .

ولكن غلبة التعصب أعمت القلوب والابصار . فانتبهوا يا أولى
الالباب والابصار

ومن صفات المهتدين انفاق أنفس الاموال في سبيل الله . في الخيرات
من بناء المدارس وتربية طلبة العلوم والايثار ونشر لواء الاسلام وحفظ
الشرع وصيانة حدود دار الاسلام . قال الله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما يحبون . وما تنفقوا من شيء فان الله به عايم ﴾ .

ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والاعمال الخيرية والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر . وتعليم العلوم النافعة ونشرها وتسهيل سبلها
قال الله تعالى ﴿ واتمكم منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون . كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . وأولئك
من الصالحين ﴾ فن ترك هذه الامور لا يكون من الصالحين ولا من
الفالحين ولا من المهتدين . ككثر من نشاهده ممن في أيديهم السبع الطويلة
واصحاب العمام والجلبب الواسعة الاكمام ممن يدعون التصوف أو أنهم
اصحاب الطرق بتأكلون بدينهم في التكايا والزوايا وضرائح الاولياء . عصمنا
الله تعالى من شرورهم ووساوسهم ...

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والمعاملة مع الناس بلا
خيانة ولا اعتساف واداء الشهادات على وجهها بالقسط والخوف من الله
والتقوى بقدر المستطاع كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين

آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شتان قوم على ان لا تعدلوا . اعدلوا هو اقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴿ ومن صفات المهتدين بعد الايمان بالله والتقوى ابتغاء الوسيلة والتشبث بكل وسائل الدفاع لاعلاء كلمة الله وحفظ الاسلام والمسلمين وديارهم كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وافرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ﴾ فالظاهر من هذه الآيات التثبت لاستعداد ما امكن من الآلات على مقتضى الحال والزمان فمن ترك ذلك وجلس في الزوايا واشتغل بالاوراد والفصائد وتوجه الى القبور والارواح فلا يكون من المهتدين بل يكون من الخاسرين والخاذلين عصمنا الله تعالى من شرورهم وشؤمهم .

ومن صفات المهتدين تقوى الله تعالى في كل الحالات . واصلاح ذات البين والسعى الى توحيد كلمة المسلمين وتآليفهم وجمعهم ورفع النزاع بقدر المستطاع وعند ذلك يحصل الدولة ويسعد اهل الملة كما قال الله تعالى في سورة الانفال ﴿ فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون . اولئك هم المؤمنون حقا . لهم

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا . ان الله مع الصابرين ﴿

ومن صفات المهتدين الايمان بالله والتقوى عن الشرك والكفر والمحرمات واولئك هم اولياء الله المهتدون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون ﴿

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والاحسان الى عباد الله واعانة ذى القربى والفقراء والوفاء بالعهد والوعد والاحتراز عن الفحشاء والمنكر والبغى والكذب والخيانة كما قال الله تعالى في سورة النحل ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بمظكم لعلكم تذكرون واطيعوا الله اذا اعاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . ﴿ الآية .

ومن أجمع صفات المهتدين الذين يستحقون أن يكونوا عبيداً لله فينالون رضاه ويسعدون في الدنيا والآخرة ماينه الله تعالى في سورة الفرقان ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيمًا . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخبروا عليها صماً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلتقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴿

ومن صفات المهتمدين تدبر آيات الله والتأمل والتفكير في مخلوقات الله والتذكر لمعاني القرآن وما خلقه الله تعالى من المخلوقات ، وكذا صرف القوة إلى الخيرات ومصالح العباداة مع التعقل والاستبصار والنظر في أحوال العالم وأهله ؛ كما قال الله تعالى في سورة ص ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب . واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أوفى الأبدى والابصار ﴾

ومن صفات المهتمدين وأهل الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله ورسوله إيماناً صحيحاً ، الجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمة الله باللسان واللسان والقلم وبذل النفس والنفيس لذلك ، كما قال الله تعالى في سورة الصف ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على نجاة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ فمن ترك الجهاد في سبيل

الله بالسيف واللسان والقلم مع القدرة عليه فهو ليس من المهتدين فيكونه محروماً من فضل رب العالمين ، فياخسارة من ترك ذلك وتجنّب ، أو خدم الكفرة والمستبدين وتجنّس لهم ككثير من العلماء الدجالين ومشائخ الطرق الضالين ، فهذا تسلّطت الكفرة على كثير من بلاد المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون .

ومن صفات المهتدين الوفاء بالنذر المشروع ، والخوف من الله ومن عذاب يوم القيامة ، وإطعام الطعام للمساكين والايتماء والغرباء لوجه الله تعالى ، كما قال الله تعالى في سورة النحل ﴿ إِنَّ الْإِبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ، يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ فجملة القول ان المهتدين حقيقة والمتصفين بالاسلام والايتمان الحقيقي هم الذين يخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه . فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغفون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليكهم وخالقهم والقاتم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته ويعملون بتأشيعه لهم في كتابه وسنة لهم نبيهم سيدنا محمد ﷺ من شريعته . معتصمون بحبل الله متعاونون على طاعة الله تعالى ، كذا في المجموعة النجدية .

فاهل الهداية لا يتحاسدون ولا يتباغضون ولا يتدبرون ولا يتكبرون
ولا يتقاتلون الا الله تعالى وفي الله عز وجل . ويصلحون ما افسد الناس

أولئك هم أهل الفلاح في الدارين . فنسألك اللهم أن تجعلنا منهم آمين
يارب العالمين .

وقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فالمغضوب
عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله ودينه
فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافاً عن الدليل . ورضي بماورثوه من القيل
ووقوفاً عند التقليد وعكوفاً على هوى غير رشيد . وغضب الله عقوبته
وإنتقامه . وهذه الآية تفيدان الطوائف ثلاث . المنعم عليهم . والمغضوب
عليهم والضالون . ولاشك ان المغضوب عليهم ضالون أيضاً . لانهم
بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها
فلا يصلون الى المطلوب ، ولا يهتدون الى مرغوب ، ولكن فرقاً بين من
عرف الحق فأعرض عنه على علم ، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين
الطرق لا يهتدى الى الجادة فيها وهم من لم تبلغهم الرسالة ، او بلغتهم على
وجه لم يتبين لهم فيه الحق فهو لا . هم أحق باسم الضالين ، فان الضال
حقيقة هو التائه الواقع في عمية لا يهتدى معها الى المطلوب . والعمية في
الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ويشبه الصواب بالخطأ .

والضالون أقسام . منهم من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدن نظر
في أدلتها ولا وقوف على أصولها . فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت الرسالة
به في أصول العقائد . وهو لا . هم المبتدعة في كل دين . ومنهم المبتدعون
في دين الاسلام . وهم المنحرفون في إعتقادهم عما نزل عليه جملة القرآن
وما كان عليه السلف الصالح وأهل الصدر الاول . ففرقوا الامة الى

مشارب ومذاهب وطرق . فمن جملة آثارهم في الناس أن يأتي الرجل الى دوائر القضاء فيستحلف بالله العظيم . أو بالمصحف الكريم وهو كلام الله القديم أنه ما فعل كذا . فيحلف وعلامة الكذب بادية على وجهه فيأتيه المستحلف من طريق آخر . ويحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد بهم الولاية فيمتنغر لونه وتضطرب أركانه . ثم يرجع في اليته ويقول الحق ويقر بأنه فعل ما حلف عليه أولاً أنه لم يفعله تكريماً للاسم ذلك الشيخ وخوفاً منه أن يلب عنه نعمة أو يحل به نقمة إذا حلف باسمه كاذباً . فهذا ضلال في أصول العقيدة يرجع الى الضلال في الاعتقاد بالله . وما يجب له من الوحدةانية في الافعال . ولو أردنا أن نسرده ما وقع فيه المسلمون من الضلال في العقيدة الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام اطال المقال واحتيج الى مجلدات في وجوه الضلال . ومن أشنعها آثراً وأشدّها ضرراً خوض رؤساء الدين والفرق منهم في مسائل القضاء والقدر والاختيار والجبر . وتحقيق الوعد والوعيد . وتهوين مخالفة الله تعالى على نفوس العبيد ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلاً . والقرآن هو الذي يحمل عليها ويرجع بالتأويل والتعريف اليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون . والحق الواجب أن يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين فما وافق فمقبول وما خالفه فردود .

ومن جملة الضلال الضلال في الاعمال وتحرّيف الاحكام عما وضعت له . كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات . والخطأ في فهم الاحكام التي جاءت في المعاملات . ولنضرب لذلك مثلاً الاحتيال في الزكاة

بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول . ثم استرداده بعدمضى قليل
من الحول الثاني حتى لا تجب الزكاة فيه . وظن المحتمل أنه بحيلته قد خاض من
اداء الفريضة ونجاة من غضب من لا تخفى عليه خافية ولا يعلم أنه بذلك قد هدم
ركنا من أركان دينه وجاء بعمل من يعتقد ان الله تعالى قد فرض فرضا وشرع
يجانب ذلك الفرض ما يذهب به ويمحو أثره . وهو محال عليه جل شأنه
وكل قسم من هذه الضلالات يظهر أثرها في الامم فتختل قواي الادراك
فيها وتفسد الاخلاق وتطرب الاعمال . ويحل بها الشقاء عقوبة من الله
عز وجل لا بد من نزولها بهم . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .
وبعد حلول الضعف ونزول البلاء بأمة من الامم من الملاحظات والدلائل على
غضب الله تعالى عليها لما أحدثتها في عقائدها واعمالها مما يخالف سنته
ولا يتبع فيه سنته ولهذا علمنا الله تعالى كيف ندعوه بان يهدينا طريق
الذين ظهرت نعمته تعالى عليهم بالوقوف عند حدوده . وتقويم العقول
والاعمال بفهم ما هدا بنا اليه وان يجنبنا طرق أولئك الذين ظهرت فيهم آثار
نقمته بالانحراف عن شرائعه . سواء كان ذلك عمدا وعنادا أو غواية وجهلا
اذا ضلت الامة سبيل الحق واعب الباطل باهوائها ففسدت
اخلاقها واعتلت أعمالها وقمت في الشقاء لا محالة ، وساطة الله عليها
من يستذلها ويستأثر بشئونها ، ولا يؤثر لها العذاب الى يوم
الحساب كأهل بلغار وقوقاز وتوركستان الروسى والصينى وبخارا
والاندلس والجزائر والمغرب وغيرها ، وان كانت متلاقى
نصيبتها منه ايضا ، واذا نادى بها الفى وصل بها الى الهلاك وعجى أثرها

من الوجود ، ولهذا علمنا الله تعالى النظر والاعتبار في احوال من سبقنا ، واما في الافراد فلم نجرسنة الله بلزوم العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا ، فقد يستدرج الضال من حيث لا يعلم ، ويدركه الموت قبل أن يزول النعمة عنه وانما يلقى جزاءه ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . والامر يومئذ لله ﴾ كما أفاده الاستاذ العلامة المجدد الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

قال الامام الحافظ العلامة العماد ابن كثير في تفسيره الشهير ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قرأ الجمهور بالجر على النعت ، قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال ، وهي قراءة النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ورويت عن ابن كثير ، والمعنى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله وامثال أوامره وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا الدلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون الى الحق ، وأكد الكلام بلا يدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى .

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين ، وهذا اسناد صحيح ، وكذلك حكى عن ابي بن كعب

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على أنه صدر منها على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من أنه إنما جرى بلا لتأكيد النفي لثلاثتهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، وللفرق بين الطريقين ليجتنب كل واحد منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابهِ ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، وأخص أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال الله تعالى أخبرهم عنهم ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الإمام محي السنة البغوي ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعني صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

وقال العلامة الراغب الاصفهاني في مفردات القرآن ، والضلال ضربان ، ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله ووجدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار اليها بقوله تعالى ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ وضلال في العلوم العملية كمعرفة الاحكام الشرعية التي هي العبادات الخ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة فوائد الفاتحة : ان في سورة الفاتحة محبة الله لان الله منعم والمنعم يحب على قدر انعامه وفيها توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وإهدانا الصراط المستقيم فيها الرد على المبتدعين وفيها ان الناس ثلاثة أقسام ، منعم عليه ، مضروب عليه وضال ، فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل ، والضالون أهل عبادة ليس معهم علم وان كان سبب النزول في اليهود والنصارى فهي لكل من اتصف بذلك الثالث من اتصف بالعلم والعمل وهم المنعم عليهم ، وفيها معرفة الله تعالى على التمام .

وفيها أيضاً ، ان للشيطان لاضلال الناس سنة في ترك القرآن والسنة وإتباع الهوى والاهواء والآراء المتفرقة المختلفة ؛ وهي ان القرآن والسنة لا يعرفها الا المجتهد المطلق والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أو صافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فان لم يكن الانسان كذلك فليعرض عنهما حتماً ، ومن طالب الهدى منهما فهو أما زنديق وأما مجنون لاجل صعوبتهما ، الخ سبحانه هذا بهتان عظيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

قال العلامة الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى في إقضاء الصراط المستقيم ، وسبب كون اليهود منضوباً عليهم عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه ، وأما سبب ضلال النصارى فمن جهة علمهم بلاعام فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله ما لا يعلمون ، ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة وغيره يقولون من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى فمن وصف المنضوب عليهم انهم يكتمون العلم تارة بخلاجه وتارة اعتياضاً عن اظهاره بالدنيا وتارة خوفاً ان يحتاج عليهم بما اظهروه منه وقد ابتلى به كثير من علمائنا

ومن وصف المنضوب عليهم انهم لا يقبلون الحق الا من الطائفة التي هم منتسبون اليها مع انهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم كما هو شأن كثير من المنتسبين الى طائفة معينة في العلم او الدين من المتفقهة او المتصوفة وغيرهم او رئيس معظم في الدين غير النبي ﷺ فانهم لا يقبلون من الدين رأياً ولا رواية الا ما جاءت به طائفتهم ثم انهم لا يعلمون من وجبه طائفتهم . مع ان دين الاسلام يوجب اتباع الحق مطابقاً رواية ورأياً من غير تعيين شخص غير الرسول ﷺ

ومن صفات الضالين الغلو في الدين وفي الانبياء والصالحين وقد وقع هذا في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خاط كثير منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو اقيح من قول النصارى ومن جملة بدع الضالين ابتداع الرهبانية وقد ابتلى طوائف من المسلمين من الرهبانية

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمنغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .
ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء . ﴿وانت تجد كثيراً من المتفقه اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدم الا جهلاً ضلالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيء . وانما الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير ان المشهور ان المنغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى وقيل هذا ضعيف لان منكري الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصارى فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المنغضوب عليهم على كل من اخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطأ في الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المنغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وهذه الآية دلت على ان المكلفين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿انعمت

عليهم ﴿ واهل المعصية واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ واهل الجهل في دين الله والكفر واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴾ فان قيل لم قدم ذكر المعصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر . وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم . والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به . فهو لا هم المرادون بقوله أنعمت عليهم . فان اختلف قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم . كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وان اختلف قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم . ويفسدون في الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح . كبرزا أحمد القادياني في بلاد الهند . وموسى ييكى جار الله في بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله ؛ باليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ الايات فالرجال الهندي القادياني باع دينه لمبشرى الانكليز واما الرجال التتاري موسى ييكى جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالخنز كل الخنز . وبإخساسة من اغتر بها

ومن علامات المغضوب عليهم الاختلاف والتفرق في الدين .
وتأويل الكتاب والسنة على غير ما جاء به سيد المرسلين . والاختذ ببعضه
وانكار بعضه على مقتضى الاهواء والمذاهب . قال الله تعالى ﴿ ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم
ومن صفات المغضوب عليهم الاشرار بالله في صفة من صفات الالهية
والربوبية فمن نتائج الخوف من الاعداء ومما لا يخاف منه . كما هو صفة
جمهور القبوريين ممن يدعون أنهم مسلمون او متصوفون قال الله تعالى في
سورة آل عمران ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا وما أواهم النار . وبئس مثوى الظالمين ﴾ والمسلمون
لما كانوا مسلمين كاملين موحدين خالصين كالصحابة والتابعين لهم بإحسان
رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال الله تعالى الرعب في قلوب أعدائهم المشركين فانتصرو
عليهم نصرا مبينا . وفتحوا البلدان شرقا وغربا . واما الخلف فلما خالفوا
السيف وضعف اسلامهم وورق توحيدهم . وأشركوا بالله الأرواح والاولياء
وأصحاب القبور . واستعانوا بمن لا يستعان به ، أتى الرعب في قلوبهم
خافوا من الاعداء وخافوا من القبور ، فدخلهم الاعداء في القبور وهم
أحياء ، فلا شك ان هذا من آثار الغضب ، وآية على ضلال اهله ،
فانتبهوا يا أيها الغافلون .

ومن صفات المغضوب عليهم الضالين ، القول في الدين والاحكام
بالتخمين بلا علم ، كما قال الله تعالى في سورة الانعام ﴿ وقد فصل لكم ما حرم
عليكم إلا ما اضطررتم اليه . وان كثيرا ليضلون بأهواءهم بغير علم .

ان ربك هو أعلم بالمتعدين . وحرّموا ما رزقهم الله اقتراء على الله . قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ سورة النحل فيدخل في هذا الضلال كل من قال شيئاً بلا دليل ؛ أو أوجب شيئاً أو حظر شيئاً بلا برهان ، كمن حرم إشارة السبابة في تشهد الصلاة ، أو أوجب ظهر الاحتياط بعد أداء فرض الجمعة ، أو جوز تقلد القضاء بالرشوة ، أو أوجب تقليد مذهب عالم بعينه أو ألزم البيعة لشيخ طريقة ، أو نحو ذلك .

والحاصل أن كل ما لم يثبت بالكتاب والسنة والاجماع الصحيح من العقائد والعبادات فهو من الضلال فالبدعة في الدين لا تكون إلا ضلالة ؛ والعامل بها لا يكون إلا من الضالين ، والاصل فيه ما رواه ابو داود والترمذى ؛ قال حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الميرون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا « قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فمليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » الحديث .

ومن صفة أهل الضلال النفاق والمكر والخداع ، كما قال الله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم

إنما نحن مستهزؤون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فأرجمت ، تجارتهم وما كانوا مهتدين . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴿ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة (عهد الله) ما عهد به اليهم في الكتاب من الإيمان بحمد ﷺ (ويفسدون في الأرض) بالمعاصي والتمويق عن الإيمان ، فأهل الضلال هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الإيمان والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالابتدعين فأخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، فخرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، كما نقله ابن كثير في تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما في القرآن من الأمثال وعدم التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن حدود ما حده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً . وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية .

وقد قال الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الرد على الاختائي ، والابتدعون هم الضالون ، وقد قال سفيان الثوري رحمه

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لا يتاب منها ، فتكون أضر وأهلك من المعصية
وفي رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الاتحادية والحلولية
الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن
عربي صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة
قولهم ان الولي افضل من النبي ، لان الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ،
وان النبي يأخذ بواسطة الملك .

وفي اقنضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال
تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع
المحمدي واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له في الشريعة اصلا ،
ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصده ذلك
المكان او قصد الاجتماع فيه لصلاة او دعاء او ذكر او غير ذلك
ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المصوي الخجندی ثم المكي حفظه الله
عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر في آفاق خواجه ، واهل فرغانة في اوش
وجلاد آباد يزعم ان الاول مقر كرسي سليمان النبي عليه السلام والثاني
فيه قبر ايوب النبي عليه السلام والعين التي اغتسل فيها ، وكاجتماعهم في
شاه مردان في مرغينان ؛ وفي يسي اي تركستان في انصاف الشتاء ،
ويسمونه خلوت ، وفي ضريح بهاؤالدين في بخارى في كل وقت وخصوصا
في ليلة الاربعاء ، وفي بلخ في الربيع في مزار سخي ، وفي موسم معين .

الدين الجشتى فى اجير الهند . ويسمونه اجير شريف ، وكذا حوالى
 خبر عبد القادر الجيلانى فى بغداد، وتسميتهم أنه غوث أعظم ، وكذا فى
 كربلاء ؛ ومشهد وطوس ، وكذا فى البلاد المصرية فى احمد رفاعى
 وسيدنا حسين وست زينب وهكذا امثاله كثير فى انحاء الدنيا ، قال
 ابن تيمية فن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشرية
 ذلك فهو من المنكرات و بعضها أشد من بعض ، سواء كانت البقعة
 شجرة او غيرها او قناة جارية او جبلاً أو مغارة ؛ وسواء قصد بها لصلى
 عندها أو ليدعو عندها أو ليقرا عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو
 لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع
 تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً ، وافصح من ذلك ان ينذر لتلك البقعة
 دهنًا انتور به ، فان هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به ؛
 بل عليه كفارة عند كثير من أهل العلم منهم أحمد فى انشهور عنه ، ورواية
 عنه وهى قول أبى حنيفة والشافعى وغيرهما انه يستغفر الله من هذا النذر ولا
 شئ عليه ، وكذلك إذا نذر للسدنة أو المجاورين المالكين بتلك البقعة ،
 فان هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التى كانت للات والعزى ومنات ،
 يأكلون أموال الناس بالباطل يصدون عن سبيل الله ، والمجاورون هناك
 فيهم شبه من المالكين الذين قال لهم الخليل ابراهيم امام الخنفاء عليه السلام
 ﴿ ما هذه النمايل التى أنتم لها عاكفون ﴾ وكما مر موسى عليه السلام
 ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾
 فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين فى هذه البقاع إلى لافضل فى الشريعة

المجاورين بها نذر معصية ، وفيه شبهة من النذر لسدنة الاوثان والصابان والمجاورين عندها ، أو السدنة الانداد التي بالهند المجاورين عندها .

ومن صفة أهل الضلال مخالفة أمر الله ورسوله وعدم القبول والاذعان به ؛ كما قال الله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم : ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾

ومن صفات أهل الضلال التقليد الجامد للآباء والتقليد والعادات الجاهلية مما يخالف الشريعة الحقة المحمدية ، قال الله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على أثارهم مقتدون ﴾

قال العلامة ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس ، أو نقد العلم والعلماء ومن صفة أهل الضلال الذين لبس ابليس عليهم على هذه الأمة في عقائدها من طريقين ؛ أحدهما التقليد الآباء والاسلاف ، والثاني الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه ؛ فوقع اصحاب هذا القسم في فنون من التخليط ؛ فاما الطريق الاول فإن ابليس زين العقائد التقايد فضّل به خلق كثير ، وبه هلك عامة الناس ، وان اليهود والنصارى قلّدوا آباءهم وعلمائهم فضلوها ، وكذلك أهل الجاهلية .

واعلم أن في التقليد انبطال منفعة العقل ، لانه انما خلق للتأمل والتدبر ، وقبيح بمن اعطى شمة يستضيئ بها أن يطافئها ويمشي في

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص
فيتبمون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر
ينبني أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال علي رضي الله
تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال
أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد في إعتقاده
رجلا . واما الفرعيات فيصح للعاي التقليد فيها لمن سبر ونظر . وأما
الطريق الثاني فككثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود النخ
فان قلت ان كان طريق المقلدين في الاصول وطريق المتكلمين
هكذا فما الطريق السليم من تلبس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه
رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه باحسان من إثبات الخالق سبحانه
وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والاخبار من غير تغيير ولا بحث
عما ليس في قوة البشر إدراكه .

وفي إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية . فن أوصاف الضالين
الانهم ياك في البدع والمحدثات في الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات
في الدين ما أحدثه بعض الناس أمامضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه
السلام وأما محبة للنبي ﷺ وتعظيمه له . والله يثيبهم على هذه المحبة
والاجتهاد لا على البدع من إتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله
السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف
أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمه له منا وانما

كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين نجدونهم حراساً على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجردوا فآثرين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانعم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . بمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه . أو يصلي فيه قليلاً ، بمنزلة من يتخذ المصاييح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما في الحديث « ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومي حفظه الله عز وجل ؛ فانخير كل الخير في اتباع ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الامور الدينية . وقد قال في جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير في اتباع من سلف كل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون
الاخير والائمة ذوو الوفا رضي الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان
كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة
له من الجهال وان كان في صورة الائمة او المشايخ . واصحاب العمام

الكبار وقد اخبر الرسول سيدنا محمد ﷺ ان امته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة فكلها تكون اهل الضلالة فتستحق النار فتدخلها الا فرقة واحدة وهي التي تمسك بسنته ﷺ وبسنة خلفائه الراشدين رضى الله تعالى عنهم اعتقادا وقولا وعملا . وهم اهل السنة والجماعة . جمعنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرة منهم . وجماع الفرق الضالة هو أنهم يعتقدون بمقيدة بدعية ويعملون باعمال محدثة بزعم أنها قربة ومثوبة . وان صلوا وصاموا وزكوا وحجوا وزعموا أنهم مسلمون . فيها انا اذكرك جملة من اخبار الرسول ﷺ التي اذا تدبرتها وتفكرتها يظهر لك اهل الحق من اهل الضلال واهل الفلاح من اهل الشقاء .

قال الحافظ الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح . عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . رواه البخاري ومسلم وغيرهما

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . رواه مسلم وغيره

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ أبغض الناس الى الله ثلاثة ملحد في الحرم . ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية . ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه . رواه البخاري وغيره

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا أئنا نحن

من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم
أما أنا فاصلي الليل أبدا . وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر . وقال
الآخر أنا اعتزل النساء . ولا أتزوج أبدا . جاء النبي ﷺ إليهم فقال انتم
الذين قلتم كذا وكذا . أما والله اني لآخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم
وأفطر . وأصلي وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني
روا البخاري ومسلم وغيرها

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « يكون
في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم
ولا آباؤكم وأياكم لا يضلونكم ولا يفتنونكم . رواه مسلم ، أي
يتحدثون بالأحاديث الكاذبة ويبتدعون أحكاما باطلة واعتقادات فاسدة
وكذا رواه .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب
 يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون
مألا يفعلون ويفعلون مالا يؤصرون ، فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن
جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس
وراء ذلك من الأيمان حبة خردل رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال خطبنا رسول
الله ﷺ خطباً ثم قال « هذا سبيل الله ثم خطب خطوطاً عريضة وعن
شماته وقال ههنا سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ ﴿ وَنُفِ

هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴿ الآية . رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم
وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « من احب سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الاجر
مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ، ومن
ابتدع بعده ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام
من عمل بها الا ينقص ذلك من اوزارهم شيئاً . رواه الترمذي وابن
ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ
« لياثنين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان
منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين
ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه
واصحابي ، رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه
أبو هريرة رضي الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ، وفي رواية أحمد
وأبي داود عن معاوية رضي الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى
بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا
حفصل الا دخله ، وكذا رواه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد . رواه البيهقي في كتاب الزهد له .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اتوا الجدل ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ رواه احمد والترمذي وابن ماجه وقال الفارسي في المرقاة المراد من الجدال هنا التعصب لترويج مذهبهم من غير ان يكون لهم دليل . وذلك محرم .

وعن انس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلک بقایام فی الصوامع والديار ﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ رواه ابو داود وغيره .

وعن الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى مرسل قال قال رسول الله ﷺ تركت فيكم امرين ان تضلوا ما تمسكن بهما كتاب الله وسنة رسوله رواه مالك في موطنه وغيره .

وعن غضيف بن الحارث الثمالي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احدث بدعة رواه احمد وغيره .

وعن ابراهيم بن ميسرة رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ﷺ من وفر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام . رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلا . وكنا .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وفي رواية قال من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلى هذه الآية ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ رواه رزين وغيره .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تموجوا . وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد ان يفتح شيئاً من تلك الابواب قل ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تاجه ثم فسرره فاخبر ان الصراط هو الاسلام وان الابواب المفتحة محارم الله وان الستور المرخاة حدود الله . وان الداعي على رأس الصراط هو القرآن وان الداعي من فرقته هو واعظ الله في قلب كل مؤمن رواه رزين واحمد والبيهقي في شعب الایمان . وكذا رواه الترمذي بنوع اختصار .

وفي آخر كتاب العلم من المشكاة المصابيح عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه . ولا يبقى من القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى : علمؤهم شر من نحت أديم السماء . من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود رواه البيهقي في شعب الایمان .

وفي باب السمعة منه . عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال

رسول الله ﷺ سيخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدين
« أي يخدعون ويطلبون » يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، السنهم
أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله تعالى أبي يغترون
أم على يجترؤن ، في حلفت لا بعثن على أوائلك منهم فتنة تدع الحليم
فيهم حيران » رواه الترمذي قلت الآ يصدق هذه الاوصاف على صوفية
العصر وقلندريته الذين يتعيشون في التسكيات والزوايا والخانة قاهات ، وتلك
الفتنة كفتنة الاورباويين والبلاشفة .

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لتابعين
سنة من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
تبعتموهم ، قيل يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال فمن . رواه الشيخان وقال
القاري في شرحه المرقاة ، المراد طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها
من تلقاء أنفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم الخ .

وفي كتاب الفتن منه ، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال كان الناس
يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن
يدركني ؛ قال قلت يا رسول الله أنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير
فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير
قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه . قال قوم يستننون بغير سننني ويهدون
بغير هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من
شر ، قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت
يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما

تأمرني ان أدركني ذلك ، قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك ، متفق عليه ، وفي رواية لمسلم ، قال يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنون بسنتي ، وسيعوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحيمان أنس ، قال حذيفة قلت كيف اصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك . قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع .

وعن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما أخاف على امتي الأئمة المضلين ، وأذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي .

وعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « ان بين يدي الساعة كذايين فاحذروهم » رواه مسلم . قال القارى في المرقاة : كالذين يدعون النبوة ، ويدعون أهواء فاسدة ويستندون ذلك الباطل اليه ﷺ كاهل البدع كلهم . قلت كما كثر مشائخ الطرق القبوريين والملاحدة المتجددين أصحاب العقول السخيفة والآراء الباطلة .

وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « اني فرطكم على الخوض من مرّ على شرب ، ومن شرب لم يظأ أبداً ، ليردن على أفوام أعرفهم : يرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم فاقول أنهم مني ، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي »

متفق عليه . وفي رواية احمد كما رواه ابن كثير في تفسيره وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر حوض ونهر اعطانيه ربي عزوجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد السكواكب ، فيحتاج العبد تمنهم ، فاقول يارب أنه من أمتي ، فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسبثون الفعل ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه ثم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون الى كتاب الله ولايسوا منه في شيء ، من قتلهم كان أولى بالله تعالى منهم قالوا يا رسول الله ما سيأمر قال التحليق » وفي رواية : التسميد والتحليق . قال أبو داود التسميد استئصال الشعر . وفي رواية على رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليست فرائثكم الى فرائثهم شيئاً ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ولا صيامكم الى صيامهم شيئاً ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

ثم ان المحقق الامام ابا اسحاق ابراهيم اللخمي الشاطبي رحمه الله تعالى قد اتى في كتابه (الاعتصام) بجمل من علامات اهل البدع

والضلالة ؛ وقد حقق وأفاد ، قال رحمه الله تعالى ان الاسلام قد كل وتم واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، واكثر قرن الصحابة رضی الله تعالى عنهم الى ان نبغت فيهم نوايغ الخروج عن السنة ، وأصغوا الى البدع المضلة كبدعة القدر ؛ ثم لم تزل الفرق تكثر حسبما وعده الصادق ﷺ في قوله « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت امتي على ثلاث وسبعين فرقة » وفي الحديث الآخر « لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وهذا الحديث أعم من الاول فان الاول عند كثير من اهل العلم خاص باهل الاهواء ، وهذا الثاني عام في المخالفات ، وكل صاحب مخالفة فمن شأنه انه يدعو غيره اليها ، ومن سنة الله في الخلق ، ان اهل الحق في جنب اهل الباطل قليل ، لقوله تعالى ﴿ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ ولان الهوى قد يتداخل في الانسان ، وسبب الخروج عن السنة الجهل بها ، فاندست رسوم السنة حتى مدت البدع أعناقها ، فاشكل على الجمهور مرماها ، فبدأ الدين غريباً كما بدأ ، ولكن مع ذلك لا يزال ولن يزال طائفة من النصحاء في الارض من عباد الله تعالى يعرضون أهمال العباد على كتاب الله فاذا وافقوه حمدوا الله ، واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى ، فاولئك خلفاء الله تعالى في الارض .

قال البدعة طريقة في الدين مختوعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك

عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ؛ كالاختصاص في الاقطاع للعبادة ،
والاقتصار من الأكل والشرب والملبس على صنف دون صنف ،
وكالتزام الكيفيات والهيات المعينة في العبادات كالذكر بهيئة الاجتماع
على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً ، وكالتزام صيام يوم
النصف من شعبان وقيام ليلته وصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها
السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، إذا الإنسان لا يقصد الاستتباع
بامر لا يشابه المشروع ، لانه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع
نفعاً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه ، ولذلك تجدد المبتدع
ينتصر لبدعته بامور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف .
فانت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف
تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الاشرار ﴿ ما نعبدكم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وكترك الحس الوقوف بعرفة لقولهم ، لا نخرج
من الحرم اعتداداً بحرمته ، وكطواف من طاف بالبيت عرياناً قائلاً
لا نطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ، وما أشبه ذلك مما وجهه ليصيره
بالتوجيه كالمشروع ، ويقصدون بالسلوك عليهم ' المبالغة في التمسك بالله تعالى ،
وهو تمام معنى البدعة ، إذ هو المفسود بتشريعها ، والعامل بغير السنة
تديناً هو المبتدع بعينه ، والتارك للمطلوبات الشرعية ان تركها كسلاً أو
تضييعاً فهو عاص ، وان تركها تديناً فهو مبتدع .

لاخفاء ان البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها ، لان
اتباعها خروج عن الصراط المستقيم درى في عمائة ، وان الشريعة جاءت

كاملة لا تحمل الزيادة ولا النقصان ، كما ثبت نصاً ، فان كان كذلك .
فالمبتدع إنما محمول قوله بلسان حاله أو مقالة ، ان الشريعة لم تنم ؛ وانه .
بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لانه لو كان معتقداً كلها .
وتناسها من كل وجه لم يبدع ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن
الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون سمعت مالكا رحمه الله تعالى يقول ؛ من ابتدع
في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ،
لان الله تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ
ديناً فلا يكون اليوم ديناً ، فمن يبتدع شيئاً في الدين فهو ضال ، أما
يكفيك ما كفى من م خير منك ومن شيوخك ألا وهم الصحابة
والتابعون الاخير رضي الله تعالى عنهم .

قوله تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ قد جاء تفسيرها
في الحديث من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
ﷺ يا عائشة ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ من م قلت الله
ورسوله أعلم ، قال م أصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب الضلالة
من هذه الامة ، يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الاهواء
والبدع ليس لهم توبة ، وانا برىء منهم وم منى برآء .

قال الامام الاوزاعي رحمه الله تعالى ، بلغني أن من ابتدع بدعة
ضلالة آلفه الشيطان العبادة ؛ أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد
به ؛ فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجاه

وغير ذلك من أصناف الشهوات ، الا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات ، ومن مقاساتهم أصناف العبادات وهم مع ذلك خالدون في جهنم ، كما وصفهم النبي ﷺ « يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه » الحديث .

والمبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقد حكى عياض عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ، انه قال سألت مالكا اني أريد أن أحرم من مسجد الرسول ﷺ فقال لا تفعل فان هذا يخالف الله ورسوله اخشى عليك الفتنة في الدنيا والعذاب الاليم في الآخرة ؛ أما سمعت قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ قال وأي فتنة في هذا فأنما هي أميال أزبد لها . قال وأي فتنة أعظم من أن ترى لك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ . وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تعالى في تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم . فانهم يرون ان ما ذكره الله تعالى في كتابه وما سنه نبيه ﷺ دون ما احدثوا اليه بمقولهم .

وفي مثل ذلك قال ابن مود رضي الله تعالى عنه فيما روى عنه ابن وضاح لقد هديتم لما لم يهتد به نبيكم . وانكم تمسكون بذهب ضلالة . اذ صر بقوم كان رجل يجمعهم يقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة - بحان الله . فيقول القوم ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله ، فيقول القوم . يعني انه يلحق الناس التسبيح والتحميد بالكيفية التي ذكرها فمد ذلك بدعة . لان النبي ﷺ ما كان يلحق أصحابه بالذكر بهذه

الكيفية . ذلك بان الصحابة والتابعين لهم كانوا لا يتجاوزون في الدين حد الاتباع ولو الى مستحسن في الرأي . ويمدون من زاد في العبادة على ماورد ولو في الصورة والكيف مبتدعاً مفضلاً نفسه على الشارع واضحاً نفسه موضع من اهتدى الى ما لم يهتد اليه الرسول ﷺ في بيان كتاب الله وتبليغ دين الله . وبيان ما يوصل الى الله .

ولما تقرر ان البدعة ضلالة . وان المبتدع ضال ومضل . ومن صفات أهل الضلالة الاختلاف والتفرق شيعاً وتفرق الطرق . كما تشهد به الآيات والاخبار . ولا تجدد مبتدعاً ممن ينسب الى الملة الا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعى . فينزله على ما وافق عقله وشهوته . وهو امر ثابت في الحكمة الازلية التي لا مرد لها . قال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية .

ثم ان بعض المفسرين وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى . ولكن لا يبعد أن يقال ان الضالين يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم كان من هذه الامة او لا . اذ قوله تعالى ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ عام في كل ضال كان ضلاله كضلال الشرك او النفاق . أو كضلال الفرق الممدودة في الملة الاسلامية وهو ابلغ وأعلى في قصد حصر أهل الضلال . وهو اللائق بكلية فاتحة الكتاب والسبع المثاني . قال ومن جملة أهل البدع والضلال هؤلاء الفقهاء الذين زعموا انهم سلكوا طريق الصوفية . ولما تجدد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في

الصلاة الاعلى اللحن . فضلاً عن غيرها . ولا يعرف كيف يتعبد . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة . وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة ، فبانطيا من هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال أمثالهم وخرجوا عن الصراط المستقيم الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التاجين تشبه قرائته الغناء المذموم ثم يذكرون الله ويرفعون اصواتهم على صوت واحد يشبه الغناء (قلت بل مثل اصوات حمر جمعاء نهقت نهقا كما كان هو المشاهد في بلاد تركستان) ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح أولى بادراكه وفهمه والعمل به والا فإين في الكتاب أو السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ، وقد قال الله تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ والمعتدين في التفسير هم الرافعون اصواتهم بالدعاء ، وعن أبي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « اريتموا على انفسكم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم ، وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ؛ ولم يكونوا رضى الله تعالى عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهام من رفع الصوت ليكونوا ممثلين للآية ؛ وقد جاء عن السلف ايضاً النهي عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون ، وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ؛ وهي الربط التي يسمونها بالصفة .

وفقراء الوقت قد نخبروا بآيات وتميزوا باصوات، هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة. وقد صحح من حديث عرياض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب الحديث فقال الامام الآجري العالم السننى ابو بكر رحمه الله تعالى، ميزوا هذا الكلام، فانه لم يقل صرخنا من موعظة؛ ولا طرقتنا على رؤوسنا؛ ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنا ولا رقصنا؛ كما يفعل كثير من الجاهل يصرخون عند الموعظة وزعقون ويتناوشون، قال وهذا كله من الشيطان يلعب بهم وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا، اعلم ان النبي ﷺ اصدق الناس موعظة وانصح الناس لامته وارق الناس قلباً، وخير الناس من جاء بمده، ولا يشك في ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنا، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا احق الناس به ان يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وضلالة ومنكر؛ فاعلم ذلك ولا تكن من الجاهلين المالكين.

ومن البدع عمل جملة ممن ينتمى إلى طريقة الصوفية من تربصهم بيمض العبادات (المخترعة كختم خواجة وأوراد الفتحية ودلائل الخيرات واشدم من يلزم تلاوة قصيدة البردة) أوقاتاً مخصوصة غير ما وقته الشرع فيها، وربما وضعوا لانواع من العبادات لباساً مخصوصاً، واشباه

ذلك من الاوضاع الفلسفية يضعونها شرعية ، أى متقرباً بها إلى الحضرة
الالهية في زعمهم ؛ وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية ، كاهل التصريف
بالاذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفع
المنزلة ، بل ليقتلوا بها ان شاءوا أو يمرضوا أو يتصرفوا وفق اغراضهم .
فهذه كلها بدع محدثات بعضها أشد من بعض لبعده هذه الأغراض عن
المقاصد الشرعية الاسلامية الموضوعة مبرأة عن مقاصد المتخربين ،
مطهرة لمن تمسك بها عن أضرار اتباع الهوى . وهذا كله ان فرضنا أصل
العبادة مشروعاً ، فان كان أصلها غير مشروع فهي بدعة حقيقية مركبة
كالاذكار والأدعية التي يزعمون انها مبنية على علم الحروف . كما اعتنى به
البونى وغيره ممن حذا حذوه أو قاربه ، وكل ذلك ضلال ، واشبه بالسحر
وان ادعوا أنه كرامات .

وواضح البدعة يزعم أنه يتقرب بها إلى الله تعالى ، فهي عنده مما يلحق
بالمشروعات ؛ كجمل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقةً بأيام الاعياد
لأنه ﷺ ولد فيه ؛ وممن عد السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله تعالى بناءً
على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في ادبار
الصلوات دائماً ، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه
سنة محمد ﷺ ، ويقول انما كذبت له لاعليه وكل هذا بدعة وافتراف
على الشريعة .

قال وانما سمي أهل البدع أهل الاهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم
خلم يأخذوا الادلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها والتعويل عليها ، حتى

يصدروا عنها بل قدموا أهوائهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين ليل ما عندهم، أو طلباً للرئاسة، فلا بد أن يميل مع الناس بهوائهم يتأول عليهم فيما أرادوا وأرادوا. فبذلك فسدت الأمور وتغيرت الشريعة.

قال العبد الضعيف جامع هذه السطور محمد سلطان المعصومي الخجندی المهاجر المجاور الآن بمكة المكرمة اني كلما أشاهد ما في عتبة الكعبة المشرفة من الحجارة والشموع الموقدة صئيلة النور يتنفر عنها قاي واحسب هذا الفعل من الدخيل. لأنني قد شاهدت في كنائس النصارى وبيم اليهود ومعابد المجوس؛ البودا والبرهمة في بلاد الروس والصين والمغل والتبت والهند وأوروبا أنهم يوقدون المجامر والشموع في ابواب معابدهم وبين يدي صور معبوداتهم. ولهذا شبه من ذلك، والحال ان النبي ﷺ حذرنا عن المشابهة بهم؛ كما يوضح المسئلة حدث الاذان حين ذكر النافوس والنار ثم بعد زمان طاعت في كتاب الاعتصام للمحقق الشاطبي. قال ابن العربي أول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد كانوا باطنية يعتقدون آراء الفلاسفة فاحيوا المجوسية واتخذوا البخور في المساجد وإنما كانت تطيب بالخلوف، فزادوا التجمير الخ، وقل العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا في حاشيته، قال بعض المؤرخين، ان البرامكة زينوا للرشيدي وضع المجامر في الكعبة المشرفة ليأنس المسلمون بوضع النار

في أعظم معابدهم ؛ والنار معبود المجوس ، والظاهر ان البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب وإعادة الملك للمجوس ؛ وانما افتك بهم هارون الرشيد لانه وقف على دخائهم ، قل المعصومي فعلى هذا ثبت ان وضع الحجرة وإيقاد الشمع الضئيل النور على عتبة السكبة المشرفة مما دس اعداء الاسلام فيجب على ولى الامر العامل بالسنة منع ذلك ، مع ان المشاهد ان تلك الشمعة لا تفيد نوراً ، فانتبهوا يا ولى الالباب الابصار

ان أهل البدع وأصحاب الضلالات لهم خواص وعلامات يعرفون بها ، منها الفرقة التى نبه عليها قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى الى يوم القيامة ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ قال بعض العلماء صاروا فرقا لا تباع احوالهم ، وبغارقة الدين تشتت احوالهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى ﴿ ان الذين فرفقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ ثم برأه الله تعالى منهم بقوله ﴿ لست منهم فى شئ ﴾ وم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات . وقد وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا فى احكام الدين ولم يتفرقوا ، ولا صاروا شيعاً لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما أذن لهم من الاجتهاد . والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً ، كاختلاف أبى بكر وعمر وعلى وزيد رضى الله تعالى عنهم فى الجدة مع الأم ونحوه . فاختلّفوا فيه وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، واخوة الاسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء

المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ وظهرت العداوات وتحزب أهلها
فصاروا شيعاً . دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثه التي القاها
الشيطان على افواه اوليائه .

فكل مسألة حدثت في الاسلام واختلف الناس فيها ولم يورث
ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا انها من مسائل
الاسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجب العداوة والبغضاء والتدابر
والقطيعة علمنا انها ليست من أمر الدين في شيء . وانها التي عني
رسول الله ﷺ بتفسير الآية . وذلك ما روى عن عائشة رضي الله
تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة د ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعاً ﴿ من هم ، قلت الله ورسوله اعلم ؛ قال هم اصحاب الاهواء
 واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة الحديث ؛ قال فيجب
على كل ذي عقل ودين ان يجتنبها ، والاسلام يدعو إلى الالفه والتحاب
والتراحم والتعاطف ، فكل رأى ادى إلى خلاف ذلك نخرج عن الدين .
ومن خواص أهل البدع والضلالات ما نبه عليه قوله تعالى ﴿ فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية فيثبت الآية ان أهل الزيغ
يتبعون متشابهات القرآن ، ومعنى المتشابه ما اشكل معناه ؛ ولم يبين
مفراه ومن علاماتهم اتباع الهوى ؛ وهو الذى نبه عليه قوله تعالى
﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ والزيغ هو الميل عن الحق اتباعاً للهوى ،
وكذلك قوله تعالى ﴿ ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾

افرأيت من اتخذ الهة هواه واضله الله على علم) وقد قررنا ان اصل الضلال وحدث الفرق انما هو الجهل بمواقع السنة .

قال الامام مالك رحمه الله تعالى ان العبد لو ارتكب جميع الكبائر بعد ان لا يشرك بالله شيئا وجبت له ارفع المنازل لان كل ذنب بين العبد وربه هو منه على رجاء . وصاحب البدعة ليس هو منها على رجاء ، انما يهوى به في نار جهنم لكونه اعتقد ببدعته خيراً وثواباً . انتهى ما خصاً .

قال العلامة البركوي محمد بن بير على الرومي الحنفي في كتابه الطريقة الحمديدية ، بعد ما ذكر الاحاديث الواردة في ذم البدعة وضررها ، ان للبدعة معنى لغوي عام وهو المحدث مطلقاً عادة او عبادة ، ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولاً ولا فعلاً ولا صريحاً ولا اشارة ؛ فلا يتناول العادات أصلاً ، بل تقتصر على الاعتقادات والعبادات ؛ فهذه هي مراده عليه السلام بدليل قوله عليه السلام « فعايكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ومن احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله عليه السلام « أنتم اعلم بأمور دنياكم » والبدعة في الاعتقاد هي المتبادرة من اطلاق البدعة والبدعة في الاعتقاد هي اكبر من كل كبيرة في العمل حتى القتل والزنا والبدعة في العبادة وان كانت دونها لكنها ايضاً منكرو ضلال ، لاسيما اذا صادمت سنة مؤكدة . واما البدعة في العادة كالمخل فليس فعلها ضلالة ، بل تركها أولى . فظهر ان البدعة ثلاثة اصناف مرتبة في القبح . ثم

ان فعل البدعة اشد ضرراً من ترك السنة ، لان الفقهاء قالوا اذا تردد في شيء بين كونه سنة أو بدعة فتركه لازم .

فان قيل ان ما سبق قد دل على ان الكتاب والسنة كافيان في أمر الدين ، وان ما لم يثبت باحدهما بدعة وضلالة ، فكيف يستقيم قول الفقهاء الادلة الشرعية اربعة ، قلنا لا بد للاجماع من سند من احدهما حالا ومالا على الصحيح ، والقياس من اصل ثابت باحدهما ، وأنه مظهر لا مثبت ، فراجع الاحكام ومثبتها اثنان في الحقيقة ، فظهر من هذا أن ما يدعيه بعض المتصوفة في زماننا إذا أنكر عليهم بعض أمورهم المخالف للشرع الشريف ان حرمة ذلك في العلم الظاهر وأنا أصحاب العلم الباطن وأنه حلال فيه ، وأنكم تأخذون من الكتاب وانا نأخذ من صاحبه محمد ﷺ ، وذلك كله من الترهات والحساد وضلال ، ويجب على كل من سمعه من المؤمنين الانكار على قائله : والجزم ببطلان مقاله بلا شك ولا تردد والا فهو من جملتهم ، فيحكم بالزندقة عليهم .

ومن الامور المبتدعة الباطلة التي اكب الناس عليها على ظن انها قرب وطاعات استتجار القاريء ، اتلاوة القرآن ووقف النقود عليها والامر باعطاء ثوابها الى ارواح من يريد الامر والوصية بذلك ، فكل هذا باطل وضلال : وقال عطاء الله السكندري في حكمه أن من علامة اتباع الهوى الاهتمام والانهماك في نوافل العبادات مع التساهل في الفرائض والواجبات ، وكذا نقله النازلي في آخر كتابه خزينة الاسرار .

قال العبد الضعيف وقد صرح العلماء بان الالهام ليس من أسباب المعرفة

بالحكام ، وفي العقيدة النفسية والالهام ليس من أسباب معرفة الحق بشئ ، عند أهل الحق ، وكذلك الرؤيا في المنام خصوصاً اذا خالفا كتاب العليم العلام ، أو سنة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وقد قال سيد الطائفة الصوفية جنيد البغدادي رحمه الله تعالى الطارق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ ، وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى ، لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف يجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود . الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المصوى عافاه الله تعالى ، وإنما طولت الكلام في شأن أهل الضلال وصفاتهم لكثرة شعوبهم وتشتت سبلهم وتفرق مذاهبهم ليعرفوا فيحترزوا ؛ لان من عرف السم اجتنب ومن جهل ربما وقع فيه فهلك ؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وشهدت التجربة فنسألك اللهم أن توفقنا إلى صراطك المستقيم الذي وفقت له أنبيائك وعبادك الصالحين ؛ واحفظنا ياربنا عن الوقوع فيما وقع فيه الذين غضبت عليهم وعمما وقع فيه أهل الضلال . آمين .



الخاتمة في (آمين)

قال الحافظ العماد ابن كثير في تفسيره يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يسين ، ويقال آمين بالقتصر أيضا ، ومعناه اللهم استجب ، والدليل على استحباب التأمين ما رواه الامام احمد وابو داود والترمذي عن وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ قرا ﴿ غير المذنوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال آمين . مذهبنا صوته ، ولا يبي داود رفع بهاصوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وروى عن علي وابن مسعود وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا تلا ﴿ غير المذنوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول ، رواه ابو داود ، وابن ماجه ، وزاد فيه فیرتج بها المسجد قال الدارقطني هذا اسناد حسن .

ونقل ابو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق رحمهما الله تعالى انهما اشددا الميم من آمين مثل ﴿ آمين البيت الحرام ﴾ قال الشوكاني في نيل الاوطار خطأ جماعة هذه الرواية ، قال اصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموماً وجميع الاحوال ، لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال اذا أمن الامام فامنوا ، فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ما تقدم من ذنبه ، وفي مسلم عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه مرفوعا اذا قال ؛ يعني الامام ﴿ ولا

الضالين ﴿ فقولوا (آمين يحبكم الله) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله ما معنى آمين ، قال رب افعل ، قال الجوهرى معنى آمين كذلك فليكن وقال الترمذى معناه لا تخيب رجاءنا ، وقال الا كثرون معناه اللهم استجب لنا ، وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف رحمهم الله تعالى ، ان آمين اسم من أسماء الله تعالى ، وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال (آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين) وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي الا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيب لكم ، فأمين هارون نزل منزلة من دعا لقوله تعالى ﴿ قد أجيبتم دعوتكما ﴾ فلهذا قال من قال ان المأموم لا يقرأ لان تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قرائتها ، ولهذا جاء في الحديث « من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » رواه احمد في مسنده النخ .

قال الامام محي السنة البغوى في تفسيره ، والسنة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصلاً عن الفاتحة بسكته وهو مخفف ويجوز ممدوداً ومقصوراً ، ومعناه اللهم اسمع واستجب وقيل هو طابع الدعاء ، وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنه من الفساد وظهور ما فيه النخ .

قال العلامة البيضاوى في تفسيره ، آمين اسم الفعل الذى هو استجب ، وليس من القرآن وفاقاً ، ولكن يسن ختم السورة به لقوله

ﷺ علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة ؛ وقال انه كاتم
على الكتاب ، وفي معناه قول على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب
العالمين ختم به دعاء عبده . الخ .

وقال شيخ الاسلام برهان الدين على المرغيناني في الهداية . آمين
المد والقصر فيه وجهان ، والتشديد فيه خطأ فاحش .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر وفي حرم الله المجاور محمد
سلطان المعصومي ، فنحمدك اللهم وأنت رب العالمين الرحمن الرحيم .
مالك يوم الدين . فإياك نعبد وإياك نستعين . واهدنا الصراط المستقيم
الذي أنعمته على عبادك الصالحين من الانبياء والصديقين وعبادك
المؤمنين ؛ وأدم لنا التوفيق للقيام بذلك ، واحفظنا ياربنا عن صراط
المنغضوب عليهم وطرائق الضالين من المشركين والمنافقين والكافرين
والزنادقة والملحدين والائمة السجالين المضلين وشياطين الانس والجن
أجمعين ؛ وأسألك اللهم ياربنا أن تجعل هذا التأليف خالصاً لوجهك
الكريم ، وان تنفع به عبادك المؤمنين ، وأن تهدي به الضالين ، فتجمله
ذكراً لي عندك وذخراً ليوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
آتى الله بقلب سليم ؛ يارب ان العبد الغريب المسكين ، البعيد عن
الاولاد والاقارب والاهل ومن المنكوبين ، املتجئ إلى بابك في
جوار بيتك المعظم ، فاحفظ اللهم اولادى الذين تركتهم في بلاد ما
وراء النهر من خجندة والصين ، ويسر لهم الطريق وأوصلهم إلى
حرمك وحرم رسولك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين ، ويأجيب

السائلين ، وياجبر من استجارك يارب العالمين ، يارب تمت اليك فهب لي نوراً من انوارك ، وعلماً نافعاً ورزقاً حلالاً طيباً واسعاً ، ولا تحوجني إلى غيرك ، وأغنني بفضلك عن سواك ، وارزقني الحسنى واختم عمري بلا إله إلا الله خالصاً ومخلصاً ، فاني لا أعبد إلا إياك ، ولا أستعين إلا بك ، ولا اتجئ إلا اليك ، وانا العبد العاجز المسكين لديك .

هذا آخر ما أردت تحريره مما التقطته من مقالات السلف الصالحين المتملقة بتفسير فاتحة الكتاب حسب فهمي القاصر وعقلي الفاتر ، ولعل ما تركته أكثر مما ذكرت ، فالحمد لله حسبي وعليه اعتمادي في مبدئي وممادي ، وآخر دعوانا سبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك ضحوة يوم الاحد الرابع عشر من شهر صفر عام (١٣٥٦) هـ . المطابق ٢٥ من شهر ابريل (١٩٣٧) م . في مكة المكرمة في مسكني في رباط خجند الكائن في أول زقاق البخارية من محلة المسفلة قريباً من مسجد الحرام بقلم جامعه العبد الضعيف الغريب المهاجر المجاور بهذا البلد الامين محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم المسكن المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية . تم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لخدمة العلم ونشره من منذ عنقوان الشباب الى آخر شبابه والصلاة والسلام على رسول الله الذي بلغ اليقاعن الله تعالى ما يحبه من دينه وشرعه ورضى الله تعالى عن صحابته وعلماء دينه الذين بلغوا اليقنا ما ثبت عنه ﷺ من قوله وفعله وتقريره باسائيد متصلة وطرق صحيحة بايضاح سبيله وإزالة خفائه .

أما بعد فقد وفقني الله تعالى لطبع تفسيرى لام القرآن الذى سميتـه (أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن) فى مطبعة أم القرى الكائنة فى مكة المكرمة بنفقة (الملك الممظم مالك المملكة العربية السعودية) (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . فجاء بمون الله تعالى على أحسن شكل وأجل حرف وقد كنت طبعت قبل هذا مقدمة لهذا التفسير وكنت سميتها (مختصر ترجمة حال محمد سلطان الذى كتبه مقدمة لتفسير أم القرآن) وكانت جزءاً من رسالتى (حكم الله الواحد الصمد فى حكم الطالب من الميت المدد) وكان طبعهما فى مصر فى مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه بتاريخ ٢ / ٥ / ١٣٥٥ واكتفينا بهذا عن إعادة طبعها هنا فمن أراد الوقوف على تلك المقدمة فعليه بها فانها نافعة ومفيدة وصادرة عن تجارب صحيحة وهى توجد عند المؤلف بكية وافرة أسأل الله تعالى أن يجعل مؤلفانى خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز الى جنات النعيم وأن ينفع بها العباد فى عامة البلاد آمين .

وللمؤلف مؤلفات أخرى يريد طبعتها ونشرها ان يسر الله تعالى
مؤنة الطبع بحول الله تعالى وقوته وهاك بيانها .

(١) « حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين » مرتب على المواد
وعدها الف مادة كل واحدة منها مثبتة بالآيات والاحاديث والآثار .

(٢) « القول السديد في تفسير سورة الحديد » باللغة التركية
الازبكية قد بين فيه مافيه سعادة الدنيا والآخرة .

(٣) « رفع التشكيك عن مظالم البلشفيك . او من البولشوفيك
وما البولشوفيزيم » قد بين فيه ما شاهد به بعينه ما فعلته البلاشفة من
الظلم والمدوان والتدمير والتخريب .

(٤) « تحفة الخواص في تفسير آية الكرسي والاخلاص »
وهي باللغة التركية الازبكية . وغيرها من المجموعات .



فهرست

اوضح البرهان

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
الفاتحة تشمل على الاشارة لجميع ما ورد في القرآن .	٢٢	الخطبة المشتملة على الآيات المشيرة الى التملك بالقرآن	٣
فصل في ما ورد في فضل الفاتحة	٢٧	شعور بعض المسلمين الى ذهاب مجد اصلافيهم عليه	٥
فصل في انواع الكفر والشك الذي كان في عصر النبي ﷺ ونزل القرآن لبيانه .	٢٩	مقدمة في لزوم فهم معاني القرآن	٧
المشركون يقررون بتوحيد الربوبية فدعاهم النبي ﷺ الى توحيد الالهية .	٣١	من هجران القرآن ترك تفسيره وتفهمه وترك العمل به	٩
ان جميع الكفار المشركين يقررون بوجود الله تعالى .	٣٢	شال من قرأ القرآن ولم يفهم معناه ولم يعمل بأوامره	١٢
الذكر بالاسم المفرد الله ذكر شرعي او بدعي بل بدعي ولاشك فيه .	٣٤	فصل هل تدفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقادات والقلب	١٥
فصل في بيان التعمد من الشيطان الرجيم في ابتداء القراءة وفي كل الازمان والحالات	٣٦	صورة الصلوة والاسلام لا تدفع من النجاة الاخرية شيئا بل لا بد من الاعتقاد الصحيح	١٧
ان في التعمد خمسة اركان الاستعاذة لا تتم الا بعلم وحمل وعمل	٣٧	المقصد من الجوز والوزله لا فشره وانما هو للوقاية .	١٨
	٣٨	فصل الفاتحة ام الكتاب وام القرآن	٢٠
		نزلت هذه السورة لتعليم العباد احوال مبادئهم ومعادهم .	٢١

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ومن صفات الشيطان الامك والبهتان ومن حربه الائمة الدجالون وبيان خطوات الشيطان	٦٠	٤١ تنبيه في تحقيق لفظ الجلالة الله ومعناه .	
ومن خطوات الشيطان ترك الاسباب الطبيعية اعتمادا على اهل القبور وصلاحاتهم الغيبية	٦٢	٤٣ فصل في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته .	
ترجم العنصرية بالاذكار يشبه ترجم الرهبان في الكنائس	٦٣	٤٤ في حكم الاستمادة انها واجبة او مستحبة .	
ومن صفات الشيطان الاسراف والتبذير والتشبيه بالكفار والظالمين ان للشيطان جندين عظيمين والفعلة والشهوة . ووصا ابليس لبنيه الدماء السوء هم الشياطين .	٦٤	٤٦ كما ان الاستمادة واجبة في اول القراءة كذلك تلزم في كل الحالات	
قصه ابليس والشيطان الايض وبرصيصا الراهب	٦٥	٤٨ فصل في بيان عداوة الشيطان لبني آدم .	
كيف حال الخوارق وما يزعمه الناس كرامات	٦٦	٤٩ الشيطان كما يكون من الجن كذلك يكون من الانس .	
ما يفعله سدنة القبور من الدجل والخرافة	٦٧	٥١ ما اضل المسلمين الا الائمة المضلون	
بيان ما دسه المبشرين في المسلمين وبيانهم	٦٨	٥٢ فصل في خواص التعموذ وتفعله .	
اعلم ان كل قبح ينسب الى الشيطان اتخاذ التجار من صورة الجاحظ تمثالا للشيطان	٧٣	٥٤ فصل للشيطان انما يطلب على من يطبعه ويواليه .	
	٧٤	٥٥ فصل ان الشيطان لما كان عدوا لجميع بني آدم كان الانبياء اكثر استمادة منه .	
		٥٧ فصل التعموذ انما يكون بالله وباسمائه وصفاته لا غير	
		٥٨ في بيان صفات الشياطين من بني آدم الكبر وعدم قبول الحق	

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
العالم كله مفتقر الى الله في وجوده وبقائه	١٠٠	سر تقديم النعوذ على التسمية	٧٥
تربية النطفة في الرحم . والحبة والشجر والنبات .	١٠١	فصل في احكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله	٧٦
سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان في المبدء والمعاد .	١٠٢	سر التسمية في اول الامور ومعناها	٧٨
مرد الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه . وأعاد أنه رب العالمين .	١٠٣	فصل في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا	٨٠
من يتأمل في هذه الآيات تدبّر له الحقيقة .	١٠٦	فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه	٨٤
ان التربية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب سواه .	١٠٧	تفسير الحمد لله رب العالمين	٨٨
التربية قسمان حقيقية وظاهرية .	١٠٨	كيفية تربية الله تعالى للعالمين	٩٠
الحقيقية مختصة بالله تعالى والظاهرية انواع . واما التربية التي تدعيها الصوفية فضلالة وثنية .	١٠٩	ما قال زهرة لرستم مقصدا اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله	٩١
تربية الله للعالمين ليست لحاجة به اليوم بل بمحض رحمته .	١١٠	الحمد يكون على مقدار علم الحامد	٩٢
ان الحوادث قسمين ما يظن انه رحمة مع انه عذاب . وما يظن انه عذاب مع انه في الحقيقة رحمة وفضل وامثلته	١١١	حكاية المؤلف ومدح الرجل الذي لم يطالع كتابه وارساله المقص وقص الاورباوين أرضنا	٩٣
تفسير قوله تعالى (مالك يوم الدين)	١١٢	ان كثيرا من قرائننا يمشي بقرائنه كالخمار يحمل اسفارا .	٩٥
فان قيل أليس كل الايام أيام جزاء والجواب عن ذلك .		الالف واللام في الحمد للاستغراق ومعنى الرب	٩٦
		ان شكر النعم واجب على المنعم عليه عقلا وشرعا .	٩٨
		الكفار أما معطاه واما مشركة .	

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
بين الكفر والاسلام	١٣١	ان التريية يعوزها امران الرحمة والشدة .	١١٣
لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية وحكم من يناحي من دون الله	١٣٢	تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه .	١١٤
حديث شجرة ذات انواع في حنين	١٣٥	الآيات المؤيدة لملك يوم الدين	١١٦
أن مشركي زماننا اشد شركا من مشركي الجاهلية	١٣٦	تفسير قوله تعالى (اياك نعبد و اياك نستعين)	١١٧
اول ما فرض الله على العبد الايمان بالله والكفر بالطاغوت	١٣٧	تحقيق معنى العبادة	١١٩
وقوع الشرك في هذه الامة	١٣٩	ان التوحيد أهم ما جاء لاجله الدين . وما بهت لاجله الرسل .	١٢١
تزيين القبور والنذر للخلق	١٤٠	الرياء ضربان . رياء النفاق ورياء العادة .	١٢٣
اتفق أئمة الاسلام على عدم جواز بناء المسجد على القبر	١٤٢	ما معنى حصر الاستعانة بالله مع (و تعاونوا على البر والتقوى)	١٢٤
من لا تتخذوا قبري عيداء . واللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد	١٤٣	حكم الذين يستعينون بالارواح و اهل القبور .	١٢٤
العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع	١٤٤	ما معنى النون في (اياك نعبد و اياك نستعين)	١٢٦
في كراهيته لدعاء بما قصد العز من هرشك و بحق فلان	١٤٥	العبد يقال على أربعة أضرب .	١٢٨
في عدم حوز التوسل بالميت مطلقا	١٤٦	كل من اخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . و اتخذ الاحبار اربابا	١٢٩
اي ميت كان الشريعة كالسفينة من خرج منها غرق . و المكوف على القبور شرك و حال اهل بخارى و عباد القبور	١٤٧	من دون الله ان اشد شرك الجاهلية الاشراك بالصالحين	١٣٠

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
علامه المشرك ذكر إلهه في كل حالة	١٦٤	الاستغاثة نوعان. الاستغاثه بالمحي	١٥٠
إذا قدم وإذا قام وإذا حمل شيئاً		وبالميت	
تشبيه الله تعالى من يدهو غيره	١٦٥	معنى اتخاذ الاحبار والرهبان ارباباً	١٥٢
من يطلب من السراب الماء		من دون الله ومصرف شئ من	
حكم من يتوصل غير قاصد للشرك	١٦٦	العبادات لغير الله شرك	
ولا معاند للإسلام		ومن الشرك ان يستغثت بغير الله	١٥٣
بناء القباب على القبور من علامات الكفر	١٦٧	او يدهو غيره	
وشماثره		قد وقع الشرك في هذه الامة كثيراً	١٥٥
تصور الشيطان بصورة الشيخ	١٦٨	بل زادوا على ما في الجاهلية.	
المستغاث به		ما حكم من يستنجد بأهل القبور	١٥٦
خاطب الله الناس بأن دينهم هو الذي	١٦٩	ما يقال ان هذا اقرب الى الله من	١٥٧
خلق السموات الخ فـ و المتفرد		فيجيب الله دعاءه	
بالتصرف والتدبير واستحقاق		لا يجوز التفريق بين عند	١٥٨
العبادة		القبر ولا الخلق ما وأن سؤال الميت	
الشرك يفسد الروح كما يفسد السهم	١٧٠	والغائب نبياً او غيره من المحرمات	
النافذ البدن اذا أصاب في القلب		الواجب على المبد ان يتوجه الى	١٥٩
أو الدماغ		الله تعالى الذي يحياه ويماته له	
ومن الناس من يسمون أنفسهم	١٧١	لا يجوز البناء على القبر ولا اسراج	١٦٠
موحدين وهم يفعلون ما يفعل جميع		المرج عليه	
المشركين ودعاء الاموات والغائبين		قد شاع الشرك في أهل البسيطة	١٦١
حال حافظ الاوراد الذي هو غافل	١٧٢	على أنواع شتى	
عن معناها		ومن اعظم البلوى التوجه الى الموتى	١٦٢
ان الارواح المقدسة لها تأثير عند	١٧٣	الواسطة الى الله نوعان ما هو حق	١٦٣
الفلاسفة ومن هذا الباب دخل		وما هو باطل	
الشرك وعبادة الارواح			

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
المقصود من زيارة القبور الدعاء للحيات والاعتبار لا طلب المدد	١٧٤	الذين يحجون الى القبور هم من جنس الذين يحجون الى الاوثان .	١٧٥
في حكمة الانتقال من الغيبة الى الخطاب في أياك زعمد .	١٨٥	ان من كمال الايمان بالله والرسول الاهتمام بما أمروا به والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان .	١٧٦
تفسير قوله تعالى (واياك نستعين)	١٨٦	كل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاهر الحج فانه مأوى للشياطين	١٧٧
اصل اصول البر انما هو توحيد العبادة وبيان عقيدة المنجمين .	١٨٧	ومن المنكرات الاعباد المبتدعة والارغائب .	١٧٨
والمبتلون بمرض الشرك اصناف .	١٨٨	انما يعين تركيب الادوية الطيب الحاذق .	١٧٩
حقيقة الشرك اعتقاد كون غيره تعالى متصفاً بصفة من الصفات الالهية ومنها انخذ الاحبار ارباباً وحكم منكرى الاشارة بالسبابة .	١٨٩	صور العبادات وهيئاتها تعبدية .	١٨٠
لا يجوز اعتقاد علم الغيب لمخلوق ما وحكاية البخاري الذي يقول ان الشيخ عبد القادر الجيلاني الغوث الاعظم .	١٩٠	الاستحباب في الافعال انما تثبت بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .	١٨١
التأجيل والتعريض عبارة عن تكوين نافذ في المسكوت .	١٩١	قصة زيد بن حارثة واستغاثته بالله ونجاته .	١٨٢
أمثلة الحج لغير الله ولغير بيت الله تعالى .	١٩٢	الجسد آلة للروح في اكتساب الاشياء النافعة .	١٨٣
ان من زندقة المشركين قولهم ان الملائكة والارواح تدبر اهل الارض .	١٩٣	وجه حصر العبادة لله تعالى وكذا الاستعانة .	١٨٤
بيان الايات التي تدل على ان المعبود المستحق لعبادة هو الله تعالى وحده .	١٩٤		

الموضوع	الترقيم	الموضوع	الترقيم
انما يسأل الله تعالى بالاسماء الحسنى	٢١٠	ان أصل دين الاسلام هو عبادة الله وحده .	٢١٠
واما سؤاله بذكر اسماء المخلوقين		او بجاه النبي ﷺ فبدعة والحاد	٢١١
او بجاه النبي ﷺ فبدعة والحاد	٢١١	كان عند الكعبة ثمانمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه .	٢١١
ان دين جميع الانبياء عليهم السلام	١٩٥	انما هو التوحيد والهدوة اليه	٢١٢
انما هو التوحيد والهدوة اليه	٢١٢	التوحيد نوعان . المقولي الخبري العلمي . والقصدي الارادي العملي	٢١٣
ان اس الاساس هو توحيد العبادة	٢٠١	واخلاص العمل لله .	٢١٣
فصل في وجوب توحيد العبادة	٢٠٢	سبب استحقاق الله تعالى العبادة	٢٠٣
سبب استحقاق الله تعالى العبادة	٢٠٣	لشرك اخفى من ديب النمل على صفاء سوداء .	٢٠٤
من الشرك ان يقول والله وحياتك	٢٠٤	يا فلان . او ماشاء الله وشئت .	٢٠٥
اصل منشأ الشرك لاغلوفى الصالحين	٢٠٦	جهال المشركين الاولين اهرف	٢٠٨
من اكثر من يدعي العلم من الخلف . وان شرك الاولين اخف	٢٠٠	من شرك اهل زماننا من وجوه	٢٠٩
من شرك اهل زماننا من وجوه	٢٠٩	شبهات الذين يعبدون الارواح	٢٠٩
شبهات الذين يعبدون الارواح	٢٠٩	واهل القبور ان الكفار الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون لا اله الا الله محمد رسول الله وهم يشهدون بذلك .	٢١٩
ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغيير الاسماء .	٢١٩	المعنى الكلي الجامع في العبادة هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق ادراك العقل	٢١٩

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
لا يقال ان هذا مستحب أو مشروع الا بدليل شرعى . وكلام كبار الصوفية .	٢٣٠	... التوحيد نوعان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية .	٢٢٠
توحيد بعض الصوفية وخطأ المعارف في عقيدته وقوله .	٢٣١	اتباع هذه الامة من قبلها في اتخاذ الانداد وعبادة غير الله واهل القبور .	٢٢١
التوحيد هو المدل . وأظلم الظلم الشرك .	٢٣٢	المعبادة انواع كثيرة منها السجود والدبح والدعاء والندى . وقول صاحب البردة يا أكرم الخلق .	٢٢٣
المشركون انما قصدوا تعظيم الرب تعالى ففاسوا الله على خلقه .	٢٣٣	ليس المراد من لا اله الا الله مجرد القول بل لابد من اعتقاد معناه والعمل بمقتضاه .	٢٢٤
لم يشرع الله تعالى التقرب اليه بالشفعاء والوسائط . والشرك انواع شرك التعاطيل وشرك الالهية . .	٢٣٤	أجهل الناس من يحتاج على الشرك بعمل الناس وكثرتهم . وانما أفسد عقيدة الناس العلماء الدجالون .	٢٢٥
الشرك في العبادة وأنواعه . واحكام اهل الرياء .	٢٣٥	علامة من تحقق في قلبه لا اله الا الله	٢٢٦
ان من خصائص الالهية التفرد بذلك الضر والدفع والعطاء والمنع	٢٣٦	يطابق الاله على الهوى المنبع الحب في الله والبغض في الله .	٢٢٨
مقالة الشيخ احمد السرهندي في هذه المسألة .	٢٣٧	ان محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول ومناعبته .	٢٢٩
السادة والجماعة مربوطة باتباع النبي ﷺ قلباً وقالباً	٢٣٨	المباعدات الشرعية هي الديبل الموصل الى الله تعالى ورضوانه .	٢٤٠
ان تعظيم مراسم الشرك والكفر شرك . وحكم بي بي سيه شنبه .	٢٣٩	حكم الذكر بالاسم المفرد . الله الله أ: هو هو .	
بيان غلطات الصوفية عموماً . والشيخ احمد السرهندي خصوصاً .	٢٤٠		

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ضرر التقليد وحال المقلدين والمقلدين	٢٤٩	من الشرك أخذ الحكم عن غير	٢٤٩
منع التقليد ومنع الائمة عن الاخذ بقولهم بلا دليل .	٢٥٠	الدلة الشرعية . واتخاذ البعض	
من جملة الشرك التولات والتناجيس	٢٥٢	اربابا من دون الله .	
مخاطبة المشركين محظور مرهوب	٢٥٣	اتخاذ الشفعة من الشرك . وبيان	٢٤٢
الشرك .		الانداد .	
الله قريب من عباده فلا حاجة الى الوسائط .	٢٥٤	لا بد في الحرب من العدد والعدة	٢٤٣
السلطان النبي لا يكون الا الله تعالى وحده .	٢٥٥	ولا يجوز الاعتماد على الاولياء	
المقصود من الدين تصفية الارواح	٢٥٦	والارواح . واعتماد جملة أهل	
وتخليص العقول عن الشوائب المعاصرة الشركية .		بخاري على نقشبند	
ما جرى على الرسول ﷺ في احد .	٢٥٨	من جملة الانداد من يتبع له في	٢٤٤
وحكم من يستغيث ويستنجذ بالاموات .		الدين من غير بيان . وحكم تارك	
بيان التلطيل والشرك الذي بين في القرآن .	٢٥٩	الاشارة بالسبابة في تشهد الصلاة .	
يجب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده .	٢٦٠	يجب النظر فيما حسنه الشرع وقبحه	٢٤٥
معنى الجبت والطاغوت :	٢٦١	فيلزم العمل بالحسن والاحترار عن	
الشرك غاية فساد الارواح لادواء الا الاقلام .	٢٦٢	القبائح .	
		سبب جهل المسلمين هو التصوف	٢٥٠
		وامله الجاهلون .	
		من اقبح القبائح قول جملة	٢٤٦
		الصوفية ان الشريعة غير الحقيقية	
		وحال صوفية الزمان .	
		ضرر ترك الاهتداء بالكتاب	٢٤٨
		والسنة واستبدال اقوال الناس	
		بيها . وضرر التذهب بذهب	
		خاص .	

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
لا يجوز اطلاق الحرام الا على ما علم	٢٧٧	من الناس من يسمى نفسه مسلماً	٢٦٣
تحريره قطعاً وبيان خطاه كثير		وهو يفعل فعل جميع المشركين .	
من المؤلفين في هذا الباب .		الدعاء هو العبادة ومعني الحصر فيه	
حكم الايراد والاحزاب البديعية	٢٧٧	والعبادات الرسمية تعليمية تكليفية	
كدلائل الخيرات مثلاً		ودعاء عبادة القبور	
لا يعلم ما يرضى الله الا بواسطة	٢٧٨	الرهبانية في النصرانية وكذا في	٢٦٦
رسوله فلا استحضارات العقلية في		الاسلام بدعة .	
العبادات ضلالة واشراك بالله :		كيف حرفت اليهود التوراة .	٢٦٧
حكم البدعة في الدين والبدعة في	٢٧٩	وكيف غير المسلمون التوحيد .	
الامور الدنيوية .		حديث عدى بن حاتم رضى الله	٢٦٨
حكم الزيادة في الدين . وما ينشأ	٢٨٠	عنه في اتخاذ الارباب .	
من الايراد البديعية من المفاسد .		كما كفر الله اليهود باطاعتهم الاحبار	٢٧٠
سبب عناية المصوم بالايراد	٢٨١	فليكفر الفاسق باطاعة الشيطان	
البديعية وضررها على الاسلام		والجواب عنه .	
تهمة المتبذمين على المتمسكين	٢٨٣	قد بالغ الجهال في تعظيم شيوخهم	٢٧٢
بالسنة وضرر كتب التصوف واهله		وحال المقلد وحكاية الرازي عن	
زيادة على ما في كتب الفلاسفة .		والله والامام للبغوى .	
البحث عن الخطرات والوصاوس	٢٨٤	طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله	
من البدع		هو كاتخاذ ارباباً من دون الله	
بيان القائلين بوحدة الوجود .	٢٨٥	من اسلم القبر او طاف به فقد اتخذ	٢٧٤
وقضهم الدين		الهـ .	
الترغيب الى مطالعة كتاب مدارج	٢٨٥	ان شارع الدين هو الله تعالى	٢٧٥
للسالكين والعلماء المشايخ هم الذين		وانما محمد ﷺ مبلغ عنه لا غير	
افسدوا الدنيا والدين			

الموضوع	الموضوع
٢٨٦ دعوت المسلمين الى فهم القرآن والسنة والاكتفاء بهما . وتميز الامامة بالبروة والقوة	٢٨٦ نتائج الفاتحة ونجربة المصنف لها حينما حبس
٢٨٧ تكملة في بيان خلاصة مذكره ابن القيم في مدارج السالكين واشتمال الفاتحة على انواع التوحيد	٢٨٧ اشتغال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين والمبتدعين .
٢٨٨ صراط الحق واحد وسبل الضلال كثيرة ومن استقام على هذا الصراط في الدنيا ثبت قدمه على صراط الآخرة وبمس الماء دخل الجنة	٢٨٨ المثبتون للخلاق تعالى امام واحد وما مشرك .
٢٨٩ سالك الصراط المستقيم قابل والناس يكون عنه كثير .	٢٨٩ الناس ثلاثة اقسام . منعم عليهم ومغضوب عليهم مضلون . وصفة أصحاب الرسول ﷺ ومساقي هذه الامة .
٢٩٠ مثال لاسد الشيطان عن الصراط المستقيم . فن التفت اليه هالك . وفرائد دعاء القنوت	٢٩٠ سر الامر وانطلق والمكذب والشرائع انما هي اياك نعبد واياك نستعين وحقيقة الاستعانة .
٢٩١ وسيلتان لا يرد معهما دعاء . والاسم الاعظم	٢٩١ الناس في العبادة والاستعانة اربعة اقسام .
٢٩٢ الفاتحة مشتملة على شفاء القلوب وشفاء الابدان	٢٩٢ ليس كل ما أجاب الله الدعاء من كرامة الداعي على الله .
٢٩٣ من طلب الفاية بلا وسيلة موصلة لم يصل اليها	٢٩٣ حقيقة التحلي باياك نعبد انما تحصل بمنازمة الرسول ﷺ والاخلاص للمعبود .
٢٩٤ دواء امراض القلب . ودواء الربا . والكبر .	٢٩٤ ان الله تعالى لا يقبل الا الصواب الاخلاص . وبيانه . والناس في هذا اربع درجات .
٢٩٥ الرقية بالفاتحة . وشهادة قواعد الطب لها	

الموضوع	الموضوع
٣٠٥ ان الكفر الا كبر خسة اقوام اومانه . كفر تكذيب وكفر آباء وكفر اعراض وكفر شرك وكفر نفاق	٣١٨ الهداية معنيان . للتوفيق والايصال والارادة والبيان
٣٠٧ الشرك نوعان ا كبر واصغر . وحال من يعظم القبور والانداد .	٣١٩ الصراط المستقيم هو الطريق الوسط وبيانه .
٣٠٩ من جهل الشرك اعتاده على غير الله واتخاذ له وليا وشفيما .	٣٢٠ حاصل في ما قبل في تفسير الصراط المستقيم .
٣١٠ يعادل الشرك عكس ما يرجو من الآمال . الشفاعة لا تقال الا الموحد الخاص لا المشرک	٣٢٢ فان قبل كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت هو منتصف بذلك اليس تحصيلا للحاصل . والجواب عنه
٣١١ انما تنقض عرى الاسلام اذا دخل في الاسلام من لا يعرف الجاهلية	٣٢٣ بيان انواع الهدايات على ما فسر البيضاوي .
٣١٢ اما الشرك الاصغر فكثير كالربا والخلف بغير الله وطلب الحاجة من الموتى والاستعانة بهم .	٣٢٤ هداية الله تعالى للانسان على اربعة أوجه على ما فسر الرغب الاصفهاني
٣١٣ اما النفاق فالداء المضل وينحى على كثير من تلبس به وما أصاب المسلمين ببلية الامم او بواسطتهم	٣٢٦ ان الله انما يهدي من يطلب الهداية ولا يهدي القوم الظالمين
٣١٤ تفسير قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾	٣٢٧ كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة وليس الى الله طريق الا من طريق الرسول ﷺ
٣١٥ انواع الهدايات الاربعة . اعلاها هداية الدين .	٣٢٨ الصراط المستقيم هو الحق وهو الوسط والفضد
٣١٦ اشارة القرآن الى انواع الهدايات وهديناه النجدين	٣٢٩ الصراط المستقيم صفتان إيجابية وسلبية . وحكم من يعتقد ان الارواح منصرفة . ومن يتسمع في الدين .

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
من صفات المهتدين الايمان بجميع الانبياء وإحترامهم وكذا أكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وليس منهم من يتمصب لواحد ، ينادي الباقين	٣٤٣	أهل الدنيا فريقان من لا يعبد الا الله ومن يشرك به وما بينه الحكماء في التوسط والاقتصاد	٣٣٠
ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والامر بالمعروف .	٣٤٤	أهل العالم مختلفون في النفي والاثبات في جميع المسائل . ولم يصل الى الحق الا القليل بهداية الله	٣٣١
ومن صفاتهم التثبت بآلات الدفاع لاعلاء كلمة الله .	٣٤٥	ان من أسباب الزيع التشدد في الدين	٣٣٢
ومن صفاتهم تدبر آيات الله والجهاد في سبيل الله باللسان والسنان والقلم	٣٤٦	من اين دخلت خرافات الصوفية في الاسلام .	٣٣٣
أهل هداية لا يتعاصدون ولا ينكابرون .	٣٤٧	من تمسك بكتاب الله فهو قدس ذلك الصراط المستقيم .	٣٣٤
تفسير قوله تعالى ﴿ غير المنضوب عليهم ولا الضالين ﴾ والضالون أقسام ومنهم المبتدعون .	٣٤٨	فائدة لامثال والوقائع وعلم التاريخ	٣٣٥
ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلا والنص يحمل عليها .	٣٤٩	دين جميع الرسل واحد وانما الاختلاف في الفروع وصفة ورثتهم	٣٣٦
الحجة لاسقاط الزكاة من الضلال وظهور أثرها في الامة ووقوع الامة في الشقاء كاهل التركستان والصين	٣٥٠	أعظم أسباب شرح كصدد التوحيد وعلامة ذلك .	٣٣٧
بيان الفقرات غير المنضوب عليهم	٣٥١	اذا كان أهل الضلال صاحب دولة دنيوية هل يمد من المنعم عليهم وبيان المنعم عليهم حقيقة . وم	٣٣٨
المنضوب عليهم أهل البدعة والضالين عن السنة .	٣٥٢	فصل في صفات المهتدين وعلاماتهم	٣٣٩
	٣٥٣	المبتدعون ليسوا من المهتدين وان كانوا أهل طرق ، عبادات وان التفت حولهم المریدون .	٣٤٠

الموضوع	الموضوع	الموضوع
٣٥٤	اضلال الشيطان الناس في ترك القرآن والسنة وان علم القرآن والسنة خاص بالمجتهد المطلق وذلك قد انقطع	٣٦٣ ومن صفة أهل الضلال تقليد الآباء والامادات الجاهلية واعلم ان في التقليد أبطال منفعة العقل .
٣٥٥	من صفة أهل الغضب انهم لا يقبلون الحق الا من طائفتهم التي هم منتجبون اليها . والرهبانية .	٣٦٤ ومن أوصاف الضالين الانغماس في البدع والمحدثات في الامور الدينية والمولد .
٣٥٦	من صفة الضالين انهم يعبدون باصوات مطربة وتلعين الاصوات	٣٦٥ اخير كل الخير في اتباع السلف الصالحين وبيانهم .
٣٥٧	من الضالين المنافقون الذين يدهون الاسلام كالتادياني وموسى بيكي الروسي .	٣٦٦ بيان احاديث في تمييز أهل الحق من أهل الضلال
٣٥٨	ومن علاماتهم التفرق في الدين والاشراك بصفات الله . وحكم هباد القبور	٣٦٧ في العلماء الدجالين والمبتدعين .
٣٥٩	ومن صفاتهم القول في الدين والاحكام بالتخمين . كالذين يقولون بحرمة الاشارة في تشهد الصلاة .	٣٦٨ فضيلة إحياء السنة والعمل بها وافتراق أهل الاسلام الى ثلاث وسبعين فرقة . وبيان أهل السنة
٣٦٠	قال ابن تيمية المبتدعون هم الضالون والبدعة احب الى ابليس من المعصية .	٣٦٩ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا بالجدل والتمصب .
٣٦١	بيان مذهب الاتحاديين الضالين وتخصيص مكان أو زمان بمبدع أو فضيلة فيما لم يرد فيه الشرع . وأمثلة ذلك .	٣٧٠ من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام .
٣٧١	بيان مذهب الاتحاديين الضالين وتخصيص مكان أو زمان بمبدع أو فضيلة فيما لم يرد فيه الشرع . وأمثلة ذلك .	٣٧١ صوفية آخر الزمان . ومجيء الشر بعد الخير والدعاة الى جهنم .
٣٧٢	ان بين يدي الساحة كتابين : والقبوريين . وان المبتدع يطرد عن الكون .	٣٧٢

الموضوع	الموضوع
٣٧٣ المبتدعون يحسنون القبول ويسببون الفعل وسببهم التحديق .	٣٨١ واضع البدعة يرعه انه يتقرب بها الى الله تعالى
٣٧٤ ان الدين قد كل . وحدوث البدع والاهواء . وعلامة المبتدعين رآهل الضلالة .	٣٨١ أهل البدع هم أهل الاهواء ٣٨٢ وضع الحجرة والشجرة المصنوعة للنور على باب الحكمة
٣٧٥ اتخاذ المولد عيداً وقيام نصف شعبان واحتجاج المبتدع على بدعته والبدعة خروج عن الدين .	٣٨٣ أهل البدع والضلال لهم خواص وعلامات منها الفرقة شيئاً ٣٨٤ ومن خواص أهل البدع والضلالات اتباع متشابهات النصوص ، والميل عن الحق
٣٧٦ ان المبتدع يرعى ان عمداً <small>عليه السلام</small> خار الرسالة وان المبتدع آلفه الشيطان المباداة والبكاء .	٣٨٥ مرتكب الكبيرة ارجي حالاً من المبتدع ؛
٣٧٧ المبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقصته الاحرام من مسجد الرسول ؛ وبدعية الله كرجاء بصوت واحد	٣٨٥ بيان البدعة الدينية والبدعة للمادية ٣٨٦ ومن البدع الباطلة الاستنجار للثلاوة القرآن
٣٧٨ البدعة ضلالة ، المبتدع ضال ومضل ومن صفاتهم الاختلاف والتفرق ومنهم متصوفوا المعصر	٣٨٦ من علامة المبتدع انها كره في النوافل وان الالهام ليس بحجة شرعية ٣٨٧ لا اعتبار بالخوارق اذا لم يكن من تصديقه صالحاً ؛
٣٧٩ حكم الله كره بالنفمة ورفع الاصوات كحمر نمت جماء ، وقول الرسول <small>عليه السلام</small> اربعوا على أنفسكم	٣٨٨ الخاتمة في آمين ومعناه وحكمه ٣٩٠ مناجاة المؤلف في خاتمة أمره
٣٨٠ طرق صوفية الوقت ما كان وصناعة لا قربة وطاعة ؛ وحكم ختم خواجة دلائل الخيرات بقصيدة البردة	٣٩١ خاتمة الكتاب وان لهذا التفسير مقدمة ٣٩٤ تم بحسب توضيح البرهان كاملاً

بيانه الخطأ والصواب

الواقع في طبعة (اوضح البرهان)

صواب	خطأ	١٣	١٤	صواب	خطأ	١٣	١٤
الاثمة	اثمة	١٤	٥١	أدران	ادراك	٧	٤
يؤخذ بقولهم	يؤخذ لهم	٩	٦٢	غرامافون	غرمامون	١٩	٥
الاصحاب	المصائبين	١	٦٤	تمالي منه	تمالي	١٧	٨
كذل	كال	١	٦٥	تمالي	تمال	١٦	٩
المغضب	المغضب	١١	٦٦	أنا	اب	١٤	١٢
فخمة	فخفة	١٩	٦٩	ارزقنا	ازقنا	٢	١٥
قد	قد	١	٧١	الحلية	الحيلة	١٧	٥٠
مراداتهم	مرادتهم	١	٧٢	الخواجة	الخوارجة	٣	١٦
رسول	رسوله	١٤	٧٧	انيان	اثبات	٧	١٧
الرهاوي	الزهاوي	١٧	٥٠	انا نكون	ان نكون	١٠	٢٣
نفتتح	يفتتح	٩	٧٨	والقدر	والقدرة	٨	٢٥
لم تتركون	أتركون	١٦	٨٧	غيرها	غيرها	١٠	٢٧
حق حمد	من حمد	٢	٩٣	الاعظمون	لا يظنون	١	٣١
المرجان	الرجان	١٠	٥٠	الخلق	الحق	٧	٥٠
ابراهيم	ابراهيم	٢	٩٥	البليات	البلياب	١٧	٥٠
قلت أنا	قلت	١١	٩٦	وبالجملة انهم	بالجملة وانهم	٢٠	٥٠
نجنب	نجنب	٢	١٠٢	لغروور	لغروور	١٢	٣٥
بيمينه	بيمينه	١٠	١٠٦	كتابته جلاء الافهام	كتابته	٥٠	٣٣
الاقسام	الاقسام	٤	١٠٨	الانصاف	الاتصاف	٢٠	٣٦
دورا	دور	١١	١١٣	يمنع	يمنع	٢٠	٣٨

صواب	خطأ	٢٠	١٩	صواب	خطأ	٢٠	١٩
تيمية	تيمية	١٩	١٧٧	ادراك	ادرك	٧	١١٧
تمالي	عالي	١٠	١٧٨	والاستدلال	الاستدلال	٢٠	١١٨
الاحوال	الاحول	٩	١٧٩	الا لله	الا الله	٤	١٢٨
دواؤه	دواءه	٤	١٨٠	كونوا	كونو	٩	٠٠٠
وعبادته	وعبادة	٥	٠٠٠	ان امر	ان امر	١٠	١٢٨
تيمية	تيمية	٦	١٨١	عبدكم	عبدكم	١١	١٢٩
مفاسدها	مفاسده	١٣	٠٠٠	وفي	من	٥	١٣٣
واكثر	واكثر	٤	١٨٤	أنفبتون	أنفبتون	٦	١٣٤
وتستعد	ويستعد	٦	١٨٢	انواط	انواط	١١	١٣٥
مضمومة	مضمومة	٧	١٨٧	واحدون	واحدون	١٠	١٣٨
كسجدة	كسجدة	٩	١٨٨	انبيائهم	انبيائهم	١٨	١٤٣
لخلق	المخلوق	٥	١٩٠	بمقد	بمقد	٣	١٤٧
الحج	الحج	٤	١٩١	عنزله	عنزله	١٤	١٤٨
طائفة	طائف	١٤	٠٠٠	تمالي	ولي	١٨	١٤٩
دادعا	وادعا	١٥	٠٠٠	لثلاثة	لثلاثة	١٠	١٥٢
المسلمين	لمسلمين	١٧	٠٠٠	وقع	وتع	٦	١٥٥
ون حجة الله	وفي الحجة البالغة	١٨	٠٠٠	وكله نفر	وكل له نفر	٩	١٥٨
اعبدوا	اعبدو	١١	١٩٢	بينات	بينات	٢	١٦٠
برحمتك	برحمتك	١٦	١٩٣	والكفر بها	والكفر بها	١	١٦٢
يشمرون	اشمرون	١٠	١٩٦	يا بيرم	يا بيرم	١٣	١٦٤
انه	نه	٢٩	١٩٨	والرخاء	والرجاء	٥	١٦٥
منكم	منك	٢٠	٢٠٠	وجميع	وجميع	٧	٠٠٠
ببيت	ببيت	١٦	٢٠٦	عليه	عينه	١	١٧٣
				للايينه والموتى	وللايينه الموتى	٢٠	١٧٦

صواب	خطأ	٢٠	٢١	صواب	خطأ	٢٠	٢١
والامانة	والامانة	١٧٢٣٤	والتقرب	واتقرب	١٠٢٠٧		
في دفع	في دفع	١٥٢٣٩	ذلك	ذلك	٣٢٠٨		
المفسرين	المفسرين	١٨٢٤١	اهل زماننا	زماننا	١٨٠٠٠		
من واسطة	واسطة	٤٢٤٢	يبين	يبين	١١٢١٠		
الجوامع	الجوامع	٧٢٤٣	الاخلاص و	الاخلاص	١١٢١٢		
لاختراع	الاختراع	١٢٤٥	الكافرون و	الكافرون	١٣٠٠٠		
امراضه الروحيه	امراضه اوحية	٢٠٠٠٠	في دنياهم	من دنياهم	١٤٢١٣		
القصور	المقصود	١٣٢٤٧	و يدعون	و يدعون	٥٢١٤		
وهو	هو	١٤٢٤٨	المعروف	المعروف	١٩٠٠٠		
الى	ق	٢٠٠٠٠	مصيبة	مصيبة	٢٢١٧		
المدرک قوي	المدرک القوى	٤٢٤٩	يعلمون الغيب	يعلمون	٠٠٠٠		
فيه	فيه	٢٠٠٠٠	هو صاحب	وهو صاحب	٩٢١٨		
تتحقق	تتحقق	١٣٢٥٢	لاشيخ محمد بن	لابن	١٩٢١٩		
ماكان	من كان	١٦٠٠٠	متفرد	متفرد	٢٠٠٠٠		
ان الذين	ان الذي	٥٢٥٦	في الشرك	من الشرك	١٨٢٢٢		
التزعات	التزعات	١٣٢٥٨	أطلق الشرك	طابق لشرك	١٢٢٢٦		
الملكات	المكات	١٩٠٠٠	فاما من	فان من	١٠٢٢٧		
لا تنزكي	لا تنزكي	٢٠٠٠٠	يتقرب	يقرب	١٢٢٩		
الذي يغشاه	الذي يغشاه	٢٢٦٤	المفرد مظهراً	المضر مضرود	١٦٠٠٠		
الهياكل	الهياكل	٥٠٠٠	التفريع	التفريع	٩٢٣٠		
عرضة	اعرضة	١١٠٠٠	و يدخل فيه				
من دون الله	من دون	١٥٠٠٠	خوف الله		١٢٠٠٠		
يمس الله	يمس الله	١٧٢٦٦	تعالى وينفي	وينفي			
كان يأمر	كما كان يأمر	١٢٧١	لا تفارقوا	لا تفارقون	٢٠٠٠٠		

صواب	خطأ	٢٠	٢١	صواب	خطأ	٢٢	٢٣
وداء الكبير	وداء الكبير	٨٢٩٤	٥٢٧٢	قلما كنت	قلما كنت	١٠٠٠٠	١٤٠٠٠
ولم ينقل	ولم ينقل	٧٣٠٦	١٠٠٠٠	أنت	أنت	١٤٠٠٠	١٦٠٠٠
إذا لزم	إذا لزم	٢٠٠٠٠	١٤٠٠٠	ويستن	ويستن	١٦٠٠٠	١٢٧٣
من استبشارهم	من محبة	٢٣٠٨	١٢٧٣	كالنفاذ	كالنفاذ	٢٠٠٠	٤٠٠٠
وهذا القدر	استبشارهم	١١٠٠٠	٢٠٠٠	رجالهم	رجالهم	٤٠٠٠	٥٠٠٠
هو الذي	هذا هو القدر	١٨٣٠٩	١٤٠٠٠	بأدلى	بأدلى	١٦٠٠٠	١٣٢٧٤
تعمدون	تعمدون	٤٣١٢	١٥٠٠٠	أذان	أذان	١٠٠٠٠	١٤٠٠٠
وشئت	وشئت	٥٣١٣	١٠٠٠٠	وافهام	وافهام	١٦٠٠٠	١٣٢٧٤
وسؤله	سؤاله	٠٠٠٠	١٥٠٠٠	والتحقيق	والتحقيق	١٠٠٠٠	١٤٠٠٠
وأما السبب	أما السبب	٤٣١٥	١٠٠٠٠	الارب	الارب	١٦٠٠٠	١٣٢٧٤
بلطف	بلطف	٦٠٠٠	١٥٠٠٠	الحكمة	الحكمة	١٠٠٠٠	١٤٠٠٠
للأطفال	الأطفال	٨٠٠٠	١٦٠٠٠	ورجاء	ورجاء	١٣٢٧٤	١٥٠٠٠
ما يصل إلى	ما يصل إلى	٠٠٠٠	١٥٠٠٠	أو سجد له	أو سجد له	١٢٧٥	١٢٧٨
الندي	الندي	٠٠٠٠	١٢٧٥	كلمات	كلمات	١٢٧٨	١٠٢٨٢
ياهم انتقامه	ياهم انتقامه	٠	١٢٧٨	يفككم	يفككم	١٠٢٨٢	٢٠٢٨٦
وامنتصاه	وامنتصاه	٢٣١٦	١٠٢٨٢	المزامير	المزامير	٢٠٢٨٦	٧٢٨٧
يصح	يصح	١٤٣١٧	١٤٣١٧	من غير طريق	من غير طريق	٧٢٨٧	١٤٠٠٠
ما يؤدى	ما يؤدى	٥٣٢٠	١٤٠٠٠	ليكونها	ليكونها	٤٢٩١	٩٢٩٣
وجعلنا له	واجعلنا له	١٤٣٢٢	١٤٠٠٠	على الآلهة	على الآلهة	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠
ازدياده	ازدياره	٥٣٢٥	٤٢٩١	سؤال الله	سؤال الهداية	٩٢٩٣	٢٠٠٠٠
الرابع	الرابع	٨٣٢٦	١٠٢٨٢	الهداية	الهداية	١٠٢٨٢	٢٠٠٠٠
لم يهد	لم يهدى	٢٣٢٧	١٠٢٨٢	الموصل	الموصل	١٠٢٨٢	٢٠٠٠٠
كذبوا	وكذبوا	٢٠٣٢٨	١٠٢٨٢	الدواء	الدواء	١٠٢٨٢	٢٠٠٠٠
في تركها	تركها						

صواب	خطأ	٢	١	صواب	خطأ	٢	١
الفاتحة	الفاتحة	٧٣٥٤		هو الوسط	وهو الوسط	٠٠٠٠	
وهم الذين	وهم الذين الذين	٦٣٥٧		ضلوا	ضلوا	٦٣٢٩	
عذاب عظيم	عذاب عظيم	٤٣٥٨		وكاكثر	كاكثر	٨٠٠٠	
يصدون	يصدون	١٦٣٦٢		مجنماً	مجنماً	٩٠٠٠	
او السدة	او السدة	٢٣٦٣		الزيع	الزيع	٦٣٣٢	
والمجاورين	المجاورين	٠٠٠٠		ورواية الموضوع	رواية الموضوع	١٣٣٣	
كتاب	كتاب	١٣٣٧١		واسراج	والسراج	١١٠٠٠	
وتنكر	وتنكر	١٨٠٠٠		الغنائية	والغنائية	١٢٠٠٠	
منهم	تمنهم	٥٢٧٢		اصول	وصول	١٢٣٣٦	
بانبئت	باليت	١٣٣٧٥		لاماناتهم	لاماناتهم	٤٣٤٠	
اربعوا	اربعوا	١٤٣٧٩		العباد	العبادة	١١٣٤٧	
والنفلة	والنفلة	١١٣٩٥		ولايتد ابوين	ولايتد ابوين	١٩٣٤٨	
يتاحي	يتاحي	٤٢٩٧		فينفر	فينفر	٥٣٥٠	
لاعلى	الالا على	١٦٠٠٠		الادراك	الادرك	٦٣٥١	
التحليل	التحليل	١٥٣٩٩		وتضطرب	وتطرب	٧٠٠٠	
				العلامات	المعلامات	٩٠٠٠	



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقني لتأليف كتابي « أوضح البرهان في تفسير
أم القرآن » ثم بعد ان اتعمت تشيبت لطبعه ونشره بين الاخوان من
اهل الايمان وكانت بضاعتي قاصرة عن مؤنة الطبع لكوني غريباً
مهاجراً شارداً عن بلادى الظالم اهلها صفر اليدين .

ومع ذلك كنت لا أقطع رجائي عن انعام ما قصدت فعرضته على
محي السنة وناصرها وقامع البسدة الملك المعظم ملك المملكة العربية
السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أيده الله تعالى
فامر بطبعه على نفقته زاده الله تعالى توفيقاً ونصراً للسنة

فشرعت المطبعة الاميرية أم القرى في الطبع وانا باشرت تصحيح
البروفات بعون الله وحوله فتم بفضل الله تحت اشرافى على أحسن ورق
وحرف وترتيب ووضع الفهرست وبيان الخطأ الواقع فيه والعوَاب فكل
من يطالع الكتاب لابد ان يلاحظ ذلك ويصحح لان الخطأ والنسيان من
خصائص الانسان وانى اسأل الله تعالى ان يؤيد الملك المعظم بنصره
وان ينفع بهذا الكتاب عامة المسلمين شرقاً وغرباً آمين وكان ذلك في
الرابع من شهر رمضان عام ١٣٥٧

كتبه عبد ربه واسير ذنبه ابو عبد الكريم محمد
سلطان المصومي الخجندى المدرس
بالمسجد الحرام ودار الحديث المكية